

شهادة رقم (٢٠٢١-٠٠١)

معامل التأثير العربي

اتحاد الجامعات العربية

مجلة وميض الفكر للبحوث

ISSN: 2618 - 1312

قد حصلت على معامل التأثير العربي لعام ٢٠٢١ وقدرة 2.4 وترتيبيا رقم ٤٧ من بين ٢١٥٧ مجلة عربية

الأستاذ الدكتور محمود عبد العاطي

مدير مشروع معامل التأثير العربي



h_imamomais@hotmail.com
wameed.alfkr@gmail.com



حصلت مجلة وميض الفكر للبحوث
على معامل التأثير العربي لعام 2021 وقدره 2.4
وترتيبها 47 من بين 2157 مجلة عربية

التعريف:

هي مجلة علمية محكمة ربع سنوية تصدر عن الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير، علم وخبر 1193/أ. د، يرأس تحريرها: د. هيفاء سليمان الإمام، ويعنى بنشرها وتوزيعها:

دار النهضة العربية/ بيروت . لبنان

وهي مرخصة من قبل وزارة الإعلام (بعد استشارة وموافقة نقابة الصحافة اللبنانية) تحت رقم 928 والمنشور في الجريدة الرسمية بقرار 475/2018،

حائزة على: الـ issn للطبعة الورقية رقم 1312-2618

وللنسخة الإلكترونية - e-copy رقم 1320-2618

IF: Ref.No: 2020 J101

DOI: 1018756/2020 J101

code ARCI-2007-1110



دار النهضة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة «وميض الفكر» للبحوث
العدد الرابع عشر(حزيران 2022)

مجلة «وميض الفكر» للبحوث
مجلة علمية محكمة فصلية
العدد الرابع عشر(حزيران 2022)

مجلة «وميض الفكر» للبحوث
مجلة علمية محكمة فصلية
Issn:2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e copy


شهادة رقم (٢٠٢١-٠٠١)

معامل التأثير العربي

اتحاد الجامعات العربية

مجلة وميض الفكر للبحوث

ISSN: 2618-1312

قد حصلت على معامل التأثير العربي لعام ٢٠٢١ وقدرة 2.4 وترتيبها رقم ٤٧ من بين ٢١٥٧ مجلة عربية

مدير مشروع معامل التأثير العربي

ونالت الأرقام:

(Ref.No:2020J1010)

وكذلك نالت رقم الـ (DOI:1018756/2020J101) .

كما تم فهرستها في **مؤسسة الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية**

تحت رقم: 2007-111-ARCI


الكشاف العربي للإستشهادات المرجعية

ARABIC CITATION INDEX

Egyptian Knowledge Bank

بنك المعرفة المصري

Dear Prof./ Editor-in-chief of:

وميض الفكر للبحوث المحكمة

Congratulations! وميض الفكر للبحوث المحكمة (ISSN 2618-1312) has been selected for inclusion in the Arabic Citation Index (ARCI).

The data provider for the Arabic Citation Index has been advised to contact you regarding acquiring issues for XML upload to the Arabic Citation Index, hosted on Clarivate's Web of Science™ platform. Once the data provider has completed their XML preparation and uploaded your content to the Web of Science platform, your content will be available for display.

Details of the Arabic Citation Index Editorial Selection Process can be found below. To learn more about ARCI, here are some helpful links:

About the Arabic Citation Index :

http://arcival.ekb.eg/?page=aboutar.html

Clarivate LibGuide on ARCI :

https://clarivate.libguides.com/webofscienceplatform/arci#

Information on the ARCI on the Web of Science platform :

https://clarivate.com/webofsciencegroup/solutions/arabic-citation-index/

If you have any questions about the editorial process or your journal, you may contact us at ARCI@EKB.eg

Kind Regards,

Prof. Sherif Kamel Shaheen

Head of ARCI Editorial Committee


الكشاف العربي للإستشهادات المرجعية

ARABIC CITATION INDEX

Egyptian Knowledge Bank

بنك المعرفة المصري

السيد الأستاذ الدكتور/ رئيس تحرير:

وميض الفكر للبحوث المحكمة

تهانينا! لقد تم اختيار **وميض الفكر للبحوث المحكمة**، (ترقيم دولي 2618-1312) لإدراجها ضمن الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية.

سوف يقوم مزود البيانات الخاص بالكشاف بالاتصال بكم لمتابعة ما يخص الحصول على أعداد المجلة لتحميلها في صيغة XML، والتي يتم استضافتها عبر منصة كلاريفيت Clarivate's Web of Science™. وبمجرد استكمال تجهيز الملفات وتحميل الأعداد، سيصبح المحتوى جاهزاً للعرض.

لمزيد من التفاصيل عن عملية اختيار المجلات لإدراجها في الكشاف، وللمزيد عن الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية، فيما يلي بعض الروابط الهامة:

عن الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية:

http://arcival.ekb.eg/?page=aboutar.html

دليل كلاريفيت للكشاف العربي للاستشهادات المرجعية:

https://clarivate.libguides.com/webofscienceplatform/arci#

معلومات عن الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية على منصة شبكة العلوم:

https://clarivate.com/webofsciencegroup/solutions/arabic-citation-index/

لمزيد من الاستفسارات، يمكنكم التواصل مع:

arcival@ekb.eg

تحياتي

الأستاذ الدكتور/ شريف كامل شاهين

رئيس لجنة التقييم بالكشاف العربي للاستشهادات المرجعية

الاتّصال والمراسلات:
هواتف المجلة: 009613691425
فاكس المجلة: 009618630280
الموقع الإلكتروني:www.wameedalfikr.com
البريد الإلكتروني:wameed.alfkr@gmail.com
البريد الإلكتروني لرئيسة التحرير: h_imamomais@hotmail.com
الاشتراكات: لبنان والدول العربية 100 $ سنوياً
باقي دول العالم 125 $ سنوياً

فهرس المحتويات

أ. د. هالة أبو حمدان:(لبنان)أستاذ مساعد في مادة القانون في كلية الحقوق والعلوم السياسية في الجامعة اللبنانية.

أ. د. وجيهة الصميلي (لبنان)**:** رئيسة قسم اللغات في كلية التربية / الجامعة اللبنانية.

الأستاذ المشارك الدكتور رشيد احمد حسن (اليمن)**:** نائب العميد لشؤون الطلاب في كلية التربية / جامعة زنجبار، و حاصل على لقب أستاذ مشارك من جامعة أبين وفي قسم اللغة العربية/ كلية التربية جامعة زنجبار، أستاذ النحو واللغة المساعد فيها و في جامعة عدن،

الأستاذ المشارك الدكتور عادل حسن طه(السودان)**:** أستاذ اللغة العربية بكلية التربية، جامعة السلام – السودان

الدكتور موسم عبد الحفيظ)الجزائر(: أستاذ مساعد "أ" ودائم في قسم العلوم الإنسانية بجامعة سعيدة، وعضو في المجلس العلمي لكية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة. أستاذ مؤقت في قسم التاريخ بجامعة تلمسان.

الدكتورة شيماء نصيف عناد محمد: (العراق) استاذ مساعد في كلية التربية – جامعة واسط / قسم العلوم التربوية والنفسية.

الدكتورة ضحى لعيبي كاظم السدخان البهادلي: (العراق) ، استاذ مساعد دكتورة في الجغرافية البشرية والسياسية ، كلية التربية – قسم الجغرافية/ جامعة ميسان ، لها عدد من الكتب البحوث المنشورة .

رؤية المجلة:

تتطلع الهيئة العلمية المشرفة على مجلة وميض الفكر للبحوث التربوية والعلوم الإنسانية إلى أن تكون المجلة منصة أكاديمية للبحث العلمي المميز على مستوى الوطن العربي بحيث تساهم في تعزيز بيئة البحث العلمي بتنفيذ أكبر قدر من المشاريع والمتطلبات الأكاديمية للطلبة والباحثين، كما أنها تتطلع إلى الريادة في مجال البحث العلمي من خلال النمو المستمر بالأفكار والتطوير الذي لا يتحقق إلا من خلال نخبة من الباحثين والمهتمين بهذه المجالات.

أهداف المجلة:

تهدف مجلة وميض الفكر للبحوث إلى توفير مرجعٍ علميّ وتلبية حاجة الباحثين على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية في النشر العلمي، خاصة في مجال التربية والعلوم الإنسانية والاجتماعية.

فهرسة وأرشفة النتاج العلمي والمعرفي العربي في كبرى قواعد البيانات العلمية العالمية.

توفير عملية مراجعة ونشر سريعة وفعالة للأبحاث والأوراق العلمية.

قواعد التحكيم في مجلة وميض الفكر للبحوث:

على المحكم أن يقدم إلى إدارة المجلة تقريراً مفصلاً عن تقييمه للبحث المرسل إليه لتحكيمه ضمن المعايير المعتمدة في المجلة ويكون على الشكل التالي:

- **الصفحة الأولى:**

التوجه إلى إدارة المجلة.

الموضوع.

المرجع.

اسم المحكم وصفته ودرجته العلمية.

التاريخ.

- **الصفحة الثانية:**

عرض أهم نقاط البحث

- **الصفحة الثالثة:**

الإجابة عن الأسئلة التالية:

هل موضوع البحث ينسجم مع تخصص الباحث؟

هل يعتبر البحث من البحوث المهمة في موضوعه؟

كيف يتم عرض البحث وكتابته ووضوحه؟

هل إشكالية البحث واضحة في عنوان البحث وفي مضمونه؟

ما هو منهج البحث الذي اعتمده الباحث؟

هل البحث يعتبر إسهاماً في مجال البحث العلمي الرصين؟

ما هو رأيك بنتائج البحث؟

ما هي حداثة المراجع وأهمية المصادر المعتمدة في البحث؟

- **الصفحة الأخيرة:**

- علامات التقييم:

ما هو تقييمك لجودة وعاء النشر وسعة انتشاره (المجلة)؟

هل يعتبر البحث أصيلاً؟

هل البحث صالح للنشر؟

قواعد النشر في مجلة وميض الفكر للبحوث

ترحّب المجلة بنشر الأبحاث والدراسات العلمية المتخصصة ذات الصلة بالعلوم التربوية واللسانيات والأدب والنقد المقارن والدراسات الفكرية والفلسفية والاجتماع والجغرافيا والفنون والتراث الشعبي والأنثروبولوجيا والآثار.

وتتصدى المجلة بالبحث الرصين والتحليل العلمي الموضوعي لأهم الظواهر التي تقع تحت مظلة العلوم التربوية والإنسانية.

أولاً: قواعد عامة:

تنشر المجلة الأبحاث والدراسات الأكاديمية الأصيلة، وتقبل للنشر فيها الأبحاث المكتوبة باللغة العربية، أو اللغة الإنجليزية أو الفرنسية التي لم يسبق نشرها، وفي حالة القبول يجب ألا تنشر المادة في أي دورية أخرى دون إذن كتابي من رئيس التحرير.

تنشر المجلة الترجمات، والقراءات ومراجعات الكتب، والتقارير، والمتابعات العلمية حول المؤتمرات، والندوات، والنشاطات الأكاديمية المتصلة بحقول اختصاصها، كما ترحب بالمناقشات الموضوعية لما ينشر فيها، أو في غيرها من المجلات، والدوريات، ودوائر النشر العلمي.

ثانياً: الأبحاث أو المقالات:

ترسل البحوث مطبوعة مصححة بصورتها النهائية مدققة لغوياً على قرص ممغنط يتضمن البحث، والخلاصة باللغات العربية والإنجليزية أو العربية والفرنسية. ويمكن إرسالها عبر البريد الإلكتروني للمجلّة.

توجّه جميع المراسلات باسم رئيس تحرير المجلة أو الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير، لبنان – البقاع / شتورة.

يقدّم الأصل مطبوعاً على الحاسوب وذلك باستخدام نظام الوورد 2003، مع الالتزام بنوع الخط (Simplifid Arabic) وحجم الخط (14 Size)، التباعد بين السطور (1 سم) على ألا تزيد عدد صفحاته على 20 صفحة مطبوعة (أو مكتوبة بخط واضح) مضبوطة ومراجعة بدقة، وترقّم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول، والأشكال.

تطبع الجداول، والصور، واللوحات على أوراق مستقلة، ويشار في أسفل الشكل إلى مصدره، أو مصادره، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

يذكر الباحث اسمه وجهة عمله وعنوانه الإلكتروني صورة له على ورقة مستقلة، ويجب إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى، وعليه أن يشير فيما إذا كان البحث قد قدم إلى مؤتمر، أو ندوة وأنه لم ينشر ضمن أعمال المؤتمر.

يمنح الباحث نسختين من العدد الذي يتضمن بحثه، كما يمنح أصحاب المناقشات، والمراجعات والتقارير، وملخصات الرسائل الجامعية نسخة من العدد الذي يتضمن مشاركاتهم.

يسدد الباحث رسماً رمزياً قيمته 100 $ أميركي مقابل نشر البحث، أو يساهم في شراء وتوزيع خمس عشرة نسخة من العدد الوارد فيه بحثه.

ثالثاُ: المصادر والحواشي:

يشار إلى جميع المصادر بأرقام الحواشي التي تنشر في أواخر الصفحات من كل بحث، ويجب أن تعتمد الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة بحيث تتضمن:

اسم المؤلف، وتاريخ النشر، وعنوان الكتاب، أو المقال، واسم الناشر، أو المجلة، ومكان النشر إذا كان كتاباً، والمجلد، والعدد، وأرقام الصفحات إذا كان مقالاً.

يزود البحث بقائمة للمصادر منفصلة عن الحواشي، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية، ويراعى في إعدادها الترتيب الألفبائي لأسماء المؤلفين.

رابعاً: إجازة النشر:

يجري إبلاغ أصحاب المساهمات بتسلم المادة خلال اسبوعين من تاريخ التسليم، مع إخبارهم بقبولها للنشر، أو عدم القبول بعد عرضها (في حالة البحوث) على محكمين، تختارهم المجلة على نحو سري، أو بعد عرضها على هيئة التحرير (في حالة المساهمات الأخرى)، وللمجلة أن تطلب إجراء تعديلات شكلية، أو شاملة على البحث قبل إجازته.

ملاحظة: إن الأفكار والآراء المطروحة والمتداولة في صفحات المجلة لا تعبر بالضرورة عن خيارات واتجاهات تتبناها المجلة، بل إنها تخص الكاتب وحده مع احترام حق الرد والرد عليه إن كان ذلك مناسباً.

كما أن المجلة لا تتحمل تبعات أي موقف قد يثير إشكالاً في مادة البحث، والباحث هو المسؤول عن كل ما يكتبه أمام القانون.

افتتاحية العدد:

بقلم الدكتور علي مهدي زيتون



رئيس قسم اللغة العربية في الجامعة اللبنانية، ورئيس مجلس الأمناء في جامعة المعارف، ورئيس الملتقى الثقافي الجامعي، والمشرف العام على مجلة وميض الفكر للبحوث.

a.m.zaitoun@hotmail.com

يعيش مجتمعنا العربي على وجه العموم، ومجتمعنا اللبناني، على وجه الخصوص، أزمة متفلتة من كل الضوابط.

والقاعدة النموذجية، في مثل هذه الحال، تقتضي أن ينبري المثقفون الذين تعيش بلدانهم مثل تلك الأزمات إلى قراءة المشكلات التي يعاني منها المجتمع والتحديات التي يواجهها قصد فهمها ووضع الحلول لها.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل قام مثقفو مجتمعنا بمثل هذه القراءة ؟

ويستدعي تفلت الأزمات التي يعاني منها المجتمع سؤالاً أكثر إيلاماً: هل يوجد مثقفون فاعلون في مجتمعنا؟ صحيح أن ردة الفعل الناجحة والموفقة جداً على أم الأزمات في فلسطين ولبنان وغيرهما من البلدان قد أثبتت أن التفوق على المتفوق ممكن، وأن إشارات الانتصار واضحة المعالم، إلا أن ذلك غير كاف.

استطاعت حركة رفض الحضور الاستعماري غير المباشر في بلداننا في القرن الماضي أن تخرج المستعمرين وجنودهم منها، إلا أن حضوره بشكل غير مباشر ما زال قائماً وفاعلاً حتى يومينا هذا .

وتكاد تقول إنه ما زال يمسك بزمام الأمور فيها، ويشكل عائقاً محورياً في مواجهة من يتوخى التخلص من أم الأزمات، والسبب العميق في ذلك، أن مجتمعنا لم يستطع أن ينتج ثقافة تضع إصبعها على الأزمات والمشكلات فهما ومعالجة.

أسئلة مُرّة تطرح نفسها موزعة على معظم حقول المعرفة بسبب عدم تشكل الأكاديميات المتخصصة التي يمكنها إيجاد ثقافة عامة تمثل خطة عمل يؤمن بحقيقتها جميع أفراد المجتمع، فيصبح كل فرد، ومن موقعه الاجتماعي والثقافي والسياسي والعلمي عاملاً تغييرياً فاعلاً .

وإذا كان قيام مثل تلك الأكاديميات أمراً صعباً، إذا لم نقل مستبعداً في مثل ظروفنا، فإن المؤسسات الثقافية القائمة، وعلى رأسها المجلات، تصبح مسؤولة عن العمل لإيجاد الثقافة المطلوبة.

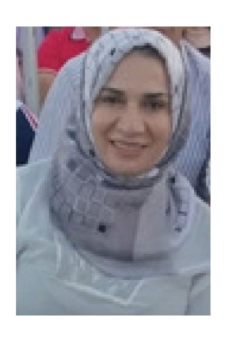
هذه المجلات يجب أن تفتح العيون مرشدة إياها إلى سواء السبيل، خصوصاً إذا كان القائم على هذه المجلة أو تلك مثقفاً ممسكاً بأساسيات الحقول المعرفية.

والحقيقة أن العديد من المجلات الموجودة فوق ساحتنا محكوم بمركبات التفوق التي يعاني منها القائمون عليها: إذ تصبح قضيّة المجلة العميقة إبراز شخصية ذلك القائم لا إبراز القضايا التي تحتاج إلى معالجة. ومجلتنا «**مجلة وميض الفكر**» لم تختر اسمها بشكل ارتجالي أو كانت تبتغي منه بعد زخرفياً تزيينها، فالمجتمع الذي يحتاج إلى إنتاج ثقافة تعالج أزماته وقضاياه، هو بحاجة أولاً وقبل كل شيء إلى الوميض، وحسبه ذلك، لأن القائمين على هذه المجلة لا يستسهلون المهمة المنوطة بهم، بل يرون أن الوصول دونه جهود كبيرة يجب أن تبذل، تبدأ بإنتاج الوميض وصولاً إلى الفكر وتجلياته الوضاءة.

هذا همّ مجلتنا، ونتمنى أن توفق بالوصول إلى جادة الفكر المنير الذي يحدد الأوجاع والآلام ويصف لها الدواء.

كلمة العدد:

بقلم الدكتورة هيفاء سليمان الامام



(أستاذ مشارك في الجامعة اللبنانية الدولية /البقاع)
(h-imamomais@hotmail.moc)
هاتف: 009613691424

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذه الظروف العصيبة ومن هذا الواقع الأليم لا يسعني إلا أن أسجل للتاريخ، أننا ما زلنا نفخر بعروبة أرضنا من المحيط إلى الخليج. وما زلنا نستظل براية الكرامة العربية المتمثلة بعلم فلسطين الأبية، والذي سيبقى يرفرف عالياً فوق القدس ومسجدها، سيبقى متحدياً كل مسيرات الآلام والأعلام القذرة، سيبقى مقاوماً لكل أنواع الظلم، والقهر، والاعتداء.

من هنا افتتح لنا الأستاذ الدكتور علي مهدي زيتون العدد الرابع عشر من مجلة ومیض الفكر للبحوث بخطاب قيم يسلط الضوء على الدور المقاوم للمثقف الحقيقي، والذي من واجبه أن يكون جدياً وفاعلاً ومساهماً بقوة في الدفاع عن قضايا المجتمع والأمة بشكل عام، وعن القضية التي هي أم القضايا والأزمات في وقتنا الحاضر، أقصد قضية وأزمة فلسطين الأسيرة والكسيرة بشكل خاص، كما تطرق الدكتور زيتون في افتتاحيته إلى التركيز على أهداف المؤسسات الأكاديمية والمجلات العلمية في البحث بجهد وجد عن وميض ينير الفكر ويرسم خط الصواب ويقدم العلاج الناجع لكل مرض من أمراض مجتمعنا المتفكك والمصاب بكل أنواع البلايا والآلام.

ومن ثم قدمنا لكم قراء مجلتنا المحترمين، عددا مهما من الأبحاث العلمية لثلة من الباحثين المتعددي الاختصاصات، والذي أغنى هذا الوميض بكنوز من المعرفة القادمة إلينا من مختلف الدول العربية والإسلامية، فكانت مثلا مشاركات بحثية من سوريا وإيران العراق وليبيا والمغرب والجزائر والحصة الأكبر كانت للبنان الحبيب. وقد حاولنا أن نتقاسم الخسائر المادية بيننا وبين الباحثين علنا نتخطى هذه الأزمة الاقتصادية الحادة في منطقتنا، وعلنا نستطيع كسر قيصر أمريكا وحصاره بوميض من حياة ستستمر حكماً.

أبحاث العدد 14

باب التربية وعلم النفس:

مفهوم الذّات الاجتماعيّ وعلاقته بالمرونيّة النّفسيّة لدى عيّنة من متعلّمي الصّفّ التّاسع الأساسيّ في إحدى مدارس جبل لبنان الرّسميّة المختلط

The social self-concept and its relationship to psychological resilience among a sample of ninth-grade learners in a public mixed school in Mount Lebanon

عبير عطاالله، زاهي الزغبي

[1] متخصّصة في الفنون التشكيليّة، طالبة دكتوراه في العلوم التربوية، مسار إرشاد مدرسيّ في المعهد العالي للدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانيّة – الجامعة اللبنانيّة،

abiratallah1@gmail.com

[2] متخصص في تكنولوجيا التربية، طالب دكتوراه في العلوم التربوية، مسار تكنولوجيا التّربية في المعهد العالي للدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانيّة – الجامعة اللبنانيّة،

_zoghbi_zahi@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 6/4/2022 تاريخ القبول: 4/5/2022

مستخلص البحث

يهدف البحث الحالي إلى دراسة مفهوم الذّات الاجتماعيّ وعلاقته بالمرونيّة النّفسيّة لدى عيّنة من متعلّمي الصّفّ التّاسع الأساسيّ في إحدى مدارس جبل لبنان الرّسميّة المختلطة، في ظلّ الواقع المعاش لدى المراهقين من ضغوطات نتيجة ما يتعرّضون له من أحداث أمنيّة ووبائيّة واقتصاديّة. طبقت الدّراسة المنهج الإجرائيّ التّعاونيّ، أجاب 36 متعلّمًا على استبانة من ثلاث فقرات: الفقرة الأولى للبيانات العامّة وفقرة ثانية تكوّنت من مقياس تنسي لمفهوم الذّات ببعده الاجتماعيّ والفقرة الثّالثة تكوّنت من مقياس المرونيّة النّفسية لكونور وديفيدسون. أظهرت النّتائج، وجود علاقة ارتباطيّة سلبيّة متوسّطة بين المرونيّة النّفسيّة ومفهوم الذّات الاجتماعيّ، ($r = -0.46$).كما أظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائيًا بين على مستوى مفهوم الذّات الاجتماعيّ بين من خسر أحد أقاربه نتيجة تعرّضه لفيروس كورونا ومن لم يتعرّض لتلك الخسارة ، مع معدّل (1.21) لمن خسر أحد أقاربه من أفراد العيّنة جرّاء تعرّضه لفيروس كورونا،

و (1.05) للأفراد الذين لم يتعرّضوا للخسارة، بقيمة دالّة إحصائيًّا (α=0.02)؛ كما أظهرت النّتائج أيضًا وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة بين المجموعتين على مستوى خسارة أحد الأقارب نتيجة انفجار مرفأ بيروت، بقيمة (α=0.018) دالّة إحصائيًا.

الكلمات المفتاحيّة: المرونيّة – مفهوم الذّات الاجتماعيّ – الأحداث الضّاغطة.

Abstract

The current research aims to study the social self-concept and its relationship to psychological resilience among a sample of ninth-grade learners in a public mixed school in Mount Lebanon in light of the pressures experienced by adolescents as a result of the security, epidemiological, and economic events they procedural collaborative the applied study The .are exposed to :questionnaire section-three a answered learners 36 .approach of one second the ,statements general of consisted part first the ,dimension social its with concept-self of scale Tennessee the Psy- Davidson and Connor the of consisted part third the and showed results prominent most The .Scale Resilience chological psychologi- between correlation negative medium a is there that of results The .(0.46- = r) concept-self social and resilience cal relative a lost who those among concept-self social of level the who those and virus Corona the to exposed being of result a as statistically were there that showed loss that from suffer not did average an with ,groups two the between differences significant due members sample the of relative a lost who those for (1.21) of who individuals for (1.05) and ,virus Corona the to exposure to = 0.02) value significant statistically a with ,loss a suffer not did α). The results also showed that there were statistically significant differences between the two groups in the level of loss of a rela-

tive as a result of the explosion of the Port of Beirut, with a value of (α = 0.018) that was statistically significant

Keywords: Resilience - social self-concept - stressful .events

1. مقدمة

عالميًا، تعرّض العالم في ربيع 2020 إلى موجةٍ وبائيّةٍ لفيروس كورونا- كوفيد 19 أعلنت منظّمة الصّحة العالميّة أنّه يمكن وصف الفيروس بأنّه جائحةٌ خلال مؤتمرٍ صُحفيّ عقده المدير العامّ للمنظّمة في جنيف في آذار 2020 (World Health Organization, 2020) ، أوْدَت بحياة العديد من المصابينَ وأدّت إلى التّوقف القسريّ للحياة الّتي عهدتها البشريّة وتطلبت إجراءاتٍ جديدةٍ للحدّ من الإنتشار الوبائيّ أبرزها البقاء في المنزل والتّباعد المكانيّ فتحوّلت معظم الأعمال بما فيها العمليّة التّعليميّة التّعلميّة من الحالة الحضوريّة إلى العمل من المنزل وبات التّعلم عن بعد الوسيلة الوحيدة لاستكمال العامّ الدّراسيّ.

أمّا في لبنان، أقفلت المدارس أبوابها نتيجة جائحة كورونا في العامّ الدّراسيّ 2020-2019، وكان قد سبق ذلك الإقفال المستمرّ لغاية العامّ 2021-2020 مجموعةٌ من الإقفالات المتقطّعة نتيجة العوامل الإقتصاديّة والاجتماعيّة والأمنيّة ، ممّا ساهم بالإنقطاع القسريّ عن التّعلم الحضوريّ واستبداله بعمليّة التّعلم عن بعد الّتي كانت لها تحديّاتها، الّتي بدورها أثّرت على تفاعلات المتعلّمينَ وحدّت من إمكانية اكتشافهم ومعرفتهم لقدراتهم وإمكاناتهم.

بالإضافة للجائحة العالميّة، تعرّض اللّبنانيونَ لضغوطاتٍ وأزماتٍ وصدماتٍ عديدةٍ منذ العام 2019 تزايد نتيجتها معدّل الفقر (Blair, 2022)؛ بالإضافة إلى ذلك، هزّ في آب 2020، انفجار في مرفأ العاصمة بيروت، جميع أنحاء البلاد وصُنِّفَ ضمن أكبر الإنفجارات غير النّوويّة في تاريخ البشريّة، والنّاتج عن إنفجار ما يقارب من 2750 طنًا من نترات الأمونيوم المخزنة بشكل غير صحيح والذّي خلّف ما لا يقلّ عن 215 ضحيّة وآلاف الجرحى وتدمير مساحاتٍ شاسعة من بيروت (Azhari & Abi Nader, 2022; Amos & Rincon, 2020) وكان له أثارُ نفسيّةٌ وإجتماعيّةٌ وإقتصاديّةٌ على سكّان العاصمة وضواحيها.

كلّ ما ذُكِرَ، وخاصّةً الأعداد الكبيرة من الوفيّات المُعلن عنها بسبب إنفجار المرفأ والإصابة بفيروس كورونا (10.359 حالة وفاة جرّاء الإصابة بالفيروس (الجمهورية اللّبنانية وزارة الصّحة العامّة، 2022)، 215 ضحيّة نتيجة تفجير مرفأ بيروت (Azhari & Abi Nader, 2022))، شكّل عواملًا ضاغطةً تحتاج مستوى معيّنًا من المرونيّة النّفسيّة لمواجهتها، إذ تشكّل المرونيّة عاملاً وقائيّا للحماية من الضّغوطات النّفسيّة والأحداث الضّاغطة بما فيها الخسارة والصدمات، كما تساعد في إدارة مستويات التوتر وأعراض الإكتئاب؛ إنّها مؤشّر إلى قوّة وثبات العقل للتّعامل مع التّحديات والإختبارات الّتي تواجه الفرد (Hurley, 2020). كما يعتبر مفهوم الذّات أحد المحدّدات الرّئيسيّة للسّلوك الإنسانيّ ومساهمًا في قدرة الفرد على مواجهة الضّغوطات ومطالب الحياة، وهو موردٌ داخليٌّ أساسيّ لتشكيل مستوى معيّنَا من المرونيّة لمواجهة الأزمات والضّغوطات (عبدالرؤوف، 2018).

يتشارك كلا المفهوميْنِ في تشكيلهما بالموارد أو العوامل الذّاتيّة، والبيئة العائليّة والدّعم العائليّ الاجتماعيّ(يعقوب ودمعة، 2015 ؛ عبد الرؤوف، 2018)

وبعد انقطاعٍ دام لعامٍ ونيّف، عادت المدارس لتفتح أبوابها وتستقبل المتعلّمينَ حضوريًّا في العامّ الدّراسيّ 2022-2021، مع تطبيق كافة الإجراءات الوقائيّة للحماية من فيروس كورونا، منها ارتداء القناع الواقي، التّباعد الجسدي داخل وخارج الغرف الصّفيّة، استبعاد كلّ ما يمكن للمتعلّمينَ مشاركته... (الجمهورية اللبنانية وزارة التّربية والتّعليم العالي، 2020) فعادت التّفاعلات الاجتماعيّة وانخراط المتعلّمين ضمن المجموعات للواجهة من جديد.

غير أنّه بعد مرور فترةٍ زمنيّةٍ، تبيّن لنا أثر تلك الأحداث الضّاغطة على مجموعةٍ من المتعلّمينَ على التّفاعلات الاجتماعيّة الإيجابية والانخراط بالمجموعات، خاصةً المراهقين منهم، فمنهم من خسر أو تضرّر منزله، وفقد أقارب له أو أصيب جسديًّا جراء الإنفجار، أو فقد أقارب له جراء إصابتهم بفيروس كورونا، ومنهم من أصيب بالفيروس وكانت له تداعياته السّلبيّة على صحتّه النّفسيّة والجسديّة؛ كما قد يعود ذلك للإجراءات المذكورة الّتي أعاقت إلى حدًّ ما عمليّة التّفاعل فيما بينهم، والانخراط بالمجموعات وبالتّالي عدم تلقي الدّعم الاجتماعيّ اللّازم، وبالتّالي، أعاقت عمليّة تطوير مفهوم الذّات الإجتماعيّ نظرًا لكون العوامل المذكورة تؤثّر على تطوّر المفهوم.

وتعتبر المراهقة مرحلة ذات أهميّة ٍكبيرة ٍبين مراحل نموّ الفرد كونها مرحلة انتقاليّة بين الطّفولة والرّشد، يتمّ فيها تكوين سلوكيّات الفرد وأنماط حياته (Gonzalez et al., 2019) يتراوح فيها النّمو بين قطبيْنِ، وضوح الهوية مقابل غموض الدّور (يعقوب ودمعه، 2015)، يحقّق خلالها الفرد إنجازاتٍ تساعده في تحقيق ذاته، ينخرط بالجماعات أو يرفضها وينطوي على نفسه، يبني خلالها علاقاتٍ اجتماعيّة ًوصداقاتٍ مغلقةً بعيدةً عن أهله ومع الجنس الآخر، تتمو لديه النّزعة للإستقلاليّة والتّعايش مع المعايير الاجتماعيّة (Gerring & Zimbardo, 2013؛ سليم، 2002)، وتحقيق متطلبات النّمو السّويّ في تلك المرحلة يساهم في تعزيز مستوى المرونيّة النفسيّة لدى الفرد وهي عملية التّكيّف بنجاحٍ مع تجارب الحياة الصّعبة أو القاسية، خاصةً من خلال المرونة العقليّة والإنفعاليّة والسّلوكيّة والتّكيّف مع المتطلبات الخارجيّة والدّاخليّة (APA, n.d.). ولتحقيق تلك التّفاعلات الاجتماعيّة والتّكيّف الإجتماعيّ، وترتبط التّفاعلات الاجتماعيّة السّليمة والعلاقات النّاضجة بالصّورة الإيجابيّة عن الذّات(ده مير، 2014) أيّ بمفهوم الذّات الّذي يُعْتبر نوع من التّجارب العاطفيّة الذاتيّة الإيجابيّة في الحياة الاجتماعيّة حيث تتمكّن الذات، ككائن، من التعرف على المجتمع بما في ذلك المجموعات الاجتماعية والأفراد وتقييمه. (Wang, 2015). هو وصف الفرد وتقييمه لذاته، بما في ذلك خصائصه النّفسيّة والجسديّة، مهاراته وحسناته، والأدوار الّتي يقوم بها. تساهم مفاهيم الذّات في إحساس الفرد بهويّته مع مرور الوقت (APA, n.d.) ومفهوم الذّات الاجتماعيّ تحديدًا هو شكل من أشكال مفهوم الذّات ويمثل مدركات الفرد لذاته وتصوراته حولها كما يعتقد أن الآخرين يتصورونها ويقومونها، ويتكوّن ويدركه الفرد عبر التّفاعلات الإجتماعيّة مع الآخرين ومواقفهم وسلوكهم تجاهه. (زهران، 2003)

وتعتبر المدرسة بالنّسبة للمراهق، المسؤولة بشكلٍ كبيرٍ عن تفاعلاته. في داخلها تكتمل جميع جوانب النّمو لدى المتعلّم، من المعرفيّة إلى الوجدانيّة مرورًا بالإجتماعيّة. كما وتتشكّل فيها شخصيّته بشكلٍ أساسيّ، لأنّها تشكّل جزْءًا بارزًا منها، فيها يتواصل مع أقرانه ويطوّر علاقاته بهم، وينمّي ويطوّر معارفه وقدراته ومهاراته. يختبر المراهق فيها العلاقات الإيجابيّة مع مدرّسيه ممّا يؤثّر على نموّه الإيجابيّ (American Psy-chological Association, 2002)

وبالإضافة لما ذُكِر في دور المدرسة، فهي تؤدّي دورًا أساسًا في تكوين مفهوم الذّات الإيجابي ّعند الطّفل كونها تُظْهِر له إمكاناته وقدراته وما يستطيع تعلّمه وإنجازه (الخرعان، 2016)، ونظريًّا، في الأدبيّات، يرتبط مفهوم الذّات مع المرونيّة النفسيّة (Llistosella et al., 2019)

كلّ تلك الأحداث الصّادمة والضّاغطة المذكورة، تجعلنا نتساءل حول مستوى المرونيّة النّفسيّة لدى المتعلّمين المراهقين ومستوى مفهوم الذّات الاجتماعيّ لديهم أيضًا.

إذًا، ممّا تقدّم، تتمثّل إشكاليّة البحث بالسّؤال التّالي: إلى أيّ مدى يوجد ارتباط بين مفهوم الذّات الاجتماعيّ والمرونيّة النّفسيّة لدى عيّنة من متعلميّ الصّفّ التّاسع الأساسيّ في إحدى مدارس منطقة جبل لبنان الرّسميّة المختلطة؟

مشكلة الدّراسة

تنبع مشكلة هذه الدّراسة من واقع تمّت ملاحظته لدى مجموعةٍ من المتعلّمين المراهقين وهو صعوبة تفاعلهم الاجتماعيّ وانخراطهم من جديد ضمن المجموعات في المدرسة بعد العودة للتّعليم الحضوريّ، وبعد كلّ ما مرّوا به من أحداثٍ ضاغطةٍ.

والسّؤال الأساسيّ هو: ما علاقة مفهوم الذّات الإجتماعيّ بالمرونيّة النّفسيّة لدى عيّنة من متعلميّ الصّف التّاسع الأساسيّ في إحدى مدارس منطقة جبل لبنان الرّسميّة المختلطة؟

أسئلة البحث

أسئلة البحث الّتي تتفرّع من السّؤال الأساسيّ هي:

1. هل يوجد إرتباط بين مفهوم الذّات الإجتماعيّ والمرونيّة النّفسيّة لدى متعلميّ الصّفّ التّاسع الأساسيّ في إحدى مدارس منطقة جبل لبنان الرّسميّة المختلطة؟
2. هل هناك فروق ذات دلالةٍ إحصائيّةٍ في مستوى مفهوم الذّات الإجتماعيّ والمرونيّة لدى متعلميّ الصّفّ التّاسع الأساسيّ في إحدى مدارس منطقة جبل لبنان الرّسميّة المختلطة تعزى لمتغيّر الجنس؟
3. هل هناك فروق ذات دلالةٍ إحصائيّةٍ في مستوى مفهوم الذّات الاجتماعيّ والمرونيّة لدى متعلمي الصّفّ التّاسع الأساسيّ في إحدى مدارس منطقة جبل لبنان الرّسميّة المختلطة تعزى لمتغيّر المستوى العلميّ للأهل؟
4. هل هناك فروق ذات دلالةٍ إحصائيّةٍ في مستوى مفهوم الذّات الاجتماعيّ

والمرونيّة لدى متعلمي الصّفّ التّاسع الأساسيّ في إحدى مدارس منطقة جبل لبنان الرّسميّة المختلطة تعزى لفقدان أحد الأقارب؟

أهداف وأهميّة البحث

تكمن أهميّة هذا البحث في دراسة كلّ من مفهوم الذّات والمرونيّة النّفسيّة وارتباطهما بالواقع المعاش لدى المراهقين من ضغوطاتٍ نتيجة ما يتعرّضون له من أحداثٍ أمنيّةٍ ووبائيّةٍ وإقتصاديّةٍ ووضع اقتراحاتٍ علميّة وتطبيقيّة لمعالجة مشكلة هذا البحث الإجرائيّ؛ وبالتّالي، يهدف هذا البحث إلى:

- قياس مدى ارتباط مفهوم الذّات الإجتماعيّ بالمرونيّة النفسيّة
- قياس مستوى المرونيّة النفسيّة لدى عينة البحث
- قياس مستوى مفهوم الذّات الاجتماعيّ لدى عينة البحث

حدود الدّراسة

تتمثّل الحدود المكانيّة للدّراسة في إحدى مدارس محافظة جبل لبنان الرّسميّة المختلطة الّتي فتحت أبوابها لممارسة التّعليم الحضوريّ، والّتي رُصدت فيها مشكلة الدّراسة.

أمّا الحدود الزّمانيّة فهي الفصل الأوّل من العام الدّراسيّ 2022-2021، بعد مرور شهريْنِ على بدء العامّ الدّراسيّ.

مفاهيم البحث

المرونيّة: تعود أصول مفهوم «المرونيّة» إلى الفيزياء: إنّها قدرة المواد على مقاومة الصّدمات أو استعادة شكلها الأوّليّ بعد أن كانت مضغوطة أو مشوّهة. معامل المرونة هي النّسبة بين الطّاقة المطلوبة لكسر جسم ما ومساحة المقطع المكسور. إنّها خاصيّة ميكانيكيّة تحدّد مقاومة تأثير المادّة ("Resilience", n.d.).

عرّفتها الجمعيّة الأميركيّة لعلم النفس على أنّها "عملية التّكيّف لمواجهة الشّدائد والصّدمات والمآسي والتّهديدات أو حتّى المصادر المهمّة من الضّغوطات مثل المشكلات العائليّة والاجتماعيّة والمشكلات

الصّحيّة الخطيرة أو الضّغوطات الماليّة وأماكن العمل، إنّها تعني الارتداد إلى الحالة السّويّة من الخبرات

الصّعبة" (American Psychological association, 2009)

بالنّسبة لـ Boris Cyrulnik تحدّد المرونيّة القدرة على النّموّ والتّطوّر حتّى في البيئات المُتداعية، وهي عمليّة تطوّريّة، مؤلّفة من مجموعة من الظّواهر المنسّقة حيث يتسلّل الفرد في سياقٍ عاطفيّ وثقافيّ خاصّ. المرونيّة هي فنّ الإبحار في التّيارات الجارفة .(Cyrulnik, 2001)

أمّا إجرائياً فهي تعني الدرجة التي يحصل عليها المشاركون على مقياس المرونية المستخدم في الدراسة الحاليّة.

مفهوم الذّات الاجتماعيّ: بحسب الجمعيّة الأميركيّة لعلم النفس، هو وصف الفرد وتقييمه لذاته، بما في ذلك الخصائص النّفسيّة والجسديّة والصّفات والمهارات والأدوار وما إلى ذلك. تساهم مفاهيم الذّات في إحساس الفرد بهويّته مع مرور الوقت. ويسمّى أيضًا التّقييم الذّاتي. ("Self-concept", n.d.)

أمّا إجرائياً فهي تعني الدرجة التي يحصل عليها المشاركون على مقياس مفهوم الذات الاجتماعيّ المستخدم في الدراسة الحاليّة.

بالنسبة لشافيلسون وزملائه، هو تنظيم هرميّ يحتلّ فيه مفهوم الذّات العامّ رأس الهرم، ونجد في المستوى الثّاني مكونات مفهوم الذّات الأكاديميّ وغير الأكاديميّ الّذي يمثّل تصوّرات الذّات الجسديّة والاجتماعيّة (سكريّة وآخرون، 2022).

الأحداث الضّاغطة: هي مجموعة من الأحداث المستجدّة ويعرّفها Zhang (2017) بأنّها الأحداث الغير مستحبّة، الّتي يمكن أن تتعلّق بالصّحة، والعلاقات الاجتماعيّة والبيئيّة، وعلى سبيل المثال الإصابة بالمرض، ووفاة قريب في العائلة. وقد تؤدي هذه الأحداث إلى محاولات تكيّفية يقوم بها الفرد، ويمكن لهذه الأحداث أن تضعف من مقاومة الجسم، وترفع احتمال حدوث المرض. يتّفق هذا التّعريف مع تعريف Maquet & all (2020) ويضيف إن هذه الأحداث الغير مستحبّة ممكن أن تكون مجموعة خبرات تسبّب إعادة تكيّف، وتتطلب قيام الفرد بردود فعل بهدف استعادة التّوازن المفقود.

أمّا إجرائيًّا، وفي حدود هذا البحث، فهي تتمثّل بخسارة أحد المقربين جاء إنفجار مرفأ بيروت و/أو إصابته بفيروس كورونا (COVID-19)

2 – الإطار النّظريّ والدّراسات السّابقة

1.2. الإطار النّظريّ

مفهوم الذّات الاجتماعيّ

يشير مفهوم الذّات عمومًا إلى تصوراتنا عن أنفسنا، كيف نرى قدراتنا ومواقفنا، سماتنا، ومعتقداتنا وتوقعاتنا، يمكن اعتباره الصّورة الذّهنيّة لمن نحن. فهو يعكس مدركات الفرد حول ذاته. إنّها محاولتنا لشرح أنفسنا لأنفسنا، لبناء مخطّط «سكيما»، بحسب Piaget، لتنظيم انطباعاتنا ومواقفنا ومعتقداتنا عن أنفسنا.

يتكوّن من الوعيّ الذاّتي وتقدير الذّات الّذي يحدّد موقف الفرد تجاه نفسه، وقد يؤثّر وجود مفهوم الذّات الإيجابي على رفع مستوى المرونيّة، غير أنّ هذا النّموذج أو المخطط هو غير ثابت وقابل للتّغيير، فتصوّرات الفرد عن ذاته قد تتغيّر من موقفٍ لآخر ومن مرحلةٍ عمريّةٍ لأخرى. (Woolfolk, 2017 ; Katz et al., 2019)

قد يسأل الأطفال والمراهقون أنفسهم باستمرارٍ، « كيف أبلي؟ « إنّهم يقيسون ردود الفعل اللّفظية وغير اللّفظية للأفراد المهمّين في حياتهم، وآبائهم وأفراد أسرتهم الآخرين في السّنوات الأولى من حياتهم، ثمّ لاحقًا يعتمدون على ملاحظة ردود أفعال الأصدقاء والأقران والمعلّمين لإصدار هذه الأحكام. (Woolfolk, 2017)

إنّ لدراسة مفهوم الذّات تاريخ طويل في مجال الأبحاث والدّراسات النّفسيّة، تتميّز أقلّه بخمس نقاطٍ معرفيّةٍ تحوّليّةٍ.

أولاً، كانت مساهمة جيمس (1890) حاسمة في الاهتمام العلميّ بعلم نفس الذّات، كما يعود له الفضل بتعدّد أبعاد هذا البناء، ووفقًا له يمكن تقسيم أنا الذّات Me–Self إلى ثلاثة مكوّنات: الذّات الماديّة، الذّات الاجتماعيّة، والذّات الرّوحيّة. تشير الذّات الماديّة إلى الذّات الجسديّة ويلعب الإحساس بالجسد دورًا في تنمية الشّعور بالذّات. وتشير الذّات الاجتماعيّة إلى الأدوار الاجتماعيّة، بالمعنى الصّحيح، تتعدّد مفاهيم الذّات الاجتماعيّة للفرد بتعدّد علاقاته الإجتماعيّة وعدد الأفراد الّذين يحملون له صورة معيّنة في أذهانهم؛ ويعود تكوين الذّات الاجتماعيّة الإيجابيّة إلى المشاعر والتّفاعلات الإجتماعيّة الّتي يختبرها الفرد داخل مجموعة مهمّة في نظره. (Jhangiani et al., 2014)

ثانيًا، أعادت الثّورة المعرفيّة موضوع الذّات إلى الواجهة بعد إقصائها من قبل السّلوكيّين، وقد سمحت بدراسة الأفكار والتّفاعلات الدّاخليّة بهدف تعديلها. ذلك أن إحدى المهام الرّئيسيّة لعلم النّفس المعرفيّ هي بناء معرفة جديدة حول ما يدور في عقل الفرد، فأصبحت الصّورة/الرّؤية الذّاتيّة جديرة بالإهتمام، ممّا أدّى إلى التّركيز على كيفيّة معالجة وتشفير وتنظيم واسترجاع الذاّت، بالإضافة إلى دراسة الرّؤية الذّاتيّة self-views. وهكذا، تشير الذّات إلى الإدراكات الّتي تلتقط تعريف الفرد عن الذّات، وكيف يتمّ ترميزها وتنظيمها واسترجاعها بغية التّكيّف النّفسيّ للفرد.

ثالثًا، ساهم الإدراك الاجتماعيّ بزيادة الإهتمام العلميّ بمفهوم الذّات. فالإدراك الإجتماعيّ هو دراسة كيفيّة فهم الفرد للآخر ولذاته، هي دراسة لعمليّة بناء معرفة الذّات – self-knowledge لدى الأفراد وإدراكهم لبيئتهم الاجتماعيّة، كما يدرس كيف ينتج الأفراد هذه المعرفة أو يعيدون إنتاجها اجتماعيًّا بالإضافة إلى تأثير هذه المعرفة على السّلوك الإجتماعيّ.

تجمع المعرفة معلومات منظّمة عن الذّات، وتساهم في بناء السّلوك الاجتماعيّ والتّكيّف النّفسيّ للفرد، وبالتّالي، تصبح الذّات مفتاحًا لفهمنا للصّحّة العقليّة ليس مجرد بنية قويّة للمعرفة.

رابعًا، عزّز التّقدّم في مجال القياس النّفسيّ الإهتمام بمفهوم الذّات، فالتّفاعل بين النّظريّة والقياس موضوع جدليّ إذ تعمل النّماذج النّظريّة على تحسين الإجراءات الّتي تساهم في إثرائها، كما وساهم تطوير الأدوات على أسس نظريّة وتجريبيّة لقياس أبعادٍ متعددةٍ لمفهوم الذّات بتطوير الأبحاث حول مفهوم الذّات.

خامسًا، من خلال تقديم مفهوم الذّات الضّمنيّ، يوفّر الإدراك الإجتماعيّ الضّمنيّ أحدث التّطورات في علم النّفس لجهة مفهوم الذّات والّذي قدّمه Greenwald and Banaji لوصف العمليّات المعرفيّة الّتي تحدث خارج الوعي المدرك أو التّحكم الواعي فيما يتعلّق بالبنى النّفسيّة الاجتماعيّة، مثل المواقف والأفكار النّمطيّة ومفهوم الذّات. مقارنةً بمفهوم الذّات المدرك أو الواعي، يُعرَّف مفهوم الذّات الضّمنيّ عمومًا بأنّه مفهوم يتمّ الاحتفاظ به خارج الإدراك الواعي، أو خارج إطار معرفة الذّات، والّتي يَتَعَذّر الوصول إليها من خلال الإستبطان

فيما يتعلّق بمكونات الذّات، يؤثّر مفهوم الفرد عن ذاته بشكل مباشر على تشكيل سلوكه وتفاعلاته وتكوين شخصيته (Boyd & Bee, 2014)، لذا تلعب إدراكات الفرد حول ذاته دورًا أساسيًا في عمليّة بناء مفهوم الذّات الإيجابيّ والواقعيّ لدى الفرد، وتتكوّن الذّات من تلك الإدراكات وتقييم الفرد لها.

كما وتشكّل أفكار الفرد تجاه ذاته النّواة الأساسيّة الّتي تقوم عليها شخصيّته وتكيّفه الشّخصيّ والإجتماعيّ، ويتكوّن مفهوم الذّات من جميع تلك الإدراكات وتقييم الفرد لها وتتمثّل بالجوانب التّالية:

الجانب الجسديّ، العقليّ، الإنفعاليّ، الاجتماعيّ والجانب المهنيّ.

قدّمت horni مفهومًا ثلاثيًّا للذّات مفاده بأنّ الذّات المثاليّة هي مفهوم رئيسيّ عامّ وهامّ في تحقيق التّوافق النّفسيّ تسعى لتحقيق الإستقلال والإكتفاء الذّاتيّ، وقد تفشل في تحقيقهم في حال كانت غير واقعيّة، مع الإشارة إلى أنّ الذّات الواقعيّة تشير إلى الفرد بمجموع خبراته وقدراته وحاجاته وأنماط سلوكه.

بحسب hall & Lindzey يشكّل مفهوم الذّات الإطار المرجعيّ الّذي يزوّد الفرد بالقوّة والمرونيّة، يمكن تقويم الشّخصيّة وتعديل السّلوك من خلاله، كما وتعتبر الذّات الحقيقيّة القوى المركزيّة والدّاخليّة الّتي تميّز الفرد وتشكّل مصدر نموّ طاقته، ميوله وقراراته ومشاعره. (عبدالرؤوف، 2018)

هو تنظيم ديناميكيّ يعتمد على التّفاعلات مع بيئة الفرد، كما يعتبر مفهوم متعدّد الأبعاد، ويتكوّن بحالته الشّاملة من مفاهيم أكثر تحديدًا. وفقًا لشافيلسون وزملائه، هو تنظيم هرميّ يحتلّ فيه مفهوم الذّات العامّ رأس الهرم، ونجد في المستوى الثّاني مكونات أكثر تحديدًا هي مفهوم الذّات الأكاديميّ وغير الأكاديميّ.

يتشعّب من مفهوم الذّات الأكاديميّ المواد المتخصّصة مثل الرّياضيات، اللّغات والعلوم. أما مفهوم الذّات غير الأكاديميّ فيتكوّن من مفهوم الذّات الجسديّ، الإنفعاليّ (العاطفيّ) والإجتماعيّ الّذي يتطوّر في سياق التّفاعلات الاجتماعيّة للفرد. (Dapp & Robers, 2018; Ledrich & Gana, 2012 p. 74))

وقد حدّد « Herbert Marsh» وزملاؤه ما يقارب 17 مفهومًا مختلفًا للذات في المجالات الأكاديميّة (اللّفظية، والرّياضيّات، وحلّ المشكلات، الفنّ، والمعلوماتيّة)،

والمجالات غير الأكاديميّة (المظهر الجسديّ، والشّعبيّة، والجدارة بالثّقة، والعلاقات مع الوالدين، والإستقرار العاطفيّ) (Woolfolk, 2017).

أمّا مفهوم الذّات الاجتماعيّ فهو شكل من أشكال مفهوم الذّات ويمثّل مدركات الفرد لذاته وتصوّراته حولها كما يعتقد بأنّ الآخرين يتصورونها ويقيّمونها، ويتكوّن ويدركه الفرد عبر التّفاعلات الإجتماعيّة مع الآخرين. (زهران، 2003)

يتميّز مفهوم الذّات بنوعين: المفهوم الإيجابيّ للذّات، الذي يمكّن الفرد من الإنفتاح على كلّ ما هو جديد، واكتشاف قدراته الكامنة. والمفهوم السّلبي للذّات الذّي يجعل الأفراد قلقين غير متقبلين للخبرات السّلبيّة في حياتهم. تؤثّر سيطرة الاتجاهات السّلبيّة نحو الذّات والآخر على سلوك الفرد وبالتّالي على تكيّفه الإجتماعيّ (درويش، 2016)

تؤثّر مجموعة من العوامل في تكوين مفهوم الذّات، نذكر منها:

- التّأثيرات الأسريّة، ونعني بها أثر إدراك الفرد لاتجاهات والديه نحوه.
- التّأثيرات الجسميّة، والّتي تعني أثر صورة الجسد الّتي يرسمها الفرد على بناء مفاهيم ذاتيّة معيّنة.
- الخبرات المدرسيّة النّاتجة عن تقويم المعلّمين للمتعلّم وخبراته مع النّجاح والفشل.
- التّواصل مع الأقران.
- مستوى الطّموح.
- المستوى الاجتماعيّ والإقتصاديّ للأسرة...
- اللّغة
- التّفاعلات والعلاقات الاجتماعيّة للفرد. (عبدالرؤوف، 2018؛ ده مير،2014).

النّظريّات الّتي عالجت مفهوم الذّات هي نظريّة التّحليل النّفسيّ لفرويد، نظريّة الذّات لكارل روجرز، نظريّة السّمات، نظريّة ماسلو، نظريّة جورج ميد ونظريّة جيمس سينج وكومبيس [...] (أسكيري، 2014)

1.1.2. المرونيّة النّفسيّة

يمكن ردّ مصدر مفهوم «المرونيّة» إلى الفيزياء، وهي خاصيّة الأجسام الّتي لها القدرة على الرّجوع إلى شكلها وأبعادها الأصليّة بعد التّخلص من الضّغط . إنّها خاصيّة ميكانيكيّة تحدّد نسبة الإجهاد المطبّق على جسم معيّن والتّشوّه المرافق له وقدرة هذا الجسم للعودة لشكله وأبعاده الأوليّة بعد زوال الأسباب (".Resilience", n.d).

التّأثيرات الأكثر شهرةً على انتشار مفهوم المرونيّة نذكّر نظريّة التّعلّق ل«-J. Bowl by» التّعلّق (1970-1960) وهي من النّظريّات الرّئيسيّة الّتي ساهمت في بناء الإطار النّظريّ للمرونيّة النّفسيّة، العديد من الدّراسات حول الإجهاد والتّكيّف، تحليل عوامل الخطر والإختلافات بين الأفراد ومواجهة الإجهاد والصّدمات، تحليل عمليّات الحماية الفرديّة والاجتماعيّة والبيئيّة، ودراسات عمليّات النّمو في كافة الجوانب الحياتيّة (Anaut, 2005)

تعتبر أبحاث E. Werner واحدة من أوائل الأبحاث الّذين استخدموا مصطلح المرونيّة، وتمثّلت عينتها من مجموعة أطفال من كاوئي – هاواي، الّذين ترعرعوا في ظلّ أسر تعاني من إدمان الكحول، أمراض نفسيّة والبطالة. وجاءت النّتائج أنّ ثلثي الأطفال أظهروا سلوكيّات غير سويّة (هدّامة) في سنوات مراهقتهم، ومع ذلك لم يظهر الثّلث الباقي من المراهقين وعائلاتهم سلوكيّات هدّامة وأظهروا سمات وخصالاً مختلفة فسمّتهم ورنر بالمجموعة المرنة (Werner, 1971 : Werner, 1989). وفي عام 1985 نشر M. Rutter مقالاً بعنوان «الشّدائد». وهكذا، توالت الأبحاث في هذا المجال، حيث نشر A. Masten في عام 1990 ، مقالًا يتناول المرونيّة لدى الأطفال الّذين تعرّضوا للضّغوطات والصّدمات، وعلاقتها بنمّوهم. (;Anaut, 2011 Lonescu, 2011

ويعتبر بوريس سيرولنيك من روّاد المرونيّة، ففكرة التّحوّل لا غنى عنها في عملية النّموّ واكتساب المرونيّة عند الأطفال. عن طريق الخيال المُبدع والتّكيّف بشكل مُرضيّ لمقاومة الضّغوط والتّجارب، وتحويل الصّدمة والظّروف القاسية إلى تجربة وإيجابيّة .

(Cyrulnik, 2001)

وقد طوّر «بوريس سيرولنيك» هذا المفهوم من خلال ملاحظة الأفراد والنّاجين من معسكرات الإعتقال، بما في ذلك أطفال دور الأيتام الرّومانيّة وأطفال الشّوارع البوليفيّين. بالنّسبة له، تحدّد المرونيّة القدرة على النّمو والتّطوّر والتّقدّم حتّى في البيئات المضطربة. إنّها عمليّة مؤلّفة من مجموعة من العوامل والمكوّنات المتناسقة، هي فنّ التّنقّل في السّيول الجارفة [...]

تتطلب المرونيّة توفّر «موارد» في ذاكرة الفرد لتمكّنه من المقاومة والصّمود كي لا ينجرف في المنحدر الطّبيعيّ للصّدمات الّتي تجعله يتخبّط ويغرق، وهذه الموارد تبنى في الذاكرة من خلال أحلام اليقظة وفي أدب الأطفال والغناء والموسيقى والمسرح والحركة الكشفيّة والرّياضة واللّعب والفنون التّشكيليّة وبرامج الخدمة الاجتماعيّة. مع التّأكيد على فعّالية المدرسة وما لديها من أنشطة. وبالتّالي، الوصول بالطّفل / المراهق للشّعور بالفرح والرّضا عن الذّات والحياة (Cyrulnik, 2001).

ومن هذه الصّدمات الّتي تتطلب مرونيّة نفسيّة (Reivich & Gilham, 2010):

- فقدان أحد الأقارب،
- عوامل الخطر (مثل الأحداث الأمنيّة، تفشي الأوبئة)،
- الضّغوطات اليوميّة (مثل الضّغوط الأكاديميّة: الانتقال من التّعلّم التّقليديّ إلى التّعلّم عن بعد، وضغوطات اجتماعيّة).

المرونيّة هي أحد الموارد الشّخصيّة الّتي تقول بقدرة الفرد على مقاومة ومواجهة الضّغوطات الخارجيّة، والأحداث الصّادمة والنّهوض بقوّة من جديد. ويمكننا القول بأنّ أحد مكوّنات المرونيّة هي، أوّلاً الصّلابة والمقاومة (Pollock & Duffy, 1990)، وثانيًا امتلاك الفرد لقدرات ومهارات تساعده على التّفاؤل لاستعادة قوّته مجدّدًا. يعيق عدم وجود هذيْنِ العامليْنِ، تنمية القدرات والمهارات، وبالتّالي النّموّ والتّطوّر، ممّا يؤثّر سلبًا على بناء سكيما (مفهوم ذات) على أسس متينة وصلبة (Gerring & Zimbar-do, 2013).

اهتمّ العلماء بتحليل العوامل المرتبطة بالحماية بمقاومة ومواجهة الأفراد الضّعفاء للظّروف الصّعبة والضّغوطات.

تقسم هذه العوامل إلى نوعين:

- عوامل شخصيّة
- عوامل بيئيّة أسريّة (Southwick & Charny, 2012)

1. العوامل الشّخصيّة: تعتبر العلاقات والتّعلّق الجيّد للطّفل بالآخرين، وبخاصّة الأمّ من خلال علاقة انفعاليّة وثيقة بينهما، ضروريّة للتّكيّف خلال الأزمات. الارتباطات الآمنة مع الكبار الّذين يشكّلون نموذجًا داعمًا وفعّالًا، تسمح للطّفل بأن يبادر، يجازف، ويتحمّل المعيقات سيّما في وضعيّات جديدة.

يدعم الباحثون، وخاصّة BOLWBY (1973)، من خلال التّجارب الّتي قاموا بها، فكرة أنّ العلاقات الّتي يقيمها الفرد في فترة الطّفولة، تساعد على تطوير نظم علاقاته الاجتماعيّة الّتي ترافقه طيلة حياته.

يعرف هذا النّموذج بأنموذج العمل الدّاخلي(Bretherton, 2008,). منه يخلق الفرد رؤيته الخاصّة حول تفاعلاته. وقد أشارت الأبحاث إلى أنّ نوعيّة العلاقات لدى الأطفال في عمر 15 شهرًا (آمنة أو غير آمنة)، تحدّد سلوكهم في المدرسة في سنّ 8 و 9 سنوات.

2. العوامل الأسريّة والبيئيّة: إنّ العوامل الشّخصيّة ليست كافية لبناء المرونيّة، إنّما يساهم الدّعم الأسريّ والبيئيّ، طوال الحياة، في إيجاد نموذج كفؤ (وصيّ) يتمتّع بالمرونيّة الكافية ليُحْتذى به – tutor of resilience بحسب «Cyrulnik. (El Zo-ghby et al., 2020)

تعتمد المرونيّة في بنيتها الدّيناميكيّة على العوامل الشّخصيّة والبيئيّة القابلة للتّغيير أو التّعديل بشكل نسبيّ، وقد تتّصف بالاستدامة مع المجموعة، وبخاصّة مع النّموذج (الوصيّ)_tutor الّذي يتمتّع بالمرونيّة(Lecomte, 2005). وإنّ أيّ مسار يتّصف بالمرونيّة، يكون ناتجًا عن التّوازن بين عوامل الخطر وعوامل الحماية (Lecomte, 2004).

المرونيّة هي عمليّة متعدّدة العوامل ناتجة عن التّفاعل بين الفرد وبيئته، بما في ذلك المتغيّرات الدّاخليّة للفرد (البنيّة النّفسيّة، الشّخصيّة، والآليات الدّفاعيّة ...) الّتي تضمن الصّحّة النّفسيّة، المتغيّرات الخارجيّة (خصائص البيئة الإجتماعيّة – العاطفيّة) ينتج

عنها أشكال محدّدة من المرونيّة.

إنّ التّفاعل بين عوامل الخطر وعوامل الحماية قد يؤدّي إلى تطوّر المرونيّة فنجد حالة من التّوازن الفكريّ والنّفسيّ للفرد تساهم في قدرته على احتمال الضّغوطات بدون انفعال زائد واضطرابات سلوكيّة، وغيابها يعرّض الفرد للهشاشة النّفسيّة، كما تلعب عوامل الحماية دور «الآليات الوسيطة» لتشكيل المرونيّة. هي قدرة الفرد على تنمية الذّات بكافة جوانبها، إنشاء علاقات ودّيّة مع الآخرين والمشاركة بالحياة الاجتماعيّة. (Bouterfas, 2014; Anaut, 2005). بمعنى آخر، تضمن المرونيّة تنمية مفهوم ذات موجب لدى الفرد، وتتكوّن من ثلاثة عوامل هي الشّعور بالكفاءة الذّاتيّة، النّموّ والتّطوّر والتّفاؤل.

الكفاءة الذّاتيّة: الشّعور بالفعاليّة هو الشّعور بالسّيطرة على الحدث والالتزام بالمشاركة في حلّ وضعيّة معيّنة. عرّفها Bandura (1997) بأنّها بناء أساسيّ يتعلّق باعتقاد الفرد بأنّه قادر على تقديم أفضل ما لديه في موقف معيّن. يؤثّر الشّعور بالكفاءة الذّاتيّة، بطرق متعدّدة، على إدراكات الفرد ودافعيّته وتخطيطه وآدائه.

عندما نعتقد أنّنا غير فعّالين، نتجنّب المواقف الصّعبة والتّحدّيات لأنّنا لا نشعر بالقدرة على ذلك.

يستند حكم الكفاءة الذّاتيّة للشّخص على ثلاثة مصادر للمعلومات:

- التّجربة غير المباشرة: مراقبة آداء الآخرين.
- الإقناع: يمكن للآخرين إقناعه بقدراته.
- المشاعر الّتي تثيرها المهمّة الّتي ينوي تنفيذها: يشير القلق إلى ضعف الأمل في الفعاليّة، بينما يشير الحماس إلى توقّع النّجاح في المهمّة. (Gerring & Zimbardo, 2013).

التّفاؤل: هو تبني الفرد للموقف القائل بأن الأمور الجيّدة ستحدث ، وأنّ رغبات أو أهداف الأفراد ستتحقّق في النّهاية. ("Optimism", n.d.)

إنّه الميل إلى النّظر إلى الصّعوبات والتّحديّات على أنّها جزء طبيعيّ من الحياة، كفرصة للنّموّ أو كتحدٍّ جذّاب. يتعارض هذا المكوّن مع الفكرة القائلة بأنّ الحدث يشكّل

تهديدًا وعدم ثقة وعدم استقرار (Brien et al., 2008).

النّموّ والتّطوّر: إنّه القدرة على التّكيّف بسهولة مع التّغييرات المفاجئة، مقترنة بخلق معنى للهدف في الحياة اليوميّة والتّحكّم الشّخصيّ بما يجري في الحياة. تخفّف الجرأة من الآثار السّلبيّة للضّغوطات النّفسيّة، وقد تشكّل عاملًا وقائيًّا ضدّ المرض ("Hardi–ness, n.d.)، كما أنّه يحدّد ميل الفرد إلى الشّعور بالتّقدّم والتّرفّع أو الشّعور بالثّراء، أي ما يعرف بازدياد المعرفة بعد التّعرّض لحدثٍ ضاغط أو مرهق (Brien et al., 2008).

تساهم مجموعة من العوامل في تكوين المرونيّة إذ تظهر العديد من الدراسات أنّ العامل الأساسيّ هو وجود علاقات رعائيّة وداعمة داخل الأسرة وخارجها. تساعد العلاقات الّتي تخلق الحبّ والثقة، والّتي تقدم نماذج يُحْتذى بها، وتوفّر التّشجيع والطّمأنينة في تعزيز المرونيّة.

هناك عدّة عوامل إضافيّة مرتبطة بالمرونيّة، وهي عوامل يمكن للفرد بناءها وتطويرها، منها: القدرة على وضع خطط واقعيّة والتّوقّف لتنفيذها، النّظرة الإيجابية للفرد لنفسه وثقته في نقاط قوّته وقدراته، توفّر مهارات في التّواصل وحلّ المشكلات لدى الفرد، والقدرة على إدارة المشاعر القويّة والاندفاع. (APA, 2009)

2.2 الدّراسات السّابقة

اطّلع الباحثان على مجموعة من الدّراسات العربيّة والأجنبيّة الّتي تناولت موضوعيّ المرونيّة النّفسيّة ومفهوم الذّات الاجتماعيّ وأحداث الحياة الضّاغطة؛ تعدّدت الدّراسات الأجنبيّة الّتي تناولت هذه المتغيّرات سويًّا، بينما فلم يعثرا على دراسات مشابهة باللّغة العربيّة، لذا اطلعنا على دراسات تناولت متغيّري المرونيّة النّفسيّة وأحداث الحياة الضّاغطة من جهة، ودراسات أخرى تناولت مفهوم الذات الاجتماعيّ وأحداث الحياة الضّاغطة من جهة أخرى، ويمكن تحديد هذه الدّراسات بالمحاور التّاليّة دراسات أجنبيّة تناولت العلاقة بين المرونيّة النّفسيّة ومفهوم الذّات، دراسات عربيّة تناولت المرونيّة النّفسيّة وعلاقتها بأحداث الحياة الضّاغطة ومواجهة الصّدمات.

أولاً، الدّراسات العربيّة الّتي تناولت المرونيّة النّفسيّة وعلاقتها بالأحداث الضّاغطة.

دراسة الزّهيري (2012) والّتي هدفت إلى التّعرّف على مستوى المرونيّة النّفسيّة

وعلاقتها بأحداث الحياة الضّاغطة لدى طلبة جامعة ديالي.

تمثّلت عيّنتها في 476 طالباً وطالبة من جامعة ديالي – العراق، بعد أن تمّ اختيارهم بالطّريقة العشوائيّة. واستخدمت الباحثة مقياس للمرونيّة النّفسيّة ومقياس أحداث الحياة لجمع البيانات ومعالجتها بالوسائل الإحصائية.

اعتمدت هذه الدّراسة على نوعيْنِ من المناهج البحثيّة، وهما: المنهج الوصفيّ، إلى جانب المنهج الكلينيكي.

وكان من أبرز نتائجها أنّ العيّنة تتّصف بمستوى مرتفع من المرونيّة النّفسيّة، ولاتوجد فروقات في مستوى المرونيّة النّفسيّة بحسب متغيّر الجنس والتّخصّص والصّفّ. وأشارت النّتائج إلى أنّه توجد علاقة سالبة بين المرونيّة النّفسيّة وأحداث الحياة الضّاغطة لدى العيّنة .

دراسة زيدان (2021) والّتي هدفت إلى تقييم المرونيّة النّفسيّة لدى الأسر المصريّة في ظلّ جائحة كورونا وعرض لأساليب مواجهة هذه الصّدمة من قبل الوالديْنِ ومعرفة العلاقة بين المرونيّة النّفسيّة للوالديْنِ وأساليب مواجهة الصّدمة النّفسيّة لجائحة كورونا لديهم.

طبّقت الدّراسة المنهج الوصفيّ الارتباطي، على عيّنة من (65) أسرة مصريّة متمثّلة في الوالدين. ولتحقيق أهدافها استخدمت الباحثة مقياسين من إعدادها: مقياس المرونيّة النّفسيةّ ومقياس أساليب مواجهة الصّدمة النّفسيّة

وكان من أبرز النّتائج وجود علاقة ارتباطية بين المرونيّة النّفسيّة وأساليب مواجهة الصّدمة النّفسيّة لدى الوالدين ولكن هناك تفاوت في الأساليب المستخدمة تبعاً لشخصية الوالدين وأيضًا تبعاً لاختلاف مستوى المرونيّة النّفسيّة لديهم.

دراسة عمار (2021) والّتي هدفت إلى الكشف عن مفهوم المرونيّة النّفسيّة، واكتشاف العلاقة التّنبؤيّة بين المرونيّة النّفسيّة والانفعالات الإجابيّة والضّغوطات المدركة.

تكوّنت عيّنة الدّراسة من (300) متعلّم تراوحت أعمارهم بين (11 – 14) عاماً. لجمع البيانات تمّ استخدام مقياس للمرونيّة النّفسيّة ومقياس للانفعالات الإيجابيّة ومقياس للضّغوطات المدركة.

أظهرت النّتائج أنّ مرتفعي المرونيّة النّفسيّة كانوا الأكثر شعوراً بمستوى مرتفع من الانفعالات الإيجابية وكانوا الأقل في الضّغوطات المدركة مقارنة بمنخفضي ومتوسطي المرونة النّفسيّة. كما أظهرت النّتائج أنّه يمكن التّنبؤ بالانفعالات الإيجابيّة من خلال أبعاد المرونيّة النّفسيّة، كما أنّ المرونيّة النّفسيّة تساعد على الحدّ من الضّغوطات المدركة.

ثانيًا، مجموعة الدّراسات الأجنبيّة التّي تناولت العلاقة بين المرونيّة النّفسيّة ومفهوم الذّات.

دراسة Ramirez-Granizo et al. ، (2020) الّتي هدفت إلى وصف وتحليل العلاقات بين الأبعاد المختلفة لمفهوم الذّات ومجموعة متغيّرات بينها المرونيّة النّفسيّة لدى عيّنة من (203) متعلّمًا تتراوح أعمارهم بين 11 و13 عامًا في مجموعة من المدارس الإبتدائيّة افي اسبانيا.

اعتمد الباحثون المنهج شبه التّجريبيّ واستخدموا مجموعة مقاييس لقياس مستوى المتغيّرات بينها مقياس كونور – ديفيدسون لقياس مستوى المرونيّة النّفسيّة.

أظهرت النّتائج أنّ الذّكور أكثر مرونيّة من الإناث، يتساوى الجنسين بمستوى مفهوم الذّات الإجتماعيّ، كما أظهرت النّتائج أيضًا أنّ المتعلّمين الّذين يتمتعون بمستوى مرونيّة نفسيّة مرتفع لديهم مستوى دافعيّة مرتفع تجاه العمل التّعاونيّ.

دراسة Wu et al.، (2018) الّتي هدفت إلى تحديد ما إذا كان مفهوم الذّات يتوسط العلاقة بين الغضب والمرونيّة للمرضى المراهقين الّذين يتعالجون من مرض السّرطان الّتي تكوّنت عيّنتها من 40 مراهقاً مصابًا بالسّرطان في إحدى مناطق الصّين.

اعتمد الباحث مقياس المرونيّة الصّينيّ ومقياس مفهوم الذّات الصّينيّ لجمع البيانات، وأظهرت النّتائج مفهوم ذات إيجابي مرتفع لدى عيّنة الدّراسة، كما أظهرت النّتائج أيضًا أنّ لمفهوم الذّات دور وسيط بين المرونيّة والغضب لدى العيّنة المشاركة.

اتضّح خلال استعراض بعض الدّراسات السّابقة أن هناك مجموعة من الدّراسات ربطت بين المرونيّة النّفسيّة وعلاقتها بأحداث الحياة الضّاغطة والإنفعالات الإيجابية كدراسة الزهيري، 2021 ودراسة عمار ، 2021، أمّا دراسة زيدان، 2021، فاستعرضت أثر جائحة كورونا وعلاقتها بالمرونيّة النّفسيّ.

أمّا الدّراسات الأجنبيّة فقد تميّزت عن الدّراسات العربيّة في تحليل العلاقة بين الأبعاد المختلفة لمفهوم الذّات والمرونية النفسيّة كدراسة راميريز، 2020، أما دراسة وو – Wu، 2018، فقد درست مفهوم الذات كعلاقة تتوسط الغضب والمرونيّة النفسيّة.

أمّا الدّراسة الحاليّة، تلتقي مع الدّراسات السّابقة في أهدافها المتمثّلة بقياس مستوى مفهوم الذّات الاجتماعيّ، ومستوى المرونيّة بعد جائحة كورونا وانفجار مرفأ بيروت لدى عيّنة الدّراسة، وقياس مدى الارتباط بين المتغيّرين.

3. منهجيّة الدّراسة

3.1 . منهج الدّراسة: تمّ اعتماد المنهج الإجرائيّ التّعاونيّ، كون البحث انطلق من مشكلة عمليّة وفعليّة ويهدف لمعالجتها، وقد تمّ التّعاون بين الباحثين والمبحوثين لجمع المعلومات، وبالتّالي سيصار للتّعاون مجدّدًا فيما بينهم لتطبيق الاقتراحات بناءً على النّتائج.

3.2. اختيار العيّنة

تمّ اختيار عيّنة قصديّة من متعلّمي إحدى مدارس جبل لبنان الرّسميّة بعد فتح المدارس أبوابها لممارسة التّعليم الحضوريّ، تمّ اختيار صفّ التّاسع الأساسيّ المنتمين لمرحلة المراهقة، وقد تجلّت لديهم مشكلة الدّراسة، أجاب على الاستبيان(46) متعلّمًا بعد الحصول على موافقة الإدارة.

3.3. خصائص العيّنة

يبيّن الجدول أدناه خصائص العيّنة الّتي شاركت في الاستبيان المكوّن من مقياسين، العوامل الضّاغطة والمرونيّة النّفسيّة، والّتي بلغ عددها (46) متعلّمًا وكانت النّسب على الشّكل الآتي:

إناث (47.8 %) وذكور (52.2 %)؛ تراوحت نسبة مستوى تعليم الأمّ بين (4.3 %) المرحلة التّكميليّة و(32.6 %) مستوى جامعيّ بينما (19.6 %) لا يعرفون مستوى التّعليم لدى أمّهاتهم، أمّا فيما يختصّ بمستوى تعليم الأب فقد تراوحت النّسب المئويّة بين (6.5 %) للمرحلة التّكميليّة، (26.1%) مستوى جامعيّ، (2.2%) أمّيّ و(21.7 %) لا يعرفون المستوى التّعليميّ لأبائهم.

(23.9 %) خسروا أحد المقرّبين بسبب فيروس كورونا، و(4.3 %) نتيجة إنفجار مرفأ بيروت.

جدول رقم 1 خصائص عيّنة الدّراسة

المتغيّر		العدد	النّسبة المئويّة
الجنس	إناث	22	47.8
	ذكور	24	52.2
معدل الأعمار	14.2		
المستوى التّعليميّ للأمّ	إبتدائي	8	17.4
	تكميليّ	2	4.3
	ثانويّ	12	26.1
	جامعيّ	15	32.6
	أميّ	0	.
	لا أعرف	9	19.6
	المجموع	46	100
المستوى التّعليميّ للأب	إبتدائي	9	19.6
	تكميليّ	3	6.5
	ثانويّ	11	23.9
	جامعيّ	12	26.1
	لا أعرف	11	23.9
	المجموع	46	100
خسارة أحد المقربين نتيجة فيروس كورونا	**نعم**	11	23.9
	كلا	35	76.1
	المجموع	46	100

خسارة أحد المقربين نتيجة انفجار مرفأ بيروت	نعم	2	4.3
	كلا	44	95.7
	المجموع	46	100

4.3. بناء الاستبانة

لقياس مستوى المرونيّة ومفهوم الذّات الاجتماعيّ لدى المتعلّمين المراهقين في إحدى مدارس محافظة جبل لبنان، منطقة بعبدا الرسميّة، تمّ بناء إستمارة باللّغة العربيّة للسّماح للمتعلّمين بالفرعين الفرنسيّ والإنكليزيّ بالمشاركة بالدّراسة.

تكوّنت الاستبانة من ثلاث فقرات، فقرة البيانات العامّة (الجنس، العمر، مكان السّكن، المستوى التّعليميّ للأمّ، المستوى التّعليميّ للأب، خسارة أحد المقربين نتيجة فيروس كورونا، خسارة أحد المقربين نتيجة انفجار مرفأ بيروت).

وفقرة ثانية تكوّنت مقياس تنسي لمفهوم الذّات ببعده الاجتماعيّ المكوّن من18 من إعداد قسم الصّحّة النّفسيّة، تنسي –1955، ثمّ طوّره «وليام فيتس» عام 1965، وأعدّ كلّ من (علاوي وشمعون، 1983) صورته العربيّة (أبو سعد، 2011)، أجاب عليها المشاركون على تردّد من ثلاث نقاط يتراوح من صفر (لا ينطبق علي تمامًا) إلى 2 (ينطبق عليّ تمامًا).

وفقرة ثالثة تكوّنت من مقياس المرونيّة النّفسيّة لكونور وديفيدسون(Conner & Davidson,2003) . لقياس المرونيّة النّفسيّة، والّذي يرمز له CD-RISD و يتألّف في صيغته الأولى من 25 فقرة لقياس المرونة وطُبّق على خمس عيّنات بلغ عددها 1305 للتّحقّق من الصّدق والثّبات، وقد بلغ معامل ألفا لكرونباخ (0.94)

وقد صيغت فقرات المقياس جميعها بطريقة إيجابيّة، وفق تدرّج ليكرت الخماسيّ إذ تشير الدّرجة العليا إلى ارتفاع مستوى المرونيّة والدّرجة المنخفضة إلى انخفاض المستوى.

وضع المقياس ليطبّق على الأفراد ما فوق ال 18 (الهاشمية، 2017)، غير أنّ مجموعة من الدّراسات قامت بتطبيقه وأثبتت فعّاليّته على عيّنة من الأطفال والمراهقين تتراوح أعمارهم بين 10 و 18 عامًا (لذا تمّ تطبيقه على عيّنة من متعلّمي الصّفّ التّاسع الأساسيّ المراهقين (The Connor-Da-vidson Resilience Scale, n.d.)، أجاب عليها المشاركون على تردّد من خمس نقاط يتراوح من صفر (تنطبق علي تمامًا) إلى 4 (لا ينطبق علي أبدا).

تمّ عرض الاستبيان على مجموعة من الاختصاصيّين للتّحقّق من صدقه، وإجراء معادلة ألفا كرونباخ – Alpha Chronbach للتّحقّق من ثباته، وقد بلغت معامل الثّبات لمقياس مفهوم الذّات الاجتماعيّ(α=0.79)، و(α=0.87) لمقياس المرونيّة النّفسيّة.

4. نتائج الدّراسة

للإجابة عن أسئلة الدّراسة، وبعد التّأكّد من أنّ جميع المتغيّرات تتبع التّوزيع الطّبيعيّ – Normal Distribution، تمّ استخدام اختبار one sample t.test لمعرفة كلّ من معدّل المرونيّة ومفهوم الذّات الاجتماعيّ؛ أمّا للتّأكّد من وجود تباين في مستوى المرونيّة ومفهوم الذات الاجتماعيّ بين الإناث والذّكور على مستوى متغيّرات الجنس، المستوى التّعليميّ للأمّ والأب، وخسارة أحد المقربين نتيجة فيروس كورونا وانفجار مرفأ بيروت فقد تمّ استخدام اختبار (ت) (Student T. Test) لمتغيّرات الجنس وخسارة أحد المقربين نتيجة فيروس كورونا وانفجار مرفأ بيروت، وتحليل التّباين (ANOVA) لباقي المتغيّرات، واختبار Pearson لمعرفة العلاقة الارتباطيّة بين المرونيّة النّفسيّة ومفهوم الذّات الاجتماعيّ لدى المتعلّمين، والعلاقة الارتباطيّة أيضًا بين متغيّر العمر وكلّ من المرونيّة النّفسيّة ومفهوم الذّات الاجتماعيّ وقد أظهرت النّتائج ما يلي:

1.4. العلاقة بين مفهوم الذات الاجتماعيّ ومتغيّر الجنس

جدول رقم 2 مستوى مفهوم الذات الاجتماعيّ وفقًا لمتغيّر الجنس

المتغيّر		العيّنة		المتوسّط الحسابيّ	الانحراف المعياري	درجة الحرّيّة	قيمة T	الدّلالة الإحصائيّة
الجنس	مفهوم الذات الاجتماعي	إناث	22	1.12	0.18	44	0.85	0.42
		ذكور	24	1.06	0.23			

للتّأكّد من وجود اختلاف في مستوى مفهوم الذّات الاجتماعيّ بين الإناث والذّكور، تمّ إجراء independent sample t-test، الّذي أظهرت نتائجه عدم وجود فروق على مستوى المرونيّة يُعزى لعامل الجنس، مع معدّل (1.12) للإناث، و (1.06) للذّكور بقيمة غير دالّة إحصائيًّا (α=0.42). مع الإشارة إلى أنّ مستوى مفهوم الذات الاجتماعيّ لدى عيّنة الدراسة متدنٍّ بمتوسّط حسابيّ (1.09) وانحراف معياريّ (0.21).

2،4. العلاقة بين مفهوم الذات الاجتماعيّ والمستوى التعليمّ للأهل

جدول رقم3 مستوى مفهوم الذات الاجتماعيّ وفقًا للمستوى التعليميّ للأهل

المتغيّرات		مصدر التّباين	مجموع المربّعات	درجة الحرّيّة	متوسّط المربّعات	قيمة F	الدّلالة الإحصائيّة
المستوى التّعليميّ للأب	مفهوم الذّات الاجتماعيّ	بين المجموعات	0.13	4	0.035	0.74	0.56
		داخل المجموعات	1.89	41	0.046		
		المجموع	2.03	45			
المستوى التّعليميّ للأب	مفهوم الذات الاجتماعيّ	بين المجموعات	0.3	4	0.18	0.44	0.77
		داخل المجموعات	1.72	41	0.41		
		المجموع	2.03	45			

بعد إجراء ONE WAY ANOVA–test تبيّن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة على مستوى مفهوم الذات الاجتماعيّ يعزى لعامل المستوى التّعليميّ للأهل، مع قيمة (F=0.74) و (α=0.56) بالنّسبة للمستوى التّعليميّ للأمّ، وقيمة (F=0.44) و(α=0.77) بالنّسبة للمستوى التّعليميّ للأب.

3،4. العلاقة الارتباطيّة بين مفهوم الذّات الاجتماعيّ وخسارة أحد المقرّبين نتيجة فيروس كورونا أو انفجار المرفأ

جدول رقم4 مستوى مفهوم الذات الاجتماعيّ وفقًا لخسارة أحد المقرّبين نتيجة فيروس كورونا أو انفجار المرفأ

المتغيّر		العيّنة		المتوسّط الحسابيّ	الانحراف المعياري	درجة الحرّيّة	قيمة T	الدّلالة الإحصائيّة
خسارة أحد المقربين نتيجة فيروس كورونا	مفهوم الذات الاجتماعيّ	نعم	11	1.21	0.16	44	2.32	0.02
		كلا	35	1.05	0.21			
خسارة أحد المقربين نتيجة انفجار مرفأ بيروت	مفهوم الذات الاجتماعيّ	نعم	2	0.75	0.27	44	2.45–	0.018
		كلا	44	1.1	0.19			

للتّأكّد من وجود اختلاف في مستوى مفهوم الذّات الاجتماعيّ بين من خسر أحد اقاربه نتيجة تعرّضه لفيروس كورونا ومن لم يتعرّض لتلك الخسارة، تمّ إجراء independent sample t-test، الّذي أظهرت نتائجه وجود فروقات دالة إحصائيًا بين المجموعتين، مع معدّل (1.21) لمن خسر أحد أقاربه من أفراد العيّنة جرّاء تعرّضه لفيروس كورونا، و (1.05) للأفراد الذين لم يتعرّضوا للخسارة، بقيمة دالّة إحصائيًّا (α=0.02)؛ كما أظهرت النّتائج أيضًا وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة بين المجموعتين على مستوى خسارة أحد الأقارب نتيجة انفجار مرفأ بيروت، بقيمة (α=0.018) دالّة إحصائيًا.

4,4. العلاقة بين المرونيّة النفسيّة ومتغيّر الجنس

جدول رقم5 مستوى المرونيّة النفسيّة وفقًا لمتغيّر الجنس

المتغيّر		العيّنة		المتوسّط الحسابيّ	الانحراف المعياري	درجة الحرّيّة	قيمة T	الدّلالة الإحصائيّة
الجنس	المرونيّة	إناث	22	2.66	0.74	44	1.65	0.15
		ذكور	24	2.36	0.46			

للتّأكّد من وجود اختلاف في مستوى المرونيّة النّفسيّة بين الإناث والذّكور، تمّ إجراء independent sample t-test، الّذي أظهرت نتائجه عدم وجود فروق على مستوى المرونيّة يُعزّى لعامل الجنس، مع معدّل (2.66) للإناث، و (2.36) للذّكور بقيمة غير دالّة إحصائيًّا (α=0.15)، مع الإشارة إلى أن مستوى المرونيّة النّفسيّة لدى عيّنة الدراسة متدنٍّ بمتوسّط حسابيّ (2.5) وانحراف معياريّ (0.62).

5,4. العلاقة بين المرونيّة النّفسيّة والمستوى التّعليميّ للأهل

جدول رقم6 مستوى المرونيّة النفسيّة وفقًا للمستوى التعليميّ للأهل

المتغيّرات		مصدر التّباين	مجموع المربّعات	درجة الحرّيّة	متوسّط المربّعات	قيمة F	الدّلالة الإحصائيّة
المستوى التّعليمي للأمّ	المرونيّة النّفسيّة	بين المجموعات	1.14	4	0.28	0.71	0.74
		داخل المجموعات	16.4	41	0.4		
		المجموع	17.5	45			

المستوى التّعليميّ للأب	المرونيّة النّفسيّة	بين المجموعات	0.722	5	0.18	0.44	0.77
		داخل المجموعات	16.82	40	0.41		
		المجموع	17.54	45			

بعد إجراء ONE WAY ANOVA–test تبيّن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة على مستوى المرونيّة النفسيّة يعزى لعامل المستوى التّعليميّ للأهل، مع قيمة (F=0.71) و (α=0.74) بالنّسبة للمستوى التّعليميّ للأمّ، وقيمة (F=0.44) و (α=0.77) بالنّسبة للمستوى التّعليميّ للأب.

6,4. العلاقة بين المرونيّة النّفسيّة وخسارة أحد المقرّبين نتيجة فيروس كورونا أو انفجار المرفأ

جدول رقم7 مستوى المرونيّة النفسيّة وفقًا لخسارة أحد المقرّبين نتيجة فيروس كورونا أو انفجار المرفأ

المتغيّر		العيّنة		المتوسّط الحسابيّ	الانحراف المعياري	درجة الحرّيّة	قيمة T	الدّلالة الإحصائيّة
خسارة أحد المقربين نتيجة فيروس كورونا	المرونيّة	نعم	11	2.6	0.66	44	0.6	0.54
		كلا	35	2.47	0.61			
خسارة أحد المقربين نتيجة انفجار مرفأ بيروت	المرونيّة	نعم	2	2	0	44	1.18−	0.24
		كلا	44	2.5	0.6			

للتّأكّد من وجود اختلاف في مستوى المرونيّة النّفسيّة بين من خسر أحد اقاربه نتيجة تعرضه لفيروس كورونا ومن لم يتعرّض لتلك الخسارة، تمّ إجراء independent sample t–test، الّذي أظهرت نتائجه عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة، مع معدّل (2.6) لمن خسر أحد أقاربه من أفراد العيّنة جرّاء تعرّضه لفيروس كورونا، و (2.47) للأفراد الذين لم يتعرّضوا للخسارة، بقيمة غير دالّة إحصائيًّا (α=0.54)؛ كما أظهرت النّتائج أيضًا عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائيًة بين المجموعتين على مستوى خسارة أحد الأقارب نتيجة انفجار مرفأ بيروت، بقيمة (α=0.24) غير دالّة إحصائيًا.

7،4. العلاقة الارتباطيّة بين المرونيّة النفسيّة ومفهوم الذات الاجتماعيّ

جدول رقم 8 العلاقة الارتباطيّة بين المرونيّة النفسيّة ومفهوم الذات الاجتماعيّ

المتغيّرات	المتوسط الحسابي	معامل الارتباط	الدّلالة الإحصائيّة
المرونيّة النفسيّة	2.5	0.46−	0.05
مفهوم الذات الاجتماعيّ	1.09		

يظهر الجدول أعلاه وجود علاقة ارتباطيّة سلبيّة متوسّطة بين المرونيّة النفسيّة ومفهوم الذات الاجتماعيّ، ما يشير إلى أنّ المتغيّرين يتحرّكان بطريقة عكسيّة مع قيمة معامل ارتباط ($r = -0.46$) و قيمة ($\alpha=0.05$) دالة إحصائيًا.

5. تحليل النّتائج

بيّنت النتائج عدم وجود اختلاف في مستوى على مفهوم الذات الاجتماعيّ، عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة تعزى لمتغيّر الجنس، وأيضًا عدم فروق دالّة إحصائيًا تعزى للمستوى التعليميّ للأهل يمكن أن الأسباب التي قد تؤدي إلى وجود الفروق لا تختلف بدلالة الجنس البيولوجي، وفضلًا عن ذلك فإن تشابه الظروف البيئية التي يعيش فيها المشاركون في البحث له أثره المماثل في هذا المضمار.

كما أظهرت النتائج أيضًا وجود فروق على مستوى مفهوم الذات الاجتماعيّ بين من خسر أحد اقاربه نتيجة تعرضه لفيروس كورونا بمعدّل أعلى من معدّل المجموعة التي لم تتعرّض لتلك الخسارة، وأظهرت النتائج أيضًا وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة بين من خسر أحد أقاربه نتيجة انفجار مرفأ بيروت بمعدّل منخفض عن من لم يتعرّض لتلك الخسارة، قد يعود السبب لعدم توفّر الموارد البيئيّة والذاتيّة التي تشكل عاملاً وقائيّا للحماية من الضغوطات النفسيّة والأحداث الضّاغطة بما فيها الخسارة والصدمات.

وقد يعزى تدنّي مستوى مفهوم الذات الاجتماعيّ، إلى غياب العوامل المؤثّرة في تكوين المفهوم، خاصةً التفاعلات الاجتماعيّة والتواصل مع الأقران والخبرات المدرسيّة، بالإضافة إلى تدنّي مستوى الدعم الأسريّ.

أما على مستوى المرونيّة النفسيّة لم نجد فروق دالة إحصائيًا تعزى لمتغيّر الجنس، كذلك عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة على مستوى المرونيّة النفسيّة يعزى لمتغيّر

المستوى التّعليميّ للأهل، وأيضًا عدم وجود علاقة ارتباطيّة بين متغيّري العمر والمرونيّة النّفسيّة؛ كما أظهرت النتائج أيضًا عدم وجود فروق على مستوى المرونيّة النّفسيّة بين من خسر أحد أقاربه نتيجة تعرّضه لفيروس كورونا ومن لم يتعرّض لتلك الخسارة، كما هي الحال بين المجموعتين على مستوى خسارة أحد الأقارب نتيجة إنفجار مرفأ بيروت.

مع الإشارة إلى أنّ مستوى المرونيّة النّفسيّة لدى عيّنة الدّراسة متدنٍّ قد يعود السّبب إلى غياب الدّعم العائليّ من جهة، وغياب عوامل شخصيّة كالعلاقات التّفاعليّة والارتباطات الآمنة من جهة أخرى، وأيضًا إلى تدنّي مستوى مفهوم الذّات الّذي يعتبر مورد داخلي أساسيّ لتشكيل مستوى معيّن من المرونيّة لمواجهة الأزمات والضّغوطات.

كما أظهرت النّتائج وجود علاقة ارتباطيّة سلبيّة متوسّطة بين مفهوم الذّات الإجتماعيّ والمرونيّة النّفسيّة، ممّا يشير إلى أنّ المتغيّرين يتحرّكان بطريقة عكسيّة أيّ أنه كلّ ما ارتفع مستوى المرونيّة انخفض مستوى مفهوم الذّات الإجتماعيّ العكس صحيح.

فالموارد الخارجيّة في لبنان، عرقلت الموارد الدّاخليّة (البيئة العائليّة)، والخارجيّة المتمثّلة بالبيئة المدرسيّة وما يصاحبها من تفاعلات.

6. خاتمة وتوصيات

غالبًا ما يدرس علماء النّفس النّموّ الإنسانيّ من جانب المرونيّة النّفسيّة وتحمّل الضّغوطات، وتساهم بعض عوامل الخطر كالفقر مثلاً بالنموّ الغير المتوازن السّويّ للفرد، لذلك تهيّء بعض عوامل الحماية الفرد لمواجهة العوامل الضّاغطة بمرونيّة. مع الإشارة إلى أنّ مفهوم الذّات في مرحلة المراهقة هو أكثر تركيبًا نظرًا لوجود الدّور الإجتماعيّ للفرد والبحث عن الهويّة ممّا يؤثّر على سلوكه وإستجاباته تجاه المواقف الحياتيّة (Boyd & Bee, 2014) .

وفي ظلّ الأحداث المستجدّة الضّاغطة الّتي يشهدها لبنان من موجة وباء كورونا إذ سجّل، حتى تاريخ تسليم هذا البحث 10.359 حالة وفاة جرّاء الإصابة بالفيروس (الجمهورية اللّبنانية وزارة الصّحّة العامّة، 2022)، أضف إلى ذلك عدد الوفيّات البالغ 215 ت (Azhari & Abi Nader, 2022) نتيجة تفجير مرفأ بيروت، وقد بيّنت الدّراسة وجود 11 من أفراد العيّنة البالغ عددها 46 تعرّضوا بخسارة أحد المقرّبين نتيجة إصابته بفيروس كورونا، واثنين نتيجة إنفجار مرفأ بيروت. ولكن على الرّغم إنخفاض هذا

العدد، غير أنّ أثر الأحداث الضّاغطة بارز من خلال مستوى مفهوم الذّات الإجتماعيّ المتدنّي ومستوى المرونيّة النفسيّة المنخفض. فمهوم الذات هو إنبناء تراكميّ ينمو من خلال المواقف والخبرات الّتي يمرّ بها الفرد من الطّفولة إلى المراهقة، ويعتبر الأهل والمعلّمون نماذج لتنمية مفهوم ذات إيجابيّ ومرونيّة نفسيّة مرتفعة لمواجهة أحداث الحياة الضّاغطة الّتي ساهمت باتساع الفجوة بين الطّبقات الإجتماعية، العامل الّذي قد يشكّل حدثاً ضاغطاً بذاته على متعلّمي المدارس الرّسميّة الّذين ينتمون إلى فئة ذوي الدّخل المحدود.

من هنا أهميّة تدخّل ضروريّ عبر تطبيق برامج إرشاديّة وقائيّة وعلاجيّة الّتي موجّهة للمتعلّمين بهدف:

- بناء مفهوم ذات إيجابيّ مرتفع
- رفع مستوى المرونيّة النّفسيّة
- إكساب المتعلّمينَ قدرات ومهارات إجتماعيّة
- برامج موجّهة للمعلّمين
- برامج موّجّهة للإداريّين

7. قائمة المراجع

المراجع العربيّة

1. أسكيري، نعيمة. (2014). تطور مفهوم الذّات عبر التّفاعل النّفسيّ-الاجتماعيّ مجلة علوم *التربية*، (59)، 93-78.
2. الجمهورية اللبنانية وزارة الإعلام. (2022، نيسان 16). ترصد عدوى الكوفيد 19 في لبنان بتاريخ 16/4/2022. https://corona.ministryinfo.gov.lb/
3. درويش أحمد العسال، هـ. (2016). مفهوم الذّات وعلاقتها بأسلوب حلّ المشكلات وإدارة الأزمات لدى طالبات الجامعة. مجلة بحوث التربية النوعية(41)، 215-181.
4. الجمهورية اللبنانية وزارة التربية والتعليم العالي. (4 شباط 2020). الدليل الصحي للمؤسسات التعليمية حول الإجراءات الوقائية لمنع انتقال وانتشار فيروس سارس - كوف-2(SARS-CoV-2)المسبب لعدوى كوفيد-19لجزء ألول: البروتوكول الخاص باألدوار والمسؤوليات. Retrieved April 27, 2022, from https://cutt.ly/rGvj7Tj
5. ده مير، نورجان عادل. (2013). قوة الذكاء الاجتماعي في تفعيل المسؤولية الاجتماعية ومفهوم الذات الاجتماعي. دار الكتب والوثائق القوميّة.
6. سليم، مريم. (2002). علم نفس النمو. دار النهضة العربية.
7. عبدالرؤوف، طارق. (2018). مفهوم وتقدير الذّات. دار العلوم للنّشر والتّوزيع.

8. عبد المريد عبد الحميد موسي، هاشم. (2020). المرونة النّفسيّة وعلاقتها بمفهوم الذّات والرّضا عن الحياة لدى مدرّبي كرة القدم. المجلة العلمية لعلوم وفنون الرياضة، 46(064)، 150-131
9. عمار، طاهر سعد حسن. (2021). المرونة النّفسيّة وعلاقتها التّنبؤيّة بالإنفعالات الإيجابيّة والضّغوط المدركة لدى تلامذة مرحلة التّعليم الأساسيّ. المجلة المصرية للدراسات النفسية. 31(113)، 192-151.
10. زهران، حامد. (2003). التوجيه والإرشاد النفسي (ط 3). دار الفكر.
11. زيدان، حنان السّيّد عبد القادر. (2021). المرونة النّفسيّة لدى الأسر المصريّة (الوالدين) وعلاقتها بأساليب مواجهة الصّدمة النّفسيّة في ظلّ جائحة كورونا كوفيد – 19. مجلة كلّية التّربية – جامعة عين شمس. 1(45)، 400-394.
12. سكرية، محمد بسام، الاحمدية، سمر، و سكرية، أسامة.(قيد النشر). العلاقة بين المستوى الاجتماعيّ الاقتصاديّ للأهل والتّحصيل الدّراسيّ ومفهوم الذّات عند الأبناء: منهجيّة نمذجة المعادلة البنائيّة. المجلة الأردنية في العلوم التربوية.
13. يعقوب، غسان ودمهع ليلى. (2015). المعجم الموسوعي في علم النفس عربي فرنسي انكليزي مصطلحات. مدارس. نظريات. مناهج. مكتبة لبنان ناشرون.
14. الزهيرية، لمياء قيس سعدون. (2012). المرونة النّفسيّة وعلاقتها بأحداث الحياة الضّاغطة لدى طلبة الجامعة.] رسالة ماجيستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة ديالي: العراق [. http://search.shamaa.org/FullRecord?ID=63251

المراجع الأجنبيّة

15. American Psychological Association. (n.d.). Self-Concept. (n.d.). In APA Dictionary of Psychology. Retrieved from https://dictionary.apa.org/self-concept
16. American Psychological Association. (n.d.). Resilience. (n.d.). In APA Dictionary of Psychology. Retrieved from https://dictionary.apa.org/resilience
17. American Psychological Association. (2002). A Reference for Professionals developing Adolescents. www.apa.org/pi/pii/develop.
18. American Psychological association. (2009). The Road to Resilience [Brochure]
19. American Psychological Association. (n.d.). Hardiness. In APA Dictionary of Psychology. Retreived June 15, 2020, from https://dictionary.apa.org/hardiness
20. American Psychological Association. (n.d.).Optimism. In APA Dictionary of Psycgology. Retreived June 15, 2020, from https://dictionary.apa.org/optimism
21. Amos, J., & Rincon, P. (2020, October 5). Beirut blast was 'historically' powerful. BBC. https://www.bbc.com/news/science-environment-54420033
22. Anaut, M. (2005). Le concept de résilience et ses applications cliniques. Recherche en soins infirmiers, 82, 4-11. https://doi.org/10.3917/rsi.082.0004
23. Anaut, M. (2011). Résilience : pour voir autrement l'intervention en réadaptation. Journal of Human Development, Disability, and Social Change, 19(1), 7-14. https://ripph.qc.ca/wp-content/uploads/2017/11/19-1-2011-Revue_Resilience_tr-1.pdf
24. Azhari, T., & Abi Nader, Y. (2022, April 14). Lebanon cabinet approves demolition of Beirut silos damaged in port blast. Reuters. https://www.reuters.com/world/middle-east/lebanon-cabinet-approves-demolition-beirut-silos-damaged-port-blast-2022-04-14/
25. Blair, E. (2022, January 23). Explainer: Lebanon's financial crisis and how it happened. Reuters. https://www.reuters.com/markets/rates-bonds/lebanons-financial-crisis-how-it-happened-2022-01-23/
26. Bretherton, I. & Munholland, K. A. (2008). Handbook of attachment: Theory, research and clinical applications (2nd ed). New York, NY: Guilford Press
27. Bouterfas.N. (2014). The insertion : which organizational, psychosocial

and personal inductors on the well-being, the distress and burnout.[Philosophie. Université Charles de Gaulle - Lille III,. Français. ffNNT : 2014LIL30060f]. http://www.sudoc.fr/188234241

28. Boyd, G.D., & Bee, H., L. (2014). The Developing Child (13th ed.). Pearson
29. Brien, M., Brunet, L., Boudrias, J.-S., Savoie, A., & Desrumaux, P. (2008. Août 22). Santé psychologique au travail et résilience: élaboration d'un instrument de mesure. [Conference].In N. Petterson, J.S. Boudrias, & A. Savoie (Dir). Entre tradition et innovation, comment transformons-nous l'univers de travail ? Actes du 15e Congrès de l'Association de psychologie du travail et des organisations de langue française, Québec
30. Cyrulnik, B. (2001). Les Vilains Petits Canards. Odile Jacob
31. Dapp, L. C., & Roebers, C. (2018). Self-concept in kindergarten and first grade children: A longitudinal study on structure, development, and relation to achievement. Psychology, 9(7), 1605-1629.
32. Gana, K. (2012). psychology Of Self-Concept . NOVA
33. Gerring, R. & Zimbardo, P. (2013). Psychologie (18ème ed.). Pearson.
34. González, J.; Garcés, E.J.; García, A.(2019). The Interest of Compulsory High School Students in Physical Education. Electron. J. Educ. Res. 9, 1–20.
35. Hurley, K. (2020). What is resilience? Your guide to facing life's challenges, adversities, and crises. Everyday Health. That is already a cutt. ly link.
36. Jhangiani, R., Tarry, H., & Stangor, C. (2014). Principles of social psychology-1st international edition. BCcampus Open Ed.
37. Katz, J., Mercer, S., H., & Skinner, S. (2019). Developing Selfconcept, Coping Skills, and Social Support in Grades 3–12: A ClusterRandomized Trial of a Combined Mental Health Literacy and Dialectical Behavior Therapy Skills Program.School Mental Health 12, 323–335. https://doi.org/10.1007/s12310-019-09353-x
38. Lecomte, J. (2004). Guérir de son enfance. Paris. Odile Jacob
39. Lecomte, J. (2005). Favoriser la résilience des personnes handicapées mentales. Reliance,
40. nº 18(4), 15-20. doi:10.3917/reli.018.0015
41. Llistosella, M., Gutiérrez-Rosado, T., Rodríguez-Rey, R., Liebenberg, L., Bejarano, Á., Gómez-Benito, J., & Limonero, J. T. (2019). Adaptation and psychometric properties of the Spanish version of Child and Youth Resilience Measure (CYRM-32). Frontiers in psychology, 10,

1410.

42. Lonescu, C. J. (2011). Développement d'interventions individualisées axées sur la resilience. Journal of Human Development, Disability, and Social Change, 19(1), 25-34. Retrieved from https://ripph.qc.ca/wp-content/uploads/2017/11/19-1-2011-Revue_Resilience_tr-1.pdf
43. Marsh, H. W., & Shavelson, R. (1985). Self-concept: Its multifaceted, hierarchical structure. Educational psychologist, 20(3), 107-123.
44. Pollock, S.E. & Duffy, M.E. (1990). The health-related hardiness scale : Development and psychometric analysis. Nursing Research, 39(4), 218-222. Doi: 10.1097/00006199-199007000-00008
45. Maclean, W. (2021, July 30). FBI probe shows amount of chemicals in Beirut blast was a fraction of original shipment. Reuters. https://www.reuters.com/world/middle-east/fbi-probe-shows-amount-chemicals-beirut-blast-was-fraction-original-shipment-2021-07-30/
46. Maquet, Y. G., Angel, J. D., Canizares, C., Lattig, M. C., Agudelo, D. M., Avenas, A., & Ferro, E. (2020). The role of stressful life events appraisal in major depressive disorder. Revista Colombiana of Psiquiatria,49,67-74.
47. Ramirez-Granizo, I. A., Sánchez-Zafra, M., Zurita-Ortega, F., Puertas-Molero, P., González-Valero, G., & Ubago-Jiménez, J. L. (2020). Multidimensional self-concept depending on levels of resilience and the motivational climate directed towards sport in schoolchildren. International journal of environmental research and public health, 17(2), 534.
48. Reivich, K. & Gilham. J. (2010). Building Resilience in youth. Building: The Penn Resiliency Program, National Association of school Psychologists, 38(6), 16-19.
49. Southwick, S.M. & Charney, D.S. (2012). Resilience The Science of Mastering Life's Greatest Challenge (4th ed). United Kingdom: Cambridge University Press.
50. The Connor-Davidson Resilience Scale. (n.d.). http://www.connordavidson-resiliencescale.com/faq.php.
51. Toupie. (n.d). Resilience. In la toupie. Retreived June 25, 2020, from http://www.toupie.org/Dictionnaire/Resilience.htm
52. Wang, Z. (2015). An exploration on the relationship between self-concept and parenting style on teenager. Psychology, 6(04), 516.
53. Werner, E. E. (1971). The children of Kauai: a longitudinal study from the prenatal period to age ten. University of Hawaii Press.
54. **Werner, E. E. (1989). Vulnerable but invincible: a longitudinal study of resilient children and youth. McGraw-Hill.**

55. Woolfolk,A. (2017). Educational psychology (3rd ed). PEARSON
56. World Health Organization. (2022). Coronavirus disease (COVID-19). https://www.who.int/health-topics/coronavirus#tab=tab_1
57. Wu, W. W., Chang, J. T., Tsai, S. Y., & Liang, S. Y. (2018). Assessing self-concept as a mediator between anger and resilience in adolescents with cancer in Taiwan. Cancer Nursing, 41(3), 210-217.
58. World Health Organization. (2020). WHO Daily press conference on COVID-19- 11 March 2020. https://www.who.int/multi-media/details/who-daily-press-conference-on-covid-19-11-march-2020#
59. Zhang, R. (2017). The stress-buffering effect of self-disclosure on Facebook: An examination of stressful life events, social support, and mental health among college students. Computers in Human Behavior,75,527-537.
60. El Zoghby, S., Kassem.M., A., & Kassem, M., A. (2020). The Level of Resilience among Medical Students Interns in Lebanese Hospitals (at the Lebanese University). Journal Dirassat in humanities and social sciences, 5(28). 555-572. http://www.dirassatmagazine.com/PDF

2- الإنترنت ومدى تأثيره على انحراف سلوكيات الطفل

بقلم الباحث: أحمد محمد عدوان

طالب دراسات عليا في جامعة الجنان

ahmadadwan@gmail.com

تاريخ الاستلام: 6/5/2022 **تاريخ القبول: 24/5/2022**

الملخص:

أثبتت الدراسات والتجارب أنّ للإنترنت تأثيرا كبيرا على الذاكرة، فقد تبين بعد سلسلة من التجارب من قِبل الطبيبة النفسية بيتسي سبارو (Betsy Sparrow) في جامعة كولومبيا والباحثين المشاركين، أنّ الشخص قد يتذكر الأشياء التي يعتقد أنه لن يجدها إذا استخدم الإنترنت، وقد ينسى الأشياء التي من الممكن أن يجدها على الإنترنت، كما أنّه من الممكن تذكّر مكان تخزين المعلومات أكثر من تذكُّر المعلومات نفسها، وقد تبين أيضاً أنه عندما يواجه الأشخاص بعض الأسئلة الصعبة فهم يلجأون إلى الإنترنت للحصول على الإجابات، حيث أصبح الناس يستخدمون التكنولوجيا كذاكرة تخزين خارجية.

وكذلك للإنترنت تأثير كبير على الأطفال؛ حيث أصبح من الصعب إبعادهم عن الكمبيوتر لممارسة أي نشاط آخر، ممّا أدى إلى قلق الآباء من فساد عقول أطفالهم، حيث أدى كثرة استخدام الإنترنت والمواقع الاجتماعية إلى تقليل فترات الانتباه والتركيز لدى الأطفال على مدى السنوات العشر الماضية من 12 دقيقة إلى ما يعادل خمس دقائق، وهذا أدى إلى عدم قدرتهم على القراءة المتعمّقة والإدراك، كما أنّه أثّر على قضايا الرؤية طويلة المدى، وبيّنت الدراسات أن 95٪ من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 17-12 عاماً يستخدمون الإنترنت ويقضون أكثر وقتهم على الهواتف والإنترنت وغيرها أكثر من جلوسهم مع آبائهم ومعلميهم.

Summary:

Studies and experiments have proven that the Internet has a significant impact on memory. After a series of experiments by psychiatrist Betsy Sparrow at Columbia University and participating researchers, it was found that a person may remember things that he thinks he will not find if he uses the Internet, and he may forget things that It is possible to find it on the Internet, and it is possible to remember where the information is stored more than the information itself, and it has also been found that when people face some difficult questions, they turn to the Internet to get the answers, as people are using technology as an external storage memory.

The Internet also has a great impact on children; As it became difficult to keep them away from the computer to practice any other activity, which led to parents' concern about the corruption of their children's minds, as the frequent use of the Internet and social sites reduced the attention and concentration periods of children over the past ten years from 12 minutes to the equivalent of five minutes, This led to their inability to read in depth and perception, and also affected long-term vision issues, and studies showed that 95% of children aged 12-17 years use the Internet and spend more time on phones, the Internet, etc. than they are with their parents and teachers.

المقدمة:

الحمد لله حمد الشاكرين، نحمده على عظيم نعمائه، ونبرأ إليه من الحول والقوة إلا به، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في أسمائه وصفاته، شهادة موحد مستبصر غير متوقف ولا متحير، ونشهد أن سيدنا محمد عبده الأمين على وحيه، الصادع بأمره ونهيه، المبلغ لرسالته، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، المستمسكين بسنته، والمبلغين لشريعته، المؤدون لحق صحبته وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

في هذه الأيام، يستطيع الأطفال الدخول إلى شبكة الإنترنت وتصفح المواقع من أماكن عدة، مثل: البيت، المدرسة، عند الأصدقاء، المكتبات، أماكن التجمعات العامة التي توفر خدمة الإنترنت، أو حتى عن طريق أجهزة الهاتف المحمولة المتوافقة مع هذه الخدمة. وهذه الإمكانية الواسعة للدخول إلى الشبكة هو ما يجعلك تحرص على تعليم طفلك وتحذيره من مخاطر الإنترنت.

وتُعَدُّ مخاطر الإنترنت على الأطفال والمراهقين من المؤرقات التي تقلق راحة الأهل وأولياء الأمور، فما بين الحاجة إلى إطلاع الأبناء على مستجدات وتطورات العصر عن طريق الشبكة العنكبوتية، ومحو أميتهم في مجال البحث على الإنترنت، وبين المخاطر والمشكلات التي يتسبب بها إبحارهم في هذه الشبكة.

أهمية موضوع البحث: تعود أهمية البحث للأسباب الآتية:

1. تعريف المسلمين على خطورة الإنترنت.
2. أهمية معرفة أضرار الإنترنت على الأطفال.

أسباب اختيار البحث:

ويرجع سبب اختياري لهذا الموضوع لأسباب عدة، منها:

1. التعرف مفهوم الإنترنت وطبيعته ومكوناته.
2. التعرف على أنواع شبكات التواصل الاجتماعي.
3. معرفة الأضرار العقدية والإيمانية والأخلاقية والسلوكية للإنترنت.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى أمور عدة:

1. تبيان مفهوم الإنترنت.
2. معرفة أنواع ونماذج شبكات التواصل الاجتماعي..
3. تبيان الأضرار العقدية، والفكرية، والاجتماعية، والنفسية، والصحية للإنترنت.

منهجية البحث:

اعتمدت على المنهج الاستقرائي في هذه الدراسة، فأجمع المسائل المتعلقة بالإنترنت ومدى تأثيره على سلوكيات الطفل، وذكر أضرارها.

عملي في البحث:

وأما الطريقة المعتمدة في الكتابة، فهي:

. عزو أي معلومة إلى مصدرها أو مرجعها.

. وضع فهارس عامة لكل من:

. فهرست المصادر والمرجع: رتبت كل مجموعة من الكتب حسب الترتيب الهجائي لاسم المؤلف بدون اعتبار أل التعريف.

. منتهياً بفهرست الموضوعات.

فهذا بحث يبين والإنترنت، وتتضمن:

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، ثلاثة أبحاث.

أولاً: المقدمة، وتشتمل على:

. أهمية البحث . أسباب اختيار البحث . أهداف البحث . منهجية البحث . عملي في البحث

خطة البحث.

خطة البحث، وتشمل ثلاثة أبحاث:

المبحث الأول: مفهوم الإنترنت طبيعته ونشأته وتطوره:

المطلب الأول: مفهوم الإنترنت.

المطلب الثاني: طبيعة الإنترنت ومكوناتها.

المطلب الثالث: نشأة الإنترنت وظهورها وتطورها.

المبحث الثاني: أنواع ونماذج شبكات التواصل الاجتماعي:

المطلب الأول: أنواع شبكات التواصل الاجتماعي.

المطلب الثاني: نماذج من شبكات التواصل الاجتماعي.

المبحث الثالث: مضار وسائل الإدمان الحديثة (الإنترنت) ومدى تأثيره على سلوكيات الطفل:

المطلب الأول: الأضرار العقدية والإيمانية والأخلاقية والسلوكية.

المطلب الثاني: الأضرار الفكرية والمعرفية.

المطلب الثالث: الأضرار الاجتماعية.

المطلب الرابع: الأضرار النفسية.

المطلب الخامس: الأضرار الصحية.

المبحث الأول:

مفهوم الإنترنت طبيعته ونشأته وتطوره.

المطلب الأول: مفهوم الإنترنت.

المطلب الثاني: طبيعة الإنترنت ومكوناتها.

المطلب الثالث: نشأة الإنترنت وظهورها وتطورها.

المطلب الأول: مفهوم الإنترنت

عندما تتحدث عن الإنترنت يكون حديثنا أقرب ما يكون عن كيان هلامي غير محدد الملامح، ووراء ذلك مجموعة من العوامل التي لا تستطيع الإحاطة بها من هذا المجال أو ربما كان في مقدمة هذه العوامل تقلب الإنترنت وسرعة تطورها، حيث استمدت

من أسماء بعض برمجياتها كالجوفر Gorher السنجاب الأمريكي، ونسيج العنكبوت (web) شيئاً من سماتها، كما اكتسبت من القوى الكامنة وراءها النزعة التوسعية والقدرة على التغلغل، فما آلت إليه الإنترنت الآن في بداية النصف الثاني من العقد الأخير من القرن العشرين يختلف كثيراً عما كانت عليه في بداياتها المبكرة في نهاية العقد السابع من هذا القرن. وما زالت التغيرات تترى مثيرة للكثير من القضايا والتحديات بقدر ما تحمل بين طياتها من الوعود والاحتمالات. وقد يكون الغموض مقصورا في بعض الأحيان؛ لأن الإنترنت ترتبط بالنظام العالمي الجديد، الغريب الأطوار والمنفلت القيم والمعايير.

وللإنترنت ولا شك آثارها في نظام الاتصال العالمي برمته وعلى جميع أبعاده الجماهيرية والعملية والإدارية والاقتصادية والسياسية، ولكن ما طبيعة عمله وما مداه سعة وعمقاً، فذلك مناط اهتمام الباحثين المدققين. وقد صاحب الإنترنت وواكب مسيرتها فيضان من الإنتاج الفكري. والتعامل مع هذا الإنتاج مهمة شاقة بكل المقاييس، وتحتاج إلى سلاح ماهر، ففضلاً عن غزارته وارتفاع معدلات تعطله نتيجة للتقلبات المتلاحقة ، فإن هذا الإنتاج قلما يميز بين الغث والسمين[1].

المطلب الثاني: طبيعة الإنترنت ومكوناتها

الإنترنت عبارة عن مجموعة ضخمة من شبكات الاتصالات المرتبطة ببعضها البعض، وهذه المجموعة تنمو ذاتية بقدر ما يضاف إليها من شبكات وحسابات، وقد أدى تغلغلها واتساع مداها إلى وصفها بشبكة الشبكات، وخاصة أنها تضم ثلاثة مستويات من الشبكات، ففي القمة تتربع شبكات الأساس أو العمود الفقري (Back–bone) المتمركزة في الولايات المتحدة الأميريكية، تليها الصغرى، كالشبكات المحلية والحاسبات المتوافرة بالشركات ولدى الأفراد، إلا أن هذه البساطة قد لا ترضي البعض، ممن ينظرون إلى الإنترنت لا كوسيلة، وإنما يرون فيها رسالة وعقيدة، فقد اختلفت الآراء إذن وتفاوتت النظرات في وصف الإنترنت، بين واقعية الواعين المخلصين ومبالغات المتحمسين والمنبهرين.

(1) **انظر: قاسم، حشمت**، الإنترنت ومستقبل خدمات المعلومات، مجلة دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات، القاهرة، دار غريب للطباعة، العدد 2، 1999 م، ص45،46.

هذا وتقوم الإنترنت على التقنية الأساسية الرامية لربط الحاسبات ببعضها البعض وتعتمد هذه التقنية على الحاسبات المكرسة لهذا الغرض، والمسماة محددات خط السير Routers، أي المسؤولة عن تحديد المسار الذي تسلكه مجموعات الرسائل Packets من نقطة انطلاقها إلى أن تبلغ هدفها.

ونظراً لأنه بإمكان محدد خط السير الربط بين شبكتين تستخدمان تقنيات مختلفة، حيث يمكن أن يربط بين شبكة محلية Network Local (LAN) Area وأخرى محلية، أو بين شبكة محلية وشبكة واحدة المدى Wide Area Network (WAN)، أو بين شبكة واسعة المدى وأخرى واسعة المدى، فإنه بحاجة إلى لغة مشتركة تتعامل بها كل هذه الشبكات، وتسمى هذه اللغة بروتوكولات الاتصالات Protocols. وفضلاً عن الحاسبات المسؤولة عن تحديد مسار مجموعات الرسائل ولغة التفاهم المشتركة بين الحاسبات والشبكات، تعتمد الإنترنت التي غالبا ما توصف بشبكة الشبكات، على مجموعة من البرمجيات الموجهة لصالح المستفيدين والمسماة ببرمجيات العميل (Client) والنادل (Server)، هذا بالإضافة إلى النظام الخاص بتسمية محاسبات المرتبطة بالإنترنت، والبرمجيات الخاصة بسبل الملاحة والبحث والاسترجاع والتعامل مع الخدمات المتاحة عبر الإنترنت[1].

المطلب الثالث: نشأة الإنترنت وظهورها وتطورها

في السنوات الماضية أي منذ ما يقارب ربع قرن من الزمان، أي في السبعينات، كان الفضل لظهور هذه الشبكة الجهاز إلى مشروعات البحث المتطور ARPA Advanced Research Projects Agency بوزارة الدفاع الأميركية، الذي تغير اسمه في نهاية الثمانينيات إلى جهاز مشروعات بحوث الدفاع المتطورة DARPA Defence Advanced Reseasrch projects Agency . في عام ١٩٨٢م بدأت القوات المسلحة الأميركية استخدام الإنترنت من خلال البرمجيات في شبكاتها، ثم انتشرت التغطية إلى جميع المواقع العسكرية.

وتقديراً منها لأهمية الإنترنت بالنسبة للنشاط العلمي قررت المؤسسة القومية للعلوم NSF National Science foundation في الولايات المتحدة الأميركية استثمار بعض مواردها في تمويل جهود تنمية الإنترنت وتطوير برمجيات بروتكولاتها.

(1) **انظر: قاسم، حشمت**، ص49.

في عام 1985 أعلنت المؤسسة عن حرصها على ربط الباحثين العاملين في مئة جامعة بالإنترنت وحصلت على دعم مالي من الكونجرس الأميركي، ثم انتقلت إلى وضع برنامج جديد ضخم، يرمي إلى تحقيق هدف طموح، وهو إتاحة فرصة المشاركة لكل باحث في العلوم والتقانة، فعملت على توسيع شبكة الإنترنت القائمة.

وفي عام 1987 لجأت المؤسسة القومية للعلوم إلى أسلوب الممارسة التنافسية لتقديم المنحة الخاصة بإنشاء شبكة الإنترنت الجديدة واسعة المدى، Internet التي أصبحت تعرف بالشبكة الأساس (العمود الفقري) للمؤسسية القومية للعلوم NSFNET Back–bone، وساهمت في المشروع ثلاث شركات حيث أنشأت شبكة جديدة واسعة أخرى.

وفي نهاية عام 1991م تبين أن الإنترنت كانت تنمو بسرعة يمكن أن تعجل ببلوغ شبكة الأساس الخاصة بالمؤسسة القومية للعلوم NSFNET أقصى سعة لها، كما تبين للمؤسسة أنه لا يمكن للحكومة الاتحادية تحمل الأعباء المالية للإنترنت إلى ما لا نهاية، وأعربت عن رغبتها في اضطلاع القطاع الخاص ببعض المسؤولية، وبالفعل انتقلت من القطاع العام إلى القطاع الخاص، فبينما كان الاستثمار العام مدفوعا وبشكل واضح بالاعتبارات العسكرية، فقد تغلغلت الإنترنت الآن في شتى أنحاء العالم لتقوم بدور القناة اللازمة لبث الثقافة الغربية وثمارها، ولوحظ أن الاستخدام للإنترنت تزايد بحيث بلغ عام 1993م أكثر من 50٪ من حركة الاتصالات. وأمام هذا يرى بعض الباحثين أن الاستخدام المجاني للإنترنت قد انتهى تقريبا، حيث بلغت سن الرشد، وهي الآن في طريقها للدخول في ثقافة الاستثمار بعد خصخصتها.

لم يقتصر الاتجاه نحو المشابكة بين الحاسبات الآلية على الولايات المتحدة الأمريكية بل ساد جميع الدول الواعية الحريصة على استثمار ثروة المعلومات وثورة الاتصالات بلا استثناء، كالدول الأوروبية، واليابان وغيرها .

وفي الوطن العربي اتجاهات نحو المشابكة تتمثل في مشروع الشبكة العربية للمعلومات المتعثر، وشبكة الخليج للمعلومات التي بدأت في منتصف الثمانينيات، وبعض المشروعات الوطنية الشبكة القومية للمعلومات العلمية التكنولوجية، والشبكة القومية للمعلومات الجامعية في مصر حيث تتكفل بإتاحة فرصة الارتباط، للإنترنت لقطاع البحوث الأكاديمية، وخدمات الإنترنت في القطاع التجاري. في عام 1994 كان عدد

الدول التي تغطيها الإنترنت ثلاثا هي مصر وتونس والكويت[1].

المبحث الثاني: أنواع ونماذج شبكات التواصل الاجتماعي.

المطلب الأول: أنواع شبكات التواصل الاجتماعي.

المطلب الثاني: نماذج من شبكات التواصل الاجتماعي.

المطلب الأول: أنواع شبكات التواصل الاجتماعي

تتعدد تقسيمات الشبكات تبعاً للخدمة التي تقدمها أو الهدف من إنشائها إلى الأنواع التالية:

أ- تقسيم الشبكات حسب الاستخدام والاهتمام إلى ثلاثة أنواع رئيسة:

1- شبكات شخصية: هي شبكات تستخدم شخصيات محددة وأفراد ومجموعة أصدقاء تمكنهم من التعارف وإنشاء صداقات فيما بينهم، مثل(facebook).

2- شبكات ثقافية: تختص بفن معين وتجمع المهتمين بموضوع أو علم معين، مثل (Library thing).

3- شبكات مهنية: تهتم وتجمع أصحاب المهن المتشابهة لخلق بيئة تعليمية وتدريبية فاعلة، مثل: linkedin.

ب- هناك تقسيم ثان، يقسم الشبكات الاجتماعية إلى قسمين:

1- شبكات داخلية خاصة (Internal Social Networking): وتتكون هذه الشبكات من مجموعة من الناس مثل مجتمع مغلق أو خاص يمثل الأفراد داخل الأسرة أو الشركة أو أي تجمع ما، أو داخل مؤسسة تعليمية أو منظمة، ويتحكم في دعوة هؤلاء الأشخاص فقط دون غيرهم من الناس إلى الدخول للموقع والمشاركة في أنشطته من تدوين وتبادل آراء وملفات وحضور اجتماعات والدخول في مناقشات مباشرة وغيرها من الأنشطة، مثل شبكة (linked in).

2- شبكات خارجية عامة External Social Networking : وهي شبكات متاحة لجميع مستخدمي الإنترنت، بل صممت خصيصاً لجذب المستخدمين للشبكة ويسمح

(1) انظر: حجازي، عبد الرحمن: الإعلام الإسلامي بين الواقع والمرتجى، بيروت، دار المعرفة، ط1، 2009م، ص135.

فيها للعديد من المستخدمين بالمشاركة في أنشطته بمجرد أن يقوم المستخدم بالتسجيل في الموقع وتقدمتهم نفسه للموقع، مثل شبكة Facebook.

ت- كما يمكن تقسيمها حسب الخدمات وطريقة التواصل إلى ثلاثة أنواع:

أ- شبكات تتيح التواصل الكتابي.

ب- شبكات تتيح التواصل الصوتي.

ج- شبكات تتيح التواصل المرئي.

3- خصائص وخدمات الشبكات الاجتماعية:

إن المتابع والمستخدم للشبكات الاجتماعية يجد أن الشبكات الاجتماعية تشترك في خصائص أساسية غير أن بعضها يتميز ببعض مميزات تفرضها طبيعة الشبكة ومستخدموها، أبرزها: الملفات الشخصية الصفحات الشخصية:

Profile Page من خلال الملفات الشخصية يمكنك التعرف على اسم الشخص ومعرفة المعلومات الأساسية عنه مثل: الجنس، تاريخ الميلاد البلد.

. **الأصدقاء العلاقات FriendsConnections:** وهم الأشخاص الذين يتم التعارف فيما بينهم لغرض معين.

إرسال الرسائل: وتتيح هذه الخاصية امكانية إرسال رسالة للشخص، سواء أكان في قائمة الأصدقاء لديك أم لم يكن.

. **ألبومات الصور**: تتيح الشبكات الاجتماعية لمستخدميها إنشاء عدد لا نهائي من الألبومات ورفع مئات الصور فيها، وإتاحة مشاركة هذه الصور الأصدقاء للاطلاع والتعليق حولها.

المجموعات: يتبع كثير من مواقع الشبكات الاجتماعية خاصية إنشاء مجموعة اهتمام، حيث يمكنك إنشاء مجموعة بمسمى معين وأهداف محددة.

الصفحات: إمكانية إنشاء صفحات واستخدامها تجارياً وإنشاء حملات

إعلانية تتيح لأصحاب المنتجات التجارية أو الفعاليات توجيه صفحاتهم وإظهارها لفئة يحددونها من المستخدمين يتم فيها وضع معلومات عن المنتج أو الشخصية أو

الحدث[1].

المطلب الثاني: نماذج من شبكات التواصل الاجتماعي.

1- فيسبوك Facebook: وهو موقع يساعد على تكوين علاقات بين المستخدمين، ويمكنهم من تبادل المعلومات والملفات والصور الشخصية ومقاطع الفيديو والتعليقات، كل هذا يتم في عالم افتراضي، يقطع حاجز الزمان والمكان.

إن موقع الفيسبوك الذي أطلق في الرابع من شباط (فبراير) ٢٠٠4م هو تابع لشركته نفسها، يعد الفيسبوك واحدا من أشهر المواقع على الشبكة العالمية، وأصبح موقع الفيسبوك اليوم منبرا افتراضيا للتعبير، ويمكن المستخدمين من تبادل الملفات والصور وطرح الآراء والأفكار.

2- تويتر (Twitter): يقدم خدمة تدوين مصغر، تسمح لمستخدميه بإرسال التحديثات Tweets عن حالتهم بحد أقصى يبلغ 140 حرفا للرسالة الواحدة او عن طريق إرسال رسالة نصية قصيرة SMS أو برامج المحادثة الفورية أو التطبيقات و التحديثات و تظهر تلك التحديثات في صفحة المستخدم.

2- جوجل+ Google Plus: هي شبكة اجتماعية تم إنشاؤها بواسطة شركة جوجل وتم إطلاقها رسمياً ٢٠١١م وتتيح جوجل لأي شخص فوق سن ١٨ سنة التسجيل.

4 - واتس اب: WhatsApp: هو تطبيق تراسل فوري، و متعدد المنصات للهواتف الذكية ولكن بالإضافة إلى الرسائل الأساسية للمستخدمين، إرسال الصور، والرسائل الصوتية، و الفيديو والوسائط.

والواتس اب متاح لكل من: آي فون بلاك بيري، أندرويد ويندوز فون فقط (وعلى آي باد بصورة غير رسمية). ويتزامن مع الاتصال في الهاتف، لذلك لا يحتاج المستخدم لإضافة الأسماء في سجل منفصل.

تأسس ال WhatsApp في عام 2009 م من قبل الأمريكي بريان أكتون والأوكراني جين كوم.

5- فايبر Viber : هو تطبيق يعمل على الهواتف الذكية يتيح للمستخدمين المراسلة الفورية وإجراء مكالمات هاتفية مجانية وإرسال رسائل نصية صور، فيديو، صوت بشكل

(1) علي، محمود، الإدمان الإلكتروني المعاصر، دمشق، دار المحبة، ط1، 2017م، ص85.

مجاني إلى أي شخص لديه هذا البرنامج ويعمل على الأجهزة الذكية: (أندرويد، ios، بلاك بيري، ويندوز فون، سيمبيان، سيريز 40، ويندوز وماك ، و نوكيا)، وهو من تطوير شركة فايبر ميديا يعمل على شبكات الجيل الثالث 3G والشبكات اللاسلكية WiFi على حد سواء.

6- برنامج سكاي بي skype: هو عبارة عن برنامج اتصال عبر شبكة الإنترنت إلى الكمبيوتر بشكل مجاني أو إلى الهواتف النقالة أو الهاتف الثابت بأسعار رخيصة ومنافسة حول العالم، وقد قدم برنامج سكاي بي تقنية تعد الأولى في نقل الصوت بجودة عالية وسرعة كبيرة، وفي نفس الوقت يتمتع بسرية كاملة في نقل البيانات، فهو يحمي المكالمات الخاصة بك بشكل قوي من التنصت أو الاختراق، فأنت لا تحتاج لمضادات فيروس قوية جدا أو جدار ناري (فاير وول) لحماية مكالماتك، بل البرنامج نفسه مجهز بوسائل الحماية التامة مثل تعمية (تشفير) البيانات المرسلة والمستقبلة عبر اتصال الإنترنت، ويمكنك البرنامج من الاتصال الصوتي أو المكالمات المرئية، وكذلك الرسائل

7- يوتيوب youtube: هو أحد المواقع الاجتماعية الشهيرة، والذي استطاع بفترة زمنية قصيرة الحصول على مكانة متقدمة ضمن مواقع التواصل الاجتماعي، وخصوصا في دوره المتميز في الأحداث الأخيرة التي جرت ووقعت في أنحاء مختلفة من العالم منها: الكوارث الطبيعية والتحركات الاجتماعية والسياسية .

تأسس اليوتيوب من قبل ثلاثة موظفين كانوا يعملون في شركة (باي بال PayPal) عام (2005) في ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية. وهو موقع لمقاطع الفيديو متفرع من (جوجل)، يتيح إمكانية التحميل عليه أو منه لعدد هائل من مقاطع الفيديو ، وهناك أعداد كبيرة للمشتركين فيه ويزوره الملايين يوميا، وتستفيد منه وسائل الإعلام بعرض مقاطع الفيديو، التي لم تتمكن شبكات مراسليها من الحصول عليها، كما يستفيد مرتادو الفيس بوك من مقاطع الفيديو وعرضها على صفحات الفيس بوك، ويعد اليوتيوب من شبكات التواصل الاجتماعية الهامة، ويشتمل الموقع على مقاطع متنوعة من أفلام السينما والتلفاز والفيديو والموسيقى[1].

المبحث الثالث: مضار وسائل الإدمان الحديثة (الإنترنت) ومدى تأثيره على سلوكيات الطفل:

---

(1) فاطمة خير، محمد، وسائل الإدمان المعاصر، دمشق، دار العصماء، ط1، 2019م، ص25.

المطلب الأول: الأضرار العقدية والإيمانية والأخلاقية والسلوكية:

المطلب الثاني: الأضرار الفكرية والمعرفية.

المطلب الثالث: الأضرار الاجتماعية.

المطلب الرابع: الأضرار النفسية.

المطلب الخامس: الأضرار الصحية.

المطلب الأول: الأضرار العقدية والإيمانية والأخلاقية والسلوكية.

إن مضار هذه الوسائل الحديثة شديدة جداً، ومفاسدها عميقة التأثير في أفراد الأسرة جميعهم، ولربما جلب الإدمان عليها التعاسة والشقاء والهلاك والدمار لكل أفراد الأسرة، فقد يغير الإدمان عليها الطباع والأفكار و الحياة والآمال عند الفرد أو الأسرة، فأخطارها عامة وشاملة وكثيفة وعميقة وضارة او مهلكة ومتعددة ومستمرة، وفي كل جوانب متعلقات الإنسان العقدية والإيمانية والدينية والأخلاقية والعقلية والنفسية والصحية والاجتماعية .... وغير ذلك نذكر منها ما يلي:

. الأضرار العقدية والإيمانية والأخلاقية والسلوكية:

1- تعمل هذه الوسائل من خلال الإدمان عليها، ومن خلال برامجها المعدة من أعداء الإسلام والمسلمين على إبعاد الناس عن العقيدة الصحية للمسلم وزعزعتها، لأن الكثير من برامجها موجه لذلك، وخاصة الأطفال، فهي تبرز شخصيات تشارك الله تعالى في قوتها وقدرتها وخرقها للعوائد وسيطرتها على العالم، وتخريبها لكل مقوماته وقدراته وقواه ومثال لذلك الرجل الخارق (سوبر مان)، والرجل العنكبوت (سبايدر مان)، والرجل الوطواط (بات مان) وغيرها كثير.

وإلى جانب كون هذه البرامج موجهة، الغرض منها إبعاد المسلمين وخصوصاً الأطفال والشباب عن دينهم وعقيدهم وأخلاقهم وسلوكهم القويم، بل هي وسيلة مقصودة لفك الصلة بين الإنسان وربه وديته ونبيه، وذلك من خلال تعلقه بهذه الشخصيات، وإعجابه بها، وبذلك يبتعد عن تعلقه بالله ورسوله، وشخصيات الصحابة والتابعين والعلماء العارفين وأولياء الله والصالحين، بالإضافة إلى ما فيها من تفلت عن الأدب والاحتشام في ملابس النساء، وأحاديث الأشخاص، وعلاقة بعضهم ببعض، وكذلك قيم الإسلام

والتقاليد والعادات الإسلامية.

2- هناك مواقع للتنصير تبلغ الآلاف، ويفوق عددها عدد المواقع الإسلامية بنسبة ، 120 %، وهدفها التبشير بالنصرانية بالعمل الجاد المنظم المغري لإخراج المسلمين من دينهم، وتحويليهم إلى النصرانية، وذلك من خلال طعنهم الشديد بالإسلام والقرآن والنبي صلى الله عليه وسلم، وجذبهم نحو النصرانية بوسائل مغرية جداً، ومن تلك الوسائل توزيع الكتب مجانا، فقد بلغ عدد الكتب النصرانية الموجودة على المواقع أكثر من خمسة ملايين ونصف المليون كتاباً عام 2002م، وعدد المولات الدورية النصرانية بلغ واحدا وأربعين ألف مجلة، وعدد الأناجيل الموزعة يزيد عن خمسة وستين مليون نسخة، فضلاً عن النسخ الصوتية للأميين أو المطبوعة بالأحرف البارزة للمكفوفين ومع تسهيل الاتصالات وإرسال الكتب والبرامج المغرية والهدايا الثمينة، بل تمادوا في غيهم، فأطلقوا على أحد المواقع على الإنترنت اسم كنيسة مكة وهي كنيسة يفترضون بناءها.

فهل تدرك الأخطار الشديدة لهذه الوسائل من خلال هذه المواقع وما لها من تأثير سلبي شديد في أطفال وشباب المسلمين؟

3- كما تعمل هذه الوسائل أيضا من خلال الإدمان عليها، على تغيير سلوك المسلم و برنامجه الحياتي الإيماني عما كان عليه سابقاً من محافظة على الصلوات وتلاوة القرآن وحفظه ومتابعة الأذكار المتعددة في أوقاتها ومناسباتهما وحضور دروس العلم و مصاحبة الصالحين إلى سلوك مغاير للسابق، فقد يهمل أداء الصلاة بتأخيرها عن أوقاتها ثم بإهمالها حينًا ما قد يؤدي إلى تركها كلية ومن ثم إلى ترك تلاوة القرآن ومراجعته وحفظه، و إهمال الأذكار اليومية والإعراض عن حضور دروس العلم، والانعزال عن مصاحبة الصالحين والالتقاء بهم، وهذا يؤدي إلى ضعف الإيمان، والقطاع الصلة بالله ورسوله والعلماء الصالحين، وبالتالي يستعن هذا المؤمن من دينه وتعاليم ربه وشرع نبيه صلى الله عليه وسلم.

4- كما تعمل هذه الوسائل أيضا من خلال الإدمان عليها على التطبع بعادات وتقاليد تبعده عن الدين، وعن سلوك وأخلاق وآداب هذا الدين إلى سلوك فاسد مغاير لأخلاق و آداب وسلوك المؤمن وما تربى عليه وأسرته وفي مجالس العلماء والصالحين، فإذا هذا الطفل و الشاب، بل وربما كل فرد من أفراد الأسرة قد تغير سلوكه وأخلاقه و آدابه ومعاملته للآخرين منحرفاً عما تعود عليه سابقا إلى ما يخالف عقيدته ودينه وسلوكه القويم.

5- من الأضرار التي جلبتها هذه الوسائل أنها كادت تقضي على خلق الحياء الذي هو شعبة من شعب الإيمان، و خلق هام من أخلاق الإسلام وخاصة عند النساء، ولقد ساعدت هذه الوسائل على القضاء على هذا الخلق العظيم بما تعرضه من برامج تحتوي على كلام فاحش بذيء، ومواقع إباحية وخلاعية حافلة بالميوعة والانحراف، مما شجع الكثير من الأطفال والشباب، بل والكبار من النساء والرجال إلى الدخول عليها والتعرف على ما تطرح وتبثه ناهيك عن الصور الفاضحة والمقاطع الفاحشة والتباهي بانتهاك الحرمات والمجاهرة بالسوء وإظهار الرذيلة على أبشع ما تكون كلاماً ومشهداً وعملاً وفعلاً.

وهذا وإن كثيراً مما يعرض في البرامج المتعددة في هذه التكنولوجيا يدعو إلى الانحلال و التفسخ والرذيلة والتبرج، وينبه الأطفال والمراهقين والشباب إلى بعض الأمور المخلة بالأخلاق والآداب، فلا يخلو حتى على مستوى أفلام الأطفال والكرتون من الترغيب في العري أو الغزل أو ملاطفة الفتيات والتشجيع على الاختلاط والمعانقة والقبلات والعلاقات المشبوهة، وبذلك تحدث الأضرار الجسيمة لهؤلاء الأطفال والشباب إذ ربما لا يقدر الآباء والأمهات والمربون على تدارك ذلك أبداً[1].

المطلب الثاني: الأضرار الفكرية والمعرفية

1. الآثار السيئة الكثيرة والمتعددة لتلك المعارف والأفكار والآراء المطروحة من خلال هذه الوسائل أنها تخالف تعاليم ديننا الحنيف، وشرعنا القويم، وقرآننا الحكيم، وسنة نبينا الكريم .

2- من البرامج التي تستهوي الأطفال والمراهقين والشباب تلك التي تعرض الأفلام الإرهابية والإجرامية وأفلام الرعب وما شاكلها، ولهذه البرامج مساوئ كثيرة ومضار كبيرة على واقع هؤلاء الأطفال والشباب بسبب تأثرهم الشديد بما يرونه، فيحاولون تطبيقه على الواقع، فقد دل العديد من الدراسات الجادة لحوادث إجرامية كثيرة مسجلة بأرقامها و أسماء أشخاصها في العالم العربي بالذات وفي العالم كله، ومنها الخطف أو السرقة أو حرق البيوت والمحلات أو الشنق أو القتل أنه إنما ارتكبها أصحابها تقليدا لما رأوه وعلى شاكلة ما عرض عليهم في هذه الوسائل وهم في غفلة عن الواقع وما ينتج عنه

---

(1) انظر: فاطمة خير، محمد، وسائل الإدمان المعاصر، ص25. انظر: علواني، عبد الوهاب، أطفالنا في ظل العولمة، مجلة الطفولة والتنمية، القاهرة، العد 2، 2001م، ص170.

أو فقد سيطرة على العقل أو رغبة في نتائج وهمية.

فهل هناك أخطر من هذا وأشنع منه ..؟!

3- إن سهولة الحصول على المعرفة من هذه الوسائل الحديثة المتعددة دفع في كثير من الأحيان بعض الشباب إلى الكسل والخمول وعدم بذل الجهد في الوصول إلى المعرفة الحقيقية من خلال الاطلاع على الكتب والمكتبات ومصادر المعرفة الأخرى.

إن المعلومات التي تقدمها هذه الوسائل تحتوي أحيانا - على أخطاء مقصودة، أو غير مقصودة، وقد تؤدي بعضها إلى زعزعة الحقيقة وتشويش الفكر والخلاف بين الناس.

و كذلك فإن الحصول على هذه المعرفة بهذه السهولة يؤدي إلى قتل الإبداع ومظاهره وطرقه نظرا لاعتماد المرء على جهد الآخرين، وبذلك لا يظهر إبداع المبدعين المتميزين وكذلك تؤدي إلى الخلل في نقد المعلومات وتحليلها وتقييمها وإبداء الآراء فيها ومناقشتها، خوفا من الإنسان الذي لا يستطيع لسبب ما إبداء رأيه وإظهار فكره بسبب القيود السياسية.

4- إن الإدمان على هذه الوسائل وخاصة ما يتعلق منها بالعمليات الحسابية، كالآلات الحاسبة يضعف قدرة الذاكرة العقلية على إجراء هذه الحسابات بدون هذه الوسائل.

ولقد كان الجيل السابق يعتمد في إجراء العمليات الحسابية على فكره وذهنه وعقله (الجمع والطرح والضرب و التقسيم) مع حفظه لطرقها وأساليبها وأجوبتها واستعمالها في جميع مجالات الاحتياج لهذه العمليات الأربع، فنشط ذهن ذاك الجيل وتوسعت مداركه ومعارفه الحسابية وأتقنها بشكل دقيق.

- فالطفل يعتمد على جواب هذه الوسائل لا على جواب من ذاكرته، فكيف يجيب إذا توقفت هذه الوسائل لسبب ما في ظروف معينة، وهو لا يتقن الحساب الذهني؟ [1]

المطلب الثالث: الأضرار الاجتماعية

• إن الإدمان على هذه الوسائل ينتج أضرارا اجتماعية كثيرة، وتظهر هذه الأضرار الاجتماعية في نواح متعددة منها:

---

(1) الحايك، زهير رضا، الإعلام الإسلامي، دمشق، ط1، 2014م، ص94.

1. إن من الأضرار الاجتماعية للإدمان على هذه الوسائل وخاصة عند الأطفال والشباب انعزالهم عمن حولهم من الإخوة والأصدقاء، هذا الانعزال الذي يؤثر سلباً في التكوين الاجتماعي، والتنشئة الاجتماعية للأطفال، فيفقد الطفل الرغبة في أن يجلس إلى أخيه، وأن يتبادل معه الحديث واللعب، مما يسبب انفراط عقد الحب بين الإخوة و كذلك بين الأصدقاء، أو ينفرط عقد العادات الاجتماعية وما لها من تأثير نفيس عميق إيجابي في نفوس الناشئة، وبالتالي تنقطع أواصر المحبة والتعاون والشعور بالآخرين وتفقد أحوالهم، ومساعدة بعضهم بعضا، والتألم لآلامهم، وأداء واجباته تجاههم فتتعمق الأنانية والعزلة والوحدة والبعد عن كل ما يتصل بالحياة الاجتماعية وتنقطع الروابط، مما يشكل خطرا جسيما على هذه الحياة التي تزداد فيها حاجة الأفراد إلى الروابط الاجتماعية فيما بينهم.

2. من الأضرار الاجتماعية من وراء الإدمان على هذه الوسائل الحديثة و خاصة بين الأطفال والشباب، أنها تعرفهم بأساليب الإرهاب والسرقة والإجرام وتشجعهم على ذلك، فقد يلجأون إلى تطبيق ما يشاهدون للحصول على الأموال التي لا تقدمها لهم الأسرة، والتي يسعون من ورائها إلى تغيير وسائلهم، وتحديدها أو شراء كل متعلقات هذه الأجهزة.

3. غيرت هذه الوسائل اهتمامات أفراد الأسرة، فبعد أن كانت اهتمامات ذات فائدة غدت اهتمامات لا فائدة منها، بل ضارة تؤدي إلى مخاطر جسيمة، فأصبح الكثير من أفراد الأسرة له اهتمام بالألعاب الإلكترونية المتعددة أو انشغال ببرامج متعددة مضرة من رياضية أو غنائية أو أفلام متردية ... أو غير ذلك.

. هذا وإن الألعاب الإلكترونية التي قد يشارك الوالد ولده في لعبها، فالقليل منها قد يفيد في تنمية الذاكرة، وحل الألغاز، والتفكير في الحلول، وفي إشباع الخيال لدى الطفل، وفي إذكاء روح التنافس لديه، لكن سلبياتها كثيرة جدا، وفسادها كبير ليس له حد، فهي تعلم أساليب ارتكاب الجرائم وفنونها وحيلها مع العنف والعدوان، وهناك ألعاب تروج الأفكار والألفاظ النابية والعادات السيئة والأخلاق الفاسدة والرذيلة.

. وقد أصبحت الألعاب الإلكترونية تعد بالملايين، وهي تتسم بالعنف وتؤدي إلى مضاعفة الهيجان الفسيولوجي الوظيفي، وتراكم المشاعر والأفكار العدوانية، وتتناقض مع السلوك الاجتماعي السوي المنضبط ولها إلى جانب ذلك آثار صحية سيئة كالسمنة المفرطة وحدوث النوبات المرضية المتعددة، من وراء إضاعة الوقت في مثل هذه

الألعاب لمدة طويلة[1].

المطلب الرابع: الأضرار النفسية

ومن خلال الإدمان على هذه الوسائل، تبين أن المدمنين وخاصة الأطفال والشباب منهم يعانون من أمراض نفسية كثيرة لم يكونوا مصابين بها من قبل، وتظهر في عدة عوارض منها:

1- القلق المستمر الناجم عن التفكير الدائم بهذه الوسائل حتى حين البعد عنها 2. عدم ضبط النفس عنها مع الفشل في تحديد ساعات استخدامها لتعلقه الشديد بها، ولو أدى به إلى سهر طويل، وعدم الشبع من استخدامها وقضاء الأوقات الطويلة معها، مع الشعور الدائم والرغبة في الدخول إليها وعدم تركها، وبذلك يتعود المدمنون وخاصة الأطفال والمراهقين عدم الشعور بأهمية الوقت، وعدم استغلاله الاستغلال الصحيح، وبذلك قمع الهوايات الأخرى المفيدة التي تعودت عليها الأجيال السابقة مثل الرسم والتلوين وتركيب المكعبات وغير ذلك من الألعاب المفيدة.

3- آلام نفسية واضطرابات متعددة، كالاضطرابات العصبية الشديدة، والتوتر المستمر، واضطراب المزاج، والضيق والتأفف، والخلافات مع جميع أفراد الأسرة.

4- حب الانطواء والوحدة والاغتراب والانعزال عن الآخرين، والشعور بالاكتئاب والقلق الدائم، وضعف الاستقلالية، والاعتماد على الذات، وزعزعة الثقة بالنفس، مع الاضطرابات العصبية الشديدة، ومن ثم فقد خسر هؤلاء المدمنون الراحة النفسية وطمأنينة القلب بعزلتهم هذه، وعدم تواصلهم مع من حولهم، وعدم تكوين الصداقات المفيدة معهم التي لها آثار إيجابية من الناحية النفسية.

5- ظهور آثار اضطرابات نفسية كالارتعاش وتحريك الإصبع بصورة مستمرة ناتجة عن إدمانه على هذه الوسائل.

6- الشعور بالحزن والاكتئاب والاضطراب والغضب عند عدم استطاعته استخدامها والتواصل معها، لسبب من الأسباب التي قد تعترضه.

7. حرص المدمن على إخفاء كل ما يقوم به، وخوفه الدائم من إطلاع الآخرين على أسراره، وغضبه الشديد مع استعمال العنف عند تعرف أحد أفراد الأسرة على هذه الأسرار.

(1) انظر: درويش، يحيى، الإنترنت وأضراره، دمشق، دار طيبة، ط1، 2018م، ص93.

8. كثير من هذه البرامج تعرض على الأطفال وتأخذ وقتهم وتؤثر فيهم في برامج خيالية لأشخاص خياليين يظهرون بصور بشعة مخيفة، وذلك يؤثر في الأطفال وفي حياتهم وسلوكهم، ويكسبهم الخوف والرعب وتشتت الفكر والهروب من الواقع، و يظهر التأثير السلبي لذلك في نومهم حيث يستيقظون مرات عدة وهم يصيحون ويبكون خائفين مذعورين، ويظهر عليهم الخوف والذعر.

كما أن لها تأثير كبيرا في إثارة العنف لدى الأطفال مما يجعلهم يرغبون في ممارسة ما يشاهدون في تلك الوسائل على إخوتهم الصغار من ضرب و إيذاء.

ولها تأثير كبير في تكوين شخصيات الأطفال والمراهقين واقتدائهم بشخصيات منحرفة غير سوية من خلال تعلقهم بهم وتقليدهم لهم وملابسهم وكلامهم وسلوكهم الشاذ.

– ولها تأثير سلبي أيضا في سلوك الأطفال وألفاظهم وطريقة كلامهم فهم يتعلمون من هذه الأفلام ألفاظا نابية مثل يا غبي، يا حقير، يا وقح .... إلى غير ذلك.

كل ذلك يعرض بأسلوب يستهوي نفوس هؤلاء الأطفال والشباب ويدفع رغبتهم لمعرفة الخيال والآفاق، وكل ذلك له تأثيره السلبي الشديد في هؤلاء الأطفال والشباب في سلوكهم ومعاملتهم، بالإضافة إلى نشوء العدوانية، وحب إيذاء الآخرين، والسيطرة عليهم، ومدافعتهم للتغلب عليهم، وكذلك فإن هذه الأفلام السيئة لها آثارها النفسية في نشوء الخوف والرعب عند هؤلاء الأطفال والشباب، بل لها تأثير كبير في اضطرابه السلوكي، واضطرابات نفسية أخرى متعددة تؤدي إلى عدم الرغبة في النوم مع القلق الدائم الذي يمنع النوم عنهم، فإن غلبهم النوم استيقظوا مرات عدة في الليل بحالة ذعر وخوف وصياح من الكوابيس التي يرونها في منامهم والمرتبطة بما شاهدوه في يقظتهم[1].

المطلب الخامس: الأضرار الصحية

إن الإدمان على هذه الوسائل له أضرار صحية جسيمة قد تأخر ظهورها وقد لا يمكن معالجتها، فتؤثر على المدمن لآخر حياته ويتحمل آلامها إلى مماته، وهي كثيرة منها:

1. أضرار تتعلق بالعمود الفقري، لأن المدمن يجلس مدة علوية إلى هذه الوسائل منسجما متفاعلا معها، لا يشعر بنفسه، وفي أكثر الأحيان تكون جلسته غير صحية مما يؤثر بعد مدة على عموده الفقري، فيشعر بآلام مضنية وأوجاع لا توصف في مستقبل حياته:

(1) علي، محمود، الإدمان الإلكتروني المعاصر، ص95. انظر: درويش، يحيى، الإنترنت وأضراره، ص103.

وقد يضطر إلى إجراء عمله عمليات جراحية لا تحمله عقباها، ولا تسر نتائجها.

2. أضرار تتعلق بالإجهاد البصري بسبب الاقتراب من شاشات هذه الأجهزة والنظر المركز إليها مدة طويلة، والعينان مفتوحتان دون أن ترمشا مما يؤدي إلى جفاف سطح مقلة العين، وجفاف القرنية الذي يؤدي إلى حلب الجراثيم، ويسبب الالتهابات المتعددة والإفرازات المستمرة، وبالجملة فإن بقاء مسافة النظر ثابتة إلى هذه الوسائل يؤدي إلى إجهاد عضلات العين المسؤولة عن ضبط الصورة على الشبكة ويبقيها مشدودة مدة طويلة مما يؤدي أيضا إلى انحرافات في العين وأمراض متعددة.

– كذلك فإن لهذه الوسائل أضرارا في جهاز السمع قد تودي في بعض الأحيان لفقد السمع بسبب متابعة الحفلات الصاخبة وخاصة عندما يضع السماعات الخاصة بالأذنين، فيكون تأثيرها سلبيا شديدا على حاسة السمع لأن هذه السماعات توصل الصوت مباشرة إلى قناة الأذن.

– ظهور التعب الدائم مع الخمول والأرق والحرمان من النوم وانهيار الأعصاب، بسبب ممارستها الطويلة والتفكير الدائم بها مع ملاحظة ظهور بوادر الهبل (فقد العقل والتمييز والتكلم مع النفس مع عدم شعوره بذلك، والتبول الليلي من جراء أحلامه الي تتصل بما شاهده من أفلام الرعب).

. وكذلك فإن جلوس الأطفال والشباب إلى هذه الوسائل تحجبهم عن الحركة وممارسة الرياضة المنوعة والتعرض للشمس، وكل هذه الأشياء لها آثار إيجابية على الجسم، منعوا منها من خلال جلوسهم الطويل إلى هذه الوسائل.

– والجلوس إلى هذه الوسائل طويلا مع عدم ممارسة الرياضة وتناول العديد من الأطعمة غير الصحية يؤدي إلى السمنة التي انتشرت في هذا الجيل، هذه السمنة كثيرا ما تورث أصحابها أمراضا خطيرة كالسكري وضغط الدم، وغيرها[1].

---

(1) انظر: ماضي، محمد سمير، الإنترنت وأثره على الأطفال، بيروت، د ط، 2010م، ص182، فاطمة خير، محمد، وسائل الإدمان المعاصر، ص25.

الخاتمة

الحمد لله على عظيم فضله، وواسع جوده وكرمه، وتوفيقه وتسديده، ومعونته في إتمام هذا البحث الذي اشتمل على **الإنترنت ومدى تأثيره على سلوكيات الطفل**، وفيما يلي أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

وأسال الله تعالى أن يتفضل عليَّ بالنفع والقبول، وأسأله أن يسددني ويبعدني عن الزلل، ويرزقني حسن الخلق، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وينفعني به وجميع المسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نتائج البحث

1. معرفة أنواع شبكات التواصل الاجتماعي.
2. للإنترنت أضرار كبيرة على الأطفال.
3. تعريف المسلمين بخطورة الإنترنت على المجتمع.
4. للإنترنت أضرار كبيرة على العقيدة والإيمان والأخلاق والسلوك.
5. للإنترنت أضرار كبيرة فكرية، واجتماعية، ونفسية، وصحية.

ثبت المصادر والمراجع

1. الحايك، زهير رضا، الإعلام الإسلامي، دمشق، ط1، 2014م.

2. حجازي، عبد الرحمن، الإعلام الإسلامي بين الواقع والمرتجى، بيروت، دار المعرفة، ط1، 2009م.

3. درويش، يحيى، الإنترنت وأضراره، دمشق، دار طيبة، ط1، 2018م.

4. علواني، عبد الوهاب، أطفالنا في ظل العولمة، مجلة الطفولة والتنمية، القاهرة، العد 2، 2001م.

5. علي، محمود، الإدمان الإلكتروني المعاصر، دمشق، دار المحبة، ط1، 2017م.

6. فاطمة خير، محمد، وسائل الإدمان المعاصر، دمشق، دار العصماء، ط1، 2019م.

7. قاسم، حشمت، الإنترنت ومستقبل خدمات المعلومات، مجلة دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات، القاهرة، دار غريب للطباعة، العدد 2، ١٩٩٩ م.

8. ماضي، محمد سمير، الإنترنت وأثره على الأطفال، بيروت، د ط، 2010م.

فهرست الموضوعات.

باب التاريخ والجغرافيا:

1- القضية الكُردية في مؤتمر الصلح في باريس 1919

The Kurdish Question at the Peace Conference in Paris 1919

بقلم م.م. وجدان كارون

مركز دراسات البصرة والخليج العربي قسم الدراسات التاريخية/ جامعة البصرة

Asst. Lecturer Wijdan Karoon Freeh Basra and Arab Gulf Studies center

Department of Historical Studies University of Basra

wijdan.karoon@uobasrah.edu.iq

تاريخ الاستلام: 6/3/2022 تاريخ القبول: 4/4/2022

الملخص

سعى الكُرد عبر التاريخ إلى تأسيس دولة مستقلة لهم في المناطق ذات الأغلبية الكُردية، لكنهم كانوا دائماً يصدمون بعوائق سياسية داخلية وخارجية، ورفض دولي لفكرة انشاء دولة كُردية مستقلة بسبب مصالح بعض الدول، لاسيما مصالح القوى الكبرى، ما أدى إلى حملهم السلاح والقيام بالتمردات والثورات ضد الدول التي كانت تفرض نفوذها عليهم تارة، والسعي إلى إنشاء دولتهم بالطرق السياسية عند توفر الظروف الملاءمة لذلك تارة أخرى. كان انعقاد مؤتمر السلام في باريس عام 1919 بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى فرصة لهم لتحقيق هدفهم بإنشاء دولة كُردية، لكن مساعيهم باءت بالفشل، وعلى الرغم من وصولهم الى باريس، وبذل الزعماء الكُرد جهوداً حثية خلال مدة انعقاد المؤتمر، فانهم اصطدموا بجدار الدول الكبرى ومصالحها السياسية والاقتصادية في المنطقة التي تتعارض مع اهداف الكُرد، فضلاً عن عدم أهلية الكُرد سياسياً واقتصادياً لخوض الدبلوماسية العالمية التي كانت في قمتها في باريس عام 1919، ولإنشاء دولة مستقلة.

الكلمات المفتاحية: القضية الكُردية، مؤتمر الصلح في باريس، كردستان، شريف باشا

Abstract

The Kurds throughout history have sought to establish an independent state for them in the Kurdish-majority areas, but they were always shocked by internal and external political obstacles, and an international rejection of the idea of establishing an independent Kurdish state because of the interests of some countries, especially the interests of the major powers, which led to them taking up arms and carrying out rebellions and revolutions against Countries that used to impose their influence on them sometimes, and seek to establish their state through political means when the appropriate conditions are available for that at other times. The convening of the Peace Conference in Paris in 1919 after the end of the First World War was an opportunity for them to achieve their goal of establishing a Kurdish state, but their endeavors failed, and despite their arrival in Paris, the Kurdish leaders made efforts during the duration of the conference, they collided with the wall of the major countries and their political interests In addition to the political and economic inability of the Kurds to engage in global diplomacy, which was at its summit in Paris in 1919, and to establish an independent state.

Keywords: the Kurdish Question, the peace conference in Paris, Kurdistan, Sharif Pasha

المقدمة

شكلت القضية الكُردية مثار جدل للباحثين في التاريخ لما اكتنفها من تعقيدات سياسية واجتماعية واقتصادية، وشكلت تلك التعقيدات عبئاً على الكُرد انفسهم، ولم يتمكنوا على مدار قرون عديدة من انشاء دولة كُردية مستقلة ذات سيادة توحدهم كبقية الأمم والاقوام.

لاحت أمام الكُرد فرصة في مطلع القرن العشرين لتشكيل دولة كُردية، لا سيما بعد أن سادت الروح القومية الوطنية في إثر سيطرة الاتحاديين العثمانيين على الحكم في الدولة العثمانية التي كانت تسيطر على معظم الأراضي ذات الأغلبية الكُردية، ومن ثم هزيمتها في الحرب العالمية الاولى (1914–1918)، ورضوخها لشروط دول الحلف المنتصرة بتقسيم أراضيها، وفي إثر ذلك زاد طموح الكُرد بإقامة دولتهم، ولجأوا إلى تحقيقه عن طريق حمل السلاح ضد الدول التي تسيطر على الاراضي ذات الاغلبية الكُردية تارة أو عن طريق التحرك السياسي تارة أخرى، وكان انعقاد مؤتمر باريس للسلام عام 1919 أفضل فرصة سعى خلالها الزعماء الكُرد إلى اقناع الدول المنتصرة في الحرب العالمية الاولى على اقامة دولة كُردية فيدرالية مستقلة.

جاء اختيار موضوع البحث «القضية الكُردية في مؤتمر الصلح في باريس 1919» لكون مؤتمر باريس للسلام شكل منعطفاً كبيراً في القضية الكُردية، ترتبت عليه الكثير من التبعات المستقبلية.

تركزت مشكلة البحث حول الاجراءات التي اتخذها الزعماء الكُرد للمشاركة في المؤتمر، ومدى تمكنهم من ايصال صوتهم إلى المؤتمر، ومعرفة اذا ما كانت القضية الكُردية قد لاقت صداها في اقناع المجتمع الدولي بشكل عام والدول المنتصرة في الحرب العالمية الاولى بشكل خاص باقامة دولة كُردية مستقلة.

هدف البحث إلى الكشف عن تحركات الوفد الكُردي في مؤتمر باريس، والتوصل إلى الحقائق التاريخية عن مشاركتهم في المؤتمر، وموقف الجهات الدولية الفاعلة تجاه قضيتهم.

تتبع أهمية البحث من الأهمية التاريخية للكُرد ومناطقهم، وما شكلته سياستهم إزاء الدول من مواقف بعضها صريحة وأخرى مخفية، كما تعود أهمية البحث الى أهمية المطالب الكُردية التي كانت ولا زالت غاية الكُرد الرئيسة.

ويجب التنويه إلى أن البحث ليس بصدد التعمق لمعرفة الأصول الكُردية أو جذورهم التاريخية او آراء المفكرين والباحثين المختلفة عنهم أو عن قوميّتهم، اذ زخرت العديد من الكتب بتلك التفاصيل، لكن الضرورة اقتضت عرض أصولهم ولغتهم وجغرافية المنطقة التي يسكنها أغلبية كُردية بشكل ضيق بما يخدم هدف البحث.

قسم البحث إلى مقدمة وأربعة محاور وخاتمة، المحور الأول تناول أصول الكُرد، والمحور الثاني سلط الضوء على جذور القضية الكُردية، أما المحور الثالث فقد عرض تطورات القضية الكُردية خلال الحرب العالمية الاولى 1918-1914، فيما تناول المحور الرابع تحركات زعماء الكُرد في مؤتمر باريس للسلام عام 1919، وتضمنت الخاتمة النتائج التي توصل لها البحث.

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر في مقدمتها وثائق الأرشيف البريطاني غير المنشورة (The National Archive)، التي افاد البحث منها بمعلومات عن تحركات الزعماء الكُرد اثناء انعقاد مؤتمر باريس للسلام لإقامة دولة مستقلة لهم، وكان لرسائل الماجستير نصيب في تزويد البحث بمعلومات عن موقف الدولة العثمانية من الكُرد والقضية الكُردية ومؤتمر باريس للسلام، اما الكتب العربية والمعربة والكتب الاجنبية، فكانت خير معين للبحث في الكثير من المعلومات عن مواقف الدول تجاه القضية الكُردية في مؤتمر باريس منها كتاب وليد حمدي (الكُرد وكُردستان في الوثائق البريطانية: دراسة تاريخية وثائقية)، وكتاب الكاتب جيمس ايدوارد James Edward أوروبا من عام 1815 إلى الوقت الحاضر Europe in 1815 To the Present ، وكان للبحوث المنشورة في المجلات نصيب في رفد البحث بمعلومات عن الزعماء الكُرد وتحركاتهم للحصول على المساندة الدولية في مؤتمر باريس، منها بحث الباحث إسماعيل احمد سمو، القضية الكُردية في تركيا في اعقاب الحرب العالمية الأولى 1923-1919، وبحث الباحث هوكر طاهر توفيق (الشيخ عبد القادر النهري 1925-1851: الواجهة السياسية الكُردية الاولى في استانبول في الربع الأول من القرن العشرين)، كما اعتمد البحث على الموسوعات والصحف لرفد الدراسة ببعض المعلومات عن مؤتمر باريس للسلام.

أولاً. الاصول الكُردية

إنَّ تتبع جذور الكُرد أمر شائك، فليس لهم تاريخ قديم مثل بقية الأمم الأخرى التي تمتلك جذورا تاريخية ومصادر واضحة وموثوقة، وأغلب ما ذكر عن الكُرد في كتب التاريخ هو حديث عارض عنهم، لذلك اضطر الباحثون بأوضاعهم إلى الاعتماد على مصادر غير كُردية لتتبع جذورهم التاريخية، وعلى الرغم من ذلك فإنهم لم يتمكنوا من تعيين تاريخ الكُرد بدقة، ولكن السجلات السومرية اشارت الى أنه في حوالي سنة ألفين قبل الميلاد كان هناك شعب يدعى كوتي وثم أصبح اسمهم كرتي وقد سكنوا في اواسط دجلة في منطقة بوتان وجبل جودي عبر بزابدة الى سلاسل زاكروس شرقاً، أما الخبير البريطاني في شؤون الاثار القديمة السير سدني سميث (Sir Sidney Smith) فقال: «**إنَّ الشعب الكُردي قوم من الأقوام والشعوب الهندو-ايرانية قدموا الى كُردستان**[1] **في الوقت الذي قدم فيه الميديون والفرس الى فارس**»[2].

أما اللغة الكُردية فإنها تندرج ضمن مجموعة اللغات الإيرانية التي تمثل فرعاً من فروع اللغات الهندو-أوربية، وتضم اللغة الكُردية الفاظاً كثيرة من العربية والفارسية وبعض المفردات التركية، وتنقسم الى لهجتين رئيستين هما البهلوانية والكرمانجية، ويتفرع منهما العديد من اللهجات المحلية[3]. ومن الناحية الدينية فإنهم غير متجانسين دينياً، وغالبيتهم من المسلمين السنة، الذين تحولوا بين القرنين الثاني عشر والسادس عشر من الديانة المسيحية الى الديانة الاسلامية، والتزموا بالمذهب الشافعي بدلاً من المذهب الحنفي الذي كان مذهب الدولة العثمانية، وبعضهم يدين بالمذهب الشيعي الاثني عشري، وهناك عدد من الديانات الأخرى التي يدين بها الكُرد مثل اليهودية والمسيحة واليزيدية، والعلا الإلهية الذين يتبعون شكلاً غير تقليدي للطائفة للشيعة، وأغلب الكُرد في ايران يعتنقون المذهب الشيعي الاثني عشري، وتوجد في جنوب شرق ايران طائفة صغيرة يطلق عليها أهل الحق [4].

(1) كُردستان: يعني مصطلح كُردستان (مناطق الكُرد)، وينسب البعض اصل الكلمة إلى اللغة الفارسية، وهي تتألف من مقطعين الأول (كُرد) وتعني الشجعان، و(ستان) وتعني البلاد، وبذلك تكون ترجمتها الحرفية (بلاد الشجعان). ينظر: وليد حمدي، الكُرد وكُردستان في الوثائق البريطانية، دراسة تاريخية وثائقية، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1992، ص15.

(2) نقلا عن: جلال الطالباني، كُردستان والحركة القومية الكُردية، منشورات النور، بغداد، 1970، ص4.

(3) أمين شحاتة، الكرد.. معلومات أساسية، الكرد دروب التاريخ الوعرة، تحرير لقاء مكي، مركز الجزيرة للبحوث والدراسات، الجزيرة نت، الملفات الخاصة، 2006، ص7-6.

(4) Kerim Yildiz, The Kurds in Iraq: The Past, Present and Future, Pluto press, London, 2004, P. 9.

امتاز الكُرد بتمسكهم بقوميتهم الكُردية، والاستعداد الدائم للقتال من أجل الدفاع عنها، وأدى تمسكهم بقوميتهم وبنظامهم القبلي وروح القبلية إلى أن يعيشوا على شكل جماعات منعزلة عن المجتمع المحيط بهم، وشكلوا دولة وسط دولة، وكانت المجتمعات القبلية الكُردية تتمتع بشيء من النفوذ والاستقلال القضائي والإداري الذي يعتمد على الحق العرفي وليس الحق المدني، ولم يشعر أفراد القبائل الكُردية منذ عصور طويلة بضرورة الخضوع لتنظيم سياسي أو إداري خاص بهم غير القبيلة التي ينتمون لها، وكانوا يدينون لزعيم القبيلة، ويكنون الولاء لقادتهم أكثر من الحكومات الشرعية للدول التي يسكنون داخل حدودها[1].

استُعمِل مصطلح كُردستان جغرافياً للمرة الأولى في العهد السلجوقي (1037-1157)، بعد أن فصل السلطان السلجوقي معز الدين أحمد سنجر (1157-1151) القسم الغربي من اقليم الجبال وجعله ولاية تحت حكم قريبه سليمان شاه واطلق على تلك المنطقة كُردستان، وشملت الأراضي الممتدة بين اذربيجان ولورستان ومناطق سنت ودينور وهمدان وكرمنشاه والمناطق الواقعة غرب جبال زاكروس[2].

تتوزع منطقة كُردستان بين تركيا وايران والعراق وسوريا، ومن الصعوبة تحديد مساحتها بدقة أو إحصاء عدد سكانها[3]، بسبب تضارب الإحصائيات وتنوعها وخضوعها للتيارات السياسية السائدة في المناطق التي تضم الكُرد، فالتقديرات الاحصائية الرسمية تختلف عن التقديرات الحقيقية بسبب انكار بعض تلك الدول حقوق الكُرد أو حتى وجودهم كقومية لها ما للقوميات الأخرى من حقوق، ويعد احصاء الكُرد في تركيا من أصعب الأمور، لأن الحكومة التركية لا تسميهم كُردا وإنما أتراكا جبليين[4]، وتنكر عليهم دعواهم القومية انكارا تاماً، كما تنكر ايران على الكُرد حقوقهم القومية أو الاشارة اليهم بذلك

---

(1) حامد محمود عيسى، المشكلة الكُردية في الشرق الأوسط منذ بدايتها حتى سنة 1991، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1992، ص11-10.

(2) أمين شحاتة، المصدر السابق، ص6.

(3) إسماعيل محمد حصاف، كوردستان والمسألة الكوردية، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، أربيل، 2009، ص56-55.

(4) تسمى كردستان الشمالية، وهي المناطق التي تسكنها غالبية كردية في تركيا، وتعد مدينة ديار بكر من أكبر المدن الكردية الموجودة في هذه المنطقة، وتبلغ مساحتها (194,400) كم2، ويبلغ عدد سكانها (1,500,000) كردي بحسب إحصاء عام 1925. مثنى امين قادر، قضايا القوميات واثرها على العلاقات الدولية (القضية الكردية نموذجاً)، ط1، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية-العراق، 2003، ص83-81.

المعنى في أي احصاء سكاني رسمي، زيادة على امتناع العشائر والفلاحين الكُرد عن تسجيل أنفسهم أثناء الاحصاءات السكانية الرسمية خوفاً من شمولهم بنظام التجنيد أو نظام الضرائب[1]، أما بالنسبة لكُرد العراق فإن الحكومة العراقية تطلق مصطلح كُردستان العراق[2] على المناطق التي تسكنها الغالبية الكُردية شمالي العراق[3].

تمتاز المنطقة التي يسكنها الكُرد عموماً بكونها جبلية وعرة وقاسية، وهي مناطقة غنية بالثروات الطبيعية المتنوعة، كما تضم اراضي سهلة وخصبة، وفيها منابع وفيرة للمياه مثل منابع نهري دجلة والفرات، زيادة على وجود مجموعة من البحيرات المحلية أخرى، وقد أدت الطبيعية الجبلية الوعرة إلى عزل الكُرد عن المدن وساعدتهم على الاحتفاظ بهويتهم ولغتهم وتقاليدهم وثقافتهم على الرغم من تعرض مناطقهم للاحتلال العربي والتركي والفارسي[4].

وعلى الرغم من ان البقعة الجغرافية التي يسكنها الكُرد متجانسة جغرافياً وعرقياً، لكنها مقسمة بحدود سياسية، ولم تشكل دولة مستقلة ذات حدود سياسية محددة[5]، لذلك فإنه من الصعب تحديد جغرافية كُردستان بدقة لعدم وجود حدود سياسية معترف بها دولياً[6].

ثانياً. جذور القضية الكُردية 1514- 1914

بدأت القضية الكُردية عندما اصطدمت الدولتان الصفوية والعثمانية عام 1514 في

(1) حامد محمود عيسى، المشكلة الكُردية في الشرق الأوسط، المصدر السابق، ص6.

(2) تعرف بكردستان الجنوبية، وتتألف من مناطق محافظات اربيل، السليمانية، ودهوك. اما المصادر الكردية فتعد كركوك من ضمن مناطق كردستان فضلاً عن نواح واقضية نينوى. واتفقت البحوث التاريخية والجغرافية على أن جبال حمرين هي الحدود الفاصلة بين اقليم كردستان والمناطق العراقية، على الرغم من وجود بعض المشاكل حول الحدود الجغرافية في ذلك الجزء من كردستان، ولكن حسب المصادر فإن تلك الحدود تمتد الى الشمال حتى الجسر النفطي الذي تقع في غرب من بلدة مندلي، وبمحاذاة مرتفعات حمرين حتى تصل الى الفتحة وصعوداً بمحاذاة نهر دجلة، وفي شمال مدينة الموصل تنحني باتجاه بلدة حضر ثم تتجه غرباً باتجاه الحدود العراقية السورية شمال بلدة بعاج. تبلغ المساحة الجغرافية لإقليم كردستان الجنوبية (72,000) كم2، وعدد الاكراد يبلغ (500,000) كردي يسكنون كردستان العراق حسب ما قدره مسؤولو عصبة الأمم عن طريق المقارنة عام 1925، اذ بلغ عدد الاكراد في العالم ثلاثة ملايين نسمة. للمزيد ينظر: مثنى امين قادر، المصدر السابق، ص83–81؛ موقع الحزب الديمقراطي الكوردستاني، نبذة عن إقليم كوردستان العراق، info.kdp.www//:http

(3) مثنى امين قادر، المصدر السابق، ص80–78.

(4) المصدر نفسه، ص 82–81.

(5) أمين شحاتة، المصدر السابق، ص6.

(6) مثنى امين قادر، المصدر السابق، ص80.

معركة جالديران التي نتج عنها تقسيم منطقة كُردستان بين الدولتين، بعد أن كانت مجموعة من الامارات المستقلة المشغولة بتنظيم شؤونها الداخلية، لكن سوء معاملة الشاه اسماعيل الصفوي لها والاختلاف المذهبي معه أدى الى اصطفاف أكثر الامارات الى جانب الدولة العثمانية، بفضل جهود العلامة ملا ادريس البدليسي، وبعد معركة جالديران فوضت الدولة العثمانية الملا ادريس عام 1515 بعقد اتفاقية مع زعماء الامارات الكُردية، واعترفت الدولة العثمانية بموجب الاتفاقية بسيادة تلك الامارات على كُردستان على أن يبقى الحكم فيها وراثياً، وتقوم الدولة العثمانية بحمايتها عند تعرضها للغزو او الاعتداء الخارجي مقابل ان تدفع الامارات الكُردية رسوم سنوية كرمز لتبعيتها للدولة العثمانية، وأن تشارك الى جانب الجيش العثماني في اية معارك تخوضها الدولة العثمانية، وذكر اسم السلطان والدعاء له من على منابر الامارات في خطبة الجمعة، وفي عام 1555 عقدت الدولتان الصفوية والعثمانية اتفاقية أطلق عليها اتفاقية أماسيا الثنائية، وهي أول معاهدة رسمية بين الدولتين قسمت بموجبها كُردستان بينهما، ثم تبعتها معاهدات واتفاقيات عديدة، منها معاهدة زهاو عام 1639، وأرضروم الأولى عام 1823[1].

رفضت القبائل الكُردية الرضوخ إلى تلك المعاهدات، واستمرت بمحاولة فرض سيطرتها على منطقة كُردستان التابعة للدولة العثمانية، ودخلت في صراعات داخلية فيما بينها من جهة، والانتفاض ضد السيطرة العثمانية من جهة أخرى، وحدثت مصادمات عسكرية مع الجيش العثماني، وما إن تكاد تخمد انتفاضة احدى القبائل الكُردية ضد الدولة العثمانية حتى تنشب انتفاضة جديدة لقبيلة أخرى، وتمكنت الدولة العثمانية في عام 1826 من فرض سيطرتها على الاراضي الكُردية جميعها التابعة لها بموجب المعاهدات مع الدولة الصفوية[2].

سعى الولاة العثمانيون إلى استعمال أساليب جديدة للسيطرة على القبائل الكُردية، فقد شجعت الدولة العثمانية الكرد على الاستقرار والزراعة، وادخلت الإصلاحات الادارية على مناطقهم وفرضت الادارة المركزية عليها، لكنها فشلت في ذلك، لذلك قررت نقلهم من موطنهم الأصلي وتوطينهم في مناطق أخرى خارج كُردستان ونقلت قسما من قبيلة

(1) عبد الله محمد علي العلاوي، جذور المشكلة الكردية، الكرد دروب التاريخ الوعرة، الكرد دروب التاريخ الوعرة، تحرير لقاء مكي، مركز الجزيرة للبحوث والدراسات، الجزيرة نت، الملفات الخاصة، 2006، ص35-34.

(2) حامد محمود عيسى، المشكلة الكُردية في الشرق الأوسط، المصدر السابق، ص26-21.

الهماوند الى طرابلس الغرب في ليبيا وأزمير، لكن الكُرد لم يتقبلوا فكرة ترك موطنهم الأصلي وعادوا الى مناطقهم التي نفوا منها، ولم تنقطع الانتفاضات الكُردية ضد الدولة العثمانية لذلك شكلت في عام 1891 فرقا غير نظامية من شيوخ وأفراد القبائل الكُرد الموالين لها سميت بفرق الفرسان الحميدية أو الالايات الحميدية[1] لاستعمالها في احكام السيطرة على المناطق الكُردية، ولضرب الأرمن والأثريين في المناطق نفسها[2].

أخذت القضية الكُردية تتعقد يوماً بعد آخر، لعدم تمكن الدولتين الفارسية والعثمانية من فرض سيطرتهم التامة على كُردستان حتى نهاية القرن التاسع عشر، لاسيما بعد انتشار الأفكار القومية في الشرق في بداية القرن العشرين، بعد أن بدأت الدول الاوروبية تتدخل بشؤون المنطقة الكُردستانية عن طريق الرحالة الأجانب والارساليات التبشيرية والقنصليات البريطانية والروسية والفرنسية والأمريكية التي حرضت القبائل الكُردية ضد الدولة العثمانية والفارسية، ليفرضوا نفوذهم في المنطقة لاستثمار ثرواتها لمصلحتهم[3].

دخلت القضية الكُردية مرحلة جديدة عام 1908 بعد سيطرة حركة الشبان الاتراك[4] على الحكم في الدولة العثمانية، الذين اتبعوا سياسة التتريك مع القوميات غير التركية وهي العربية والارمنية والكُردية وغيرها، الأمر الذي ولد استياء شعبياً كبيراً لدى الكُرد، وحدثت حركات ثورية كُردية ضد العثمانيين، أولها الحركة المسلحة بقيادة إبراهيم باشا الملي[5] التي حدثت عام 1908 وسيطر فيها على المناطق الواقعة بين ارزنجان ودير الزور، واحتل مدينة دمشق على رأس جيش قوامه (1500) مسلح، فقامت الحكومة

(1) **الالايات الحميدية:** فرق خيالة عسكرية غير نظامية شكلتها الدولة العثمانية عام 1891 جميع ضباطها وجنودها من الكُرد، وسميت بالحميدية تيمناً باسم السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، كان مقرها بالقرب من الحدود الروسية، ضمت الكُرد الموالين للدولة العثمانية من أجل قمع الانتفاضات الكُردية والارمنية والاثورية في كُردستان. ينظر: حامد محمود عيسى، القضية الكُردية في تركيا، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، 2001، ص70.

(2) حامد محمود عيسى، المشكلة الكُردية في الشرق الأوسط، المصدر السابق، ص26-21.

(3) عبد الله محمد علي العلياوي، جذور المشكلة الكُردية، المصدر السابق، ص35.

(4) **حركة الشبان الاتراك:** ويطلق عليها حركة تركيا الفتاة، هي حركة إصلاح سياسية، ظهرت في أوائل القرن العشرين، هدفها الملكية المطلقة للسلطنة العثمانية بحكومة دستورية، وقادوا تمردًا ضد الحكم المطلق للسلطان عبد الحميد الثاني عام 1908. للمزيد ينظر: محمود روحي بيك الخالدي، اسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة: اصدق تاريخ لأعظم انقلاب، مكتبة المنار، مصر، 1908.

(5) **ابراهيم باشا الملي (1843 - 1908):** وهو من الرجال الكُرد الاغنياء ويأتي بالمرتبة الثانية بالغنى بعد السلطان عبد الحميد الثاني في الشرق، وكانت له سيطرة على القبائل الكُردية في ديار بكر واورفه وماردين في الدولة العثمانية. ينظر: محمد علي الصويركي الكُردي، الموسوعة الكبرى لمشاهير الكُرد عبر التاريخ، ج1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008، ص35.

العثمانية بتحريض القبائل عليه وحاصرته قوات الجيش التركي والقبائل الموالية لها في منطقة جبال عبد العزيز الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الخابور وقضت عليه وعلى قواته[1].

ساعد تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في كُردستان على تنامي المد القومي الكُردي، وازداد عدد الجمعيات والمنظمات الكُردية القومية التي تدعو للاستقلال، وزاد تأثيرها بين الناس لا سيما بين المثقفين منهم، واخذت تنشر أدبياتها وآراءها المتحررة على نطاق واسع، وحدثت حركات كُردية مسلحة في عدد من مناطق كُردستان لكنها منيت بالفشل[2].

أدى تنامي الشعور القومي إلى اتفاق الشخصيات الكُردية البارزة على رأسهم محمود الحفيد[3] في عام 1913 على السعي تخليص كُردستان من سيطرة الدولة العثمانية وإقامة دولة فيدرالية كُردية، وبعث برسائل الى المسؤولين الروس حول المستقبل السياسي لكُردستان، وفي الوقت نفسه استمرت الدولة العثمانية بسياستها الرافضة للاعتراف بالوجود الكُردي، وأثقلت كاهل الكُرد بالضرائب الكبيرة، ما أدى إلى سخطهم، حتى وصل ذروته بإعلان الكفاح المسلح ضد الدولة العثمانية مطلع كانون الثاني عام 1914، بدأت شرارتها الأولى في منطقة بدليس بقيادة الملا سليم وبعض الزعماء الوطنيين الاخرين، وعلى الرغم من قمعها بشدة من قبل العثمانيين، لكن الوضع في كُردستان بقي مضطرباً، واستمر الكُرد بالضغط على الحكومة العثمانية ومطالبتها بالتخلي عن سياسة الاهمال التي تنتهجها تجاههم، ونتيجة عدم اصغاء العثمانيين اعلن القسم الاكبر من القبائل الكُردية في منطقة بهدينان الانتفاضة ضد الحكومة في اذار من العام نفسه، وامتدت لتشمل جميع كُردستان لإجبار العثمانيين

(1) المصدر نفسه، ص36.

(2) كمال مظهر احمد، كُردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ترجمة: محمد الملا عبد الكريم، ط3، دار الفارابي، لبنان، 2013، ص135-29.

(3) **محمود الحفيد البرزنجي (1956-1881)**: ولد في مدينة السليمانية في شمال العراق، ودرس علوم الشريعة والفقه والتفسير والمبادئ الصوفية، وورث عن والده مشيخة الطريقة القادرية واتقن الى جانب الكُردية اللغة العربية والفارسية والتركية. تولى عام 1910 زعامة السليمانية وسعى الى التخلص من الدولة العثمانية. قاد اول حركة كُردية مسلحة ضد البريطانيين قبل تأسيس الدولة العراقية، واستمر بعدها، وعلى الرغم من تعرضه للنفي اكثر من مرة، لكنه كان يعود للعمل المسلح في محاولة للحصول على حكم مستقل في اقليمه بالسليمانية. توفي في بغداد عندما كان فيها للعلاج عن عمر ناهز السادسة والسبعين، ونقل جثمانه ودفن في السليمانية. للمزيد ينظر: عبد الرحمن ادريس صالح البياتي، الشيخ محمود الحفيد البرزنجي والنفوذ البريطاني في كُردستان العراق حتى عام 1925، منشورات بنكه زن، السليمانية، 2007، ص43.

على الاستجابة لها، وطلب زعماء الانتفاضة من روسيا وبريطانيا الضغط على العثمانيين، وتمكنت الحكومة العثمانية من القضاء على الانتفاضة في حزيران من العام نفسه [1].

بناءً على ما تقدم يمكن القول إن القضية الكُردية نشأت بسبب تقسيم المناطق التي يتواجد فيها الكُرد بين الدولتين الصفوية والعثمانية، ورفض كلا الدولتين الاعتراف بحقوق الكُرد مقابل اصرار الكُرد على نيل استقلالهم، وتركزت أغلب الحركات المسلحة الكُردية في القسم الكُردستاني الذي يقع داخل الدولة العثمانية التي نجحت في قمعها.

ثالثاً. تطورات القضية الكُردية أثناء الحرب العالمية الاولى 1918-1914

دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى[2] الى جانب دول المحور في 5 تشرين الثاني 1914، فحاولت بريطانيا تقويض الدولة العثمانية عن طريق التعاون مع بعض الشخصيات الكُردية، وفي الوقت نفسه سعت بعض الشخصيات الكُردية إلى التنسيق مع روسيا وبريطانيا بهدف تحقيق مكاسب سياسية للكُرد، ومع تزامن الاحداث التي شهدها العالم خلال تلك الفترة عرض شريف باشا خندان[3] على السلطات البريطانية في كانون الأول عام 1914 مساعدتها في حملتها العسكرية على العراق، مقابل الحصول على تأكيدات حول مستقبل كُردستان، لكن خططه باءت بالفشل، لتشكيك بعض السياسيين البريطانيين في نياته[4].

---

(1) مثنى امين قادر، المصدر السابق، ص106.

(2) **شريف باشا خندان (1951-1865)**: ولد في مدينة اسطنبول من عائلة بابان الكُردية المشهورة كان والده وزيراً للخارجية ثم رئيسا لمجلس شورى الدولة العثمانية، عين عام 1885 وزيراً مفوضاً للدولة العثمانية في ستوكهولم ثم في باريس عام 1898 حتى اعلان الدستور العثماني 1908، استقر بعدها في باريس، وعند عودته إلى تركيا وانضم الى صفوف الحركة الكُردية، ساهم في تأسيس جمعية تعالي وترقي كُردستان. ينظر: محمد علي الصويركي الكُردي، المصدر السابق، ص315.

(3) **الحرب العالمية الاولى**: نشبت بداية الأمر في اوروبا عندما أعلنت النمسا الحرب على صربيا في تموز عام 1914 بسبب اغتيال طالب صربي لولي عهد النمسا فرانز فرديناند، ثم شنت المانيا الحرب على فرنسا عبر الأراضي البلجيكية في 2 اب من العام نفسه، ما أدى إلى اعلان بريطانيا الحرب على المانيا في الرابع من الشهر نفسه، وشارك في الحرب دول التحالف الثلاثة (بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية) ضد دول المحور (النمسا والدولة العثمانية وبلغاريا) بزعامة المانيا، وانتهت الحرب في 11 تشرين الثاني 1918 بانتصار دول التحالف. للمزيد ينظر: عبد الرحمن ادريس صالح، تراجع بريطانيا بعد الحرب العالمية الاولى 1934-1918، مجلة ديالى، العدد 46، 2010، ص172-167.

(4) أشار برسي كوكس في مذكرة بعثها الى حكومته منذ عام 1909 إلى ان شريف باشا لا يعمل بنيات خالصة، وانما يطمح ليكون رئيساً لدولة كُردستان المستقلة المقبلة، وكان كوكس يرى فيه الشخص غير المناسب. ينظر: عبد الرحمن ادريس صالح البياتي، سياسة بريطانيا تجاه كُرد العراق 1932-1914، مطبعة شقان، السليمانية-العراق، 2010، ص75-74.

نرى أن من الأسباب الأخرى التي أدت إلى فشل مخطط شريف باشا، واهمال بريطانيا لعرضه عدم توقع بريطانيا ان عملياتها العسكرية في العراق ستتطور لتصل الى كُردستان العراق.

اعلنت الدولة العثمانية من جانبها الجهاد ضد دول الحلف، واستجابت العشائر الكُردية لدعوة الجهاد، ووقفت الى جانب القوات العثمانية في بداية الحرب[1]، لكنهم بعد ذلك دخلوا الحرب الى جانب الروس، لذلك لجأت الدولة العثمانية إلى تشكيل (30) فوجاً من قوات الفرسان غير النظامية وزجهم في الجبهة الشرقية على الحدود الروسية–العثمانية، وتصدت أفواج الفرسان للقوات الروسية وخاضت ضدها معارك عنيفة، وحاول الروس استمالة عدد من الزعماء الكُرد إلى جانبهم، منهم الشيخ عبد القادر الشمزيني، لكنه اشترط عليهم اعترافهم بالحكم الذاتي الكُردي تحت زعامته، وانحاز عبد الرزاق بدرخان الى الروس وقاد (500) مسلح منذ بداية تشرين الثاني 1914 في منطقة جالديران، وهاجم الكُرد القوات العثمانية في منطقة خاربوت ودرسيم، كما أعلنت قبائل الطالباني وزنكنه وداوده ومجيد بك استعدادها لمساندة روسيا ضد العثمانيين الذين حاولوا اثارة الكرد ضد الاثوريين في هكاري، ولكن الاثوريين انفسهم قبلوا اقتراح الروس بالانضمام الى جانبهم في الحرب، واعلنوا الحرب ضد الدولة العثمانية في 10 أيار 1915 [2].

استجاب بعض من الكرد وشاركوا في حملات الجهاد التي اطلقها علماء الدين المسلمين ضد بريطانيا بعد دخولها الى جنوب العراق، فتوجه (1500) مقاتل الى البصرة بقيادة الشيخ محمود الحفيد، للمشاركة في معركة الشعيبة ضد البريطانيين، لكنهم لم يشتركوا في القتال بسبب سرعة انسحاب القوات العثمانية أمام القوات البريطانية[3]،

(1) ذكر بعض المؤلفين ان العشائر الكُردية رفضت منذ بداية الحرب الاستجابة لنداءات العثمانيين المتكررة حول الجهاد المقدس والتجنيد العام، كما لم يمض على اندلاع الحرب وقت طويل حتى اخذ الجنود الاكراد يفرون من صفوف الجيش العثماني. للمزيد ينظر: كمال مظهر احمد، كُردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، المصدر السابق، ص159.

(2) سروة اسعد صابر، كوردستان من بداية الحرب العالمية الأولى الى نهاية مشكلة الموصل 1914–1926 دراسة تاريخية وثائقية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، 1999، ص19–17.

(3) معظم الزعماء الذين توجهوا للبصرة من قبائل الجاف والهماوند والطالبانية والبرزنجية والكاكائية والشوان والداودية والبادوا، منهم: عبد الله صافي بيك اليعقوبي نائب كركوك، ونامق الهماوند والسيد محمد علي ميردار، والسيد احمد خلنقاه، والشيخ قادر، والشيخ نامق اغا، والشيخ ميره سور. ينظر: ايناس سعدي عبد الله، تاريخ العراق الحديث، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 2014، ص594.

وما عدا تلك القوات فإن الكُرد رفضوا القتال الى جانب الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، كما رفضوا تقديم الامدادات والمؤن للعثمانيين، وانخرط أغلب الكُرد في صفوف قوات الليفي[1] البريطانية للقتال ضد العثمانيين، وقدموا مساعدات كثيرة لقوات الحلفاء، لذلك سحب العثمانيون قوات الفرسان الحميدية من ساحات الحرب بعد أشهر قليلة من اندلاعها لعدم الاطمئنان اليها[2].

وبناء على الموقف الكُردي من الدولة العثمانية فقد عدتهم الأخيرة خونة وأصدرت القوانين والأنظمة لملاحقتهم وتهجيرهم، وكشفت الإحصاءات والأرقام الخاصة بدائرة الهجرة العامة في إسطنبول أن السلطات العثمانية قامت في عام 1915 بتهجير (700) الف كُردي من كُردستان الى غرب الاناضول، مات نصفهم في الطريق بسبب وعورة الطريق، والأحوال الجوية السيئة، والظروف غير الانسانية التي مروا بها التي تمثلت بالجوع والمرض وعدم وجود مأوى لهم[3].

ويبدو ان الدولة العثمانية اتبعت سياسة التهجير والإبادة بحق بعض الأقليات المتواجدة في امبراطوريتها، كالمسيح والارمن والاكراد، عقاباً لهم لمساندتهم لقوات الحلفاء.

تغير موقف القبائل الكُردية تجاه روسيا بعد أن سيطرت القوات الروسية على المناطق الكُردية في شمالي العراق عامي 1916-1915، وأصبحت عبئاً ثقيلاً على سكانها، فقد ارتكبوا فيها أعمالا وحشية، لا سيما في مناطق خانقين وراوندوز، ما أدى الى قيام بعض رؤساء العشائر الكُردية بحمل السلاح ضدهم، وقطعوا الاتصال معهم، حتى ان الزعيم الكُردي محمود الحفيد وصفهم آنذاك بالوحوش ومصاصي الدماء[4]. وقدم الأمير كامل بدرخان في تفليس عام 1916 مطالب الكُرد القومية الى نائب القيصر الروسي في

---

(1) **قوات الليفي:** ويطلق عليهم قوات الشبانه، المجندون العراقيون الذين جندتهم بريطانيا لاستعمالهم في العمليات العسكرية وشبه العسكرية، أول تشكيل لهم في العراق كان في مدينة الناصرية عام 1915 وتكون من 40 خيالاً، انحسرت مهمتهم في حماية الخطوط مواصلات الجيش البريطاني. ينظر: ياسين طه ياسين، قوات الليفي: دراسة في الاستراتيجية البريطانية في العراق 191501920، مجلة آداب البصرة، العدد (60)، 2012، ص148-147.

(2) كمال مظهر احمد، دور الشعب الكُردي في ثورة العشرين العراقية، مطبعة الحوادث، بغداد، 1978، ص93.

(3) وليد حمدي، المصدر السابق، ص23-22.

(4) المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر الخياط، دار الكتب، بيروت، 1971، ص140؛ عبد الرحمن ادريس صالح البياتي، سياسة بريطانيا تجاه كُرد العراق، المصدر السابق، ص78.

القوقاز وقائد القوات العام المرابطة آنذاك على الحدود التركية، لكن المسؤولين الروس لم يتبنوا خلال تلك المدة سياسة واضحة تجاه الكرد، اذ كانت المشكلة الكردية تمتزج وآمال أرمينيا المستقلة، فرفضوا النظر في المسألة. في هذه الاثناء كان الكرد يعانون من قسوة العثمانيين تجاههم، فضلاً عن المجاعة التي قضت على الكثيرين في السليمانية، فبعث محمود الحفيد برسالة الى الشريف حسين[1] وأولاده مبيناً رغبته في توحيد الجهود ضد الاتراك. ومن جهة أخرى أكد المندوب الروسي في طهران ضرورة مساندة الكُرد في السليمانية في حركاتهم ضد الدولة العثمانية، وتعهد لأكراد ايران بمنحهم حكماً ذاتياً[2].

اعتقدت اغلب العشائر الكردية في كردستان العراق بعد احتلال البريطانيين لبغداد في 11 اذار 1917 أن الفرصة أصبحت سانحة لهم للمطالبة بحقوقهم القومية، وأبدت بريطانيا من جانبها اهتماماً بكُرد العراق، كما سعت لكسب المزيد من الزعماء المحليين الى جانبها، سواء من خلال وكلائهم أو من خلال الصحافة الموجهة التي استخدمتها السلطات البريطانية لذلك الغرض[3]، وتبادلوا معهم الرسائل بهذا الشأن، لا سيما كُرد كركوك والسليمانية، وفي كانون الأول عام 1917 دخلت القوات البريطانية منطقة خانقين بعد انسحاب القوات الروسية منها بحجة صعوبة الاعاشة والتموين وبسبب مضايقة العشائر الكُردية، وشكلت بريطانية قوة كُردية بأمرة عدد من الزعماء الكُرد، وبعد الانسحاب الروسي من الحرب نتيجة لثورة أكتوبر عام 1917[4]، وتزامناً مع المفاوضات الروسية –العثمانية، عززت بريطانيا ممثلياتها في كُردستان العراق وفي كل من كرمنشاه وبلاد الكلهور ولورستان وبختران وهمدان[5]، وطلبت وزارة الخارجية البريطانية في عام

---

(1) **الشريف حسين (1931–1853)**: ولد في مدينة الأستانة، وانتقل مع عائلته إلى مكة وهو في الثامنة من عمره، قاد الثورة العربية الكبرى عام 1916، وبويع ملكاً على العرب بعد الثورة، واجبر على التنازل عن عرشه لابنه علي ونفي إلى قبرص عام 1926، ثم اعيد إلى عمان بعد تدهور حالته الصحية وتوفي فيها. للمزيد عن حياته ينظر: نضال داود المومني، الشريف الحسين بن علي والخلافة، مطبعة الصفدي، عمان، 1996، ص18 وما بعدها.

(2) سروة اسعد صابر، المصدر السابق، ص27–26.

(3) عبد الرحمن ادريس صالح البياتي، سياسة بريطانيا تجاه كُرد العراق، المصدر السابق، ص79.

(4) **ثورة اكتوبر 1917**: الثورة الروسية التي اطاحت بالنظام القيصري في روسيا، قادها البلاشفة تحت إمرة فلاديمير لينين وليون تروتسكي، واستمدت أفكارها من أفكار كارل ماركس، وهدفت إلى اقامة دولة شيوعية واسقاط الجمهوريات الديمقراطية. للمزيد عن الثورة ينظر: ليون تروتسكي، تاريخ الثورة الروسية، ج1–ج2، ترجمة: اكرم ديري وهيثم الايوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972.

(5) سروة اسعد صابر، المصدر السابق، ص35–28.

1918 وبعد الاحتلال البريطاني للعراق من السفير برسي كوكس ان يلتقي بشريف باشا في مدينة مرسيليا الفرنسية للاستماع الى طلباته فقط[1].

دخلت القوات البريطانية الى كركوك في 7 أيار 1918، وعلى اثر ذلك انسحبت القوات العثمانية من السليمانية، وبدأت العشائر الكُردية بإرسال رسائل التأييد لبريطانيا، كما أرسل الشيخ محمود الحفيد رسالة الى الحاكم المدني البريطاني في بغداد، والقائد العام للقوات البريطانية في كركوك، أكد فيها على رغبة الكُرد في اعتراف بريطانيا بحقوقهم، اما بريطانيا فرأت من الضرورة السياسية التفاهم مع الشيخ[2].

وبناء على ما تقدم عينت السلطات البريطانية الشيخ محمود الحفيد حاكماً على السليمانية، بعد ان اجتمع زعماء ووجهاء العشائر وقرروا تشكيل حكومة كُردية مؤقتة يرأسها الشيخ محمود الحفيد البرزنجي، واتباع سياسة موالية وصديقة لبريطانيا، لكن القوات البريطانية انسحبت من كركوك واحتلها العثمانيون مرة أخرى وارسلوا مفرزة الى السليمانية التي أصبحت خاضعة للأحكام العرفية، وسجن الوجهاء وفرضت الغرامة عليهم، واستطاع العثمانيون القبض على الشيخ محمود الحفيد وحكمت عليه المحكمة العسكرية بالإعدام، لكنهم اطلقوا سراحه في 19 أيلول عام 1918، خوفاً من ردود أفعال القبائل الكُردية ضدهم[3].

انتهت الحرب العالمية الاولى باستسلام الدولة العثمانية للحلفاء في 30 تشرين الأول عام 1918، ووقع الطرفين على هدنة مودروس استسلمت بموجبها القوات العثمانية جميعها للحلفاء، وتقاسمت بريطانيا وفرنسا املاك الدولة العثمانية وفقاً لاتفاقية سايكس–بيكو[4] التي وقعت بين الدولتين بشكل سري أثناء الحرب العالمية الاولى، وفي 8 تشرين الثاني عام 1918 اصدرت بريطانيا وفرنسا بياناً مشتركاً أكدتا فيه تحرير الشعوب وتأسيس حكومات وادارات وطنية تستمد سلطاتها من رغبة سكان الأصليين وبمحض

(1) عبد الله محمد علي العلياوي، المصدر السابق، ص35.
(2) سروة اسعد صابر، المصدر السابق، ص33–28.
(3) المصدر نفسه، ص35–33.
(4) **تفاقية سايكس – بيكو**: اتفاق سري عقد عام 1916 بين ممثل بريطانيا مارك سايكس *(Mark Syke)* وممثل فرنسا الدبلوماسي الفرنسي فرانسوا جورج بيكو *(Francois Geeorge Pico)*، قسمت بموجبه البلاد العربية بين الدولتين فأعلنت بريطانيا انتدابها على العراق وفلسطين، أما فرنسا فقد أعلنت انتدابها على سوريا ولبنان. للمزيد من التفاصيل ينظر: ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث: من سنة 1900 الى سنة 1950، ج1، ترجمة؛ سليم طه التكريتي، مطبعة حسام، بغداد، 1988، ص168.

اختيارهم، فكان لهذه التصريحات اثر كبير في المنطقة لاسيما الكُرد[1].

يبدو أن اصدار فرنسا وبريطانيا للبيان جاء من أجل استمالة سكان المنطقة بشكل عام والكُرد بشكل خاص إلى جانبهم وتحريضهم ضد الوجود العثماني، لاسيما بعد الانتفاضة الكُردية الاخيرة في 19 ايلول عام 1918 التي أججت المشاعر القومية الكُردية ضدهم.

ويتضح مما تقدم ان كردستان تحولت خلال الحرب العالمية الأولى الى ميادين قتال بين الحلفاء لاسيما الروس والبريطانيين والجيوش العثمانية، وتعرضت الى اعمال نهب وسلب وتدمير وتهجير. فوقف الكرد وبشكل عام في نهاية الحرب وبعدها على مفترق طرق ليس لديهم هدف سياسي واضح.

رابعاً. تحركات زعماء الكُرد في مؤتمر الصلح في باريس عام 1919

برزت امكانية حل القضية الكُردية للمرة الأولى في اعقاب الحرب العالمية الاولى، لإيجاد منطقة عازلة بين اتراك الأناضول والأقوام التي تتكلم اللغة التركية في آسيا الوسطى والقوقاز، لاسيما في اذربيجان، لذلك تحرك الكُرد وبذلوا جهوداً كبيرة لإيصال صوتهم الى الدول المنتصرة في الحرب العالمية الاولى آملين أن ينالوا حقوقهم، معتمدين على المبادئ الأربعة عشر[2] التي أعلنها رئيس الولايات المتحدة الامريكية توماس وودرو ولسن (*Thomas Woodrow Wilson*)[3] الذي جاء فيها أنه من حق شعوب

---

(1) جرى التوقيع على الهدنة على ظهر الدارعة البريطانية (اغا ممنون) التي رست في مودروس وهو ميناء جزيرة ليمنوس في بحر ايجة لذا سميت بهدنة مودروس. ينظر: إسماعيل احمد سمو، القضية الكُردية في تركيا في اعقاب الحرب العالمية الأولى 1923-1919، مجلة التربية والعلم، العدد 2، المجلد 12، جامعة دهوك، 2005، ص81-80؛ وليد حمدي، المصدر السابق، ص320.

(2) تضمنت المبادئ: الغاء الدبلوماسية السرية، وحرية الملاحة خارج المياه الاقليمية للدول، الغاء الحواجز الاقتصادية بين الدول، وتخفيض التسليح بين الدول، تسوية المصالح الاستعمارية بعدالة، الجلاء من الأراضي الروسية، استقلال بلجيكا، جلاء القوات الالمانية من فرنسا، اعادة تخطيط الحدود بين ايطاليا والنمسا، الجلاء من رومانيا والجبل الاسود، حق جميع القوميات في الدولة العثمانية نيل حقوقها، عودة بولندا دولة مستقلة، انشاء عصبة للأمم. ينظر:
James Edward Gillespie, Europe in 1815 To the Present, Harcourt Brace and company, New York, 1942, P. 599-600.

(3) **توماس وودرو ويلسون (1924-1856)**: ولد في ولاية فيرجينيا، حصل على شهادة العلوم السياسية والاقتصادية والعلوم الاجتماعية من جامعة برنستون، انتخب عام 1909 حاكما لولاية نيوجيرسي الأمريكية، واصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية عام 1912، واعيد انتخابه مرة أخرى عام 1916، وهو واضع فكرة عصبة الأمم. ينظر: سمير شيخلي، صانعوا التاريخ، ج2، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1991، ص291.

الدولة العثمانية تقرير مصيرها[1].

خول زعماء القبائل الكُردية والجمعيات السياسية الكُردية[2] شريف باشا الذي كان يشغل منصب سفير الدولة العثمانية في باريس، تمثيلهم في مؤتمر باريس للسلام المقرر عقده في 18 كانون الثاني عام 1919، والمطالبة بالمطالب الكُردية، لعدم وجود كيان سياسي كُردي مستقل ليشارك بوفد رسمي في المؤتمر، شأنهم شأن القوميات التي كانت تابعة للدولة العثمانية[3]، ووقع زعماء القبائل الكُردية في السليمانية وكركوك واربيل على وثائق تؤيد تخويلهم شريف باشا ليمثلهم في المؤتمر، وأرسلوها بيد وفد كُردي إلى باريس لكن المضابط لم تصل بسبب منع البريطانيين والفرنسيين للوفد من مغادرة مدينة حلب السورية، ولم تقتصر وثائق التأييد على كُردستان العراق فقط بل ان كُرد ايران ارسلوا بدورهم وثائق تأييد الى الشيخ محمود الحفيد لكي تجد طريقها الى مؤتمر السلام من خلال مندوب الكُرد في المؤتمر، وطالبوا فيها بتوحيد الكُرد في العراق وايران تحت راية الشيخ محمود واصروا على عدم محاولة تقسيم كُردستان[4].

وعارضت كل من بريطانيا وايران وممثلي الدولة العثمانية في مؤتمر باريس درج القضية الكُردية ضمن جدول أعمال المؤتمر، ورفضوا مشاركة شريف باشا ممثلاً عن الكُرد بحجة عدم امتلاكه قاعدة شعبية في كُردستان[5]، وعندما انعقد المؤتمر في موعده المحدد، شاركت فيه دول الحلفاء والدول المشاركة معها في الحرب ماعدا روسيا بسبب توقيعها اتفاقا خاصاً مع المانيا، كما حضره ممثلون عن الصرب والارمن واللبنانيين والمصريين والايرلنديين والروس البيض، وكانت للدول الكبرى (الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وايطاليا واليابان) السطوة على توجهات المؤتمر

(1) عبد الله محمد علي العلياوي، المصدر السابق، ص36–35.

(2) بدأ الكُرد بتشكيل الأحزاب والحركات السياسية لدعم المطالب القومية واهمها تأسيس دولة كردية، فانبثقت منظمة سياسية جديدة الأولى بعد انتهاء الحرب والانهيار العثماني مباشرة، وهي جمعية البعث الكردية، كان من اهم أهدافها تأسيس دولة كردية تحت الحماية الأجنبية برئاسة عبد القادر الشمزيني، واعتمدت تلك الجمعية الجنرال شريف باشا ليكون ممثلاً ورئيسا للشعب الكردي في مؤتمر الصلح في باريس، كما انتخبته كل من جمعية تعالي كردستان، وجمعية التشكيلات الاجتماعية، وجمعية استقلال كردستان. اسماعيل احمد سمو، المصدر السابق، ص82–81.

(3) عبد الله محمد علي العلياوي، المصدر السابق، ص36–35.

(4) سروة اسعد صابر، المصدر السابق، ص68–67؛ حامد محمود عيسى، المشكلة الكُردية في الشرق الأوسط، ص57.

(5) فارس عثمان، الكُرد بين سيفر ولوزان، مدارات كُرد، تاريخ النشر 7/1/2016، www.me-daratkurd.com

وقرارته. ولان الكرد ليسوا أصحاب دولة أو حكومة، فشارك في المؤتمر وفد كردي صغير بشكل غير رسمي برئاسة شريف باشا الذي كان متواجداً في باريس مع بعض السياسيين الكرد المعارضين، وسعى محمود الحفيد إلى ارسال وفد كُردي آخر لينضم للوفد الكُردي في باريس لكنه فشل في ذلك[1].

حاول وفد الدولة العثمانية المستسلمة، وكذلك الوفد الإيراني منع مناقشة القضية الكردية، بل رفضا مشاركة شريف باشا والوفد الكردي في المؤتمر[2].

كان أفضل ما تحقق للكُرد من المؤتمر هو طرح مصطلح كُردستان للمرة الاولى على المجتمع الدولي، أما أفكار الدول الكبرى المنتصرة في الحرب العالمية الاولى إزاء القضية الكُردية فقد تمحورت على ضرورة فصل كُردستان عن الدولة العثمانية ووضعها تحت اشرافها[3]، لذلك قرر الحلفاء انتزاع ارمينيا وبلاد الرافدين وكُردستان وفلسطين والبلاد العربية بكاملها من الدولة العثمانية[4]، وتأمل الكُرد الاستفادة من قرار انتزاع تلك المناطق لمصلحتهم لذلك قدم شريف باشا مذكرة إلى المؤتمر في 22 اذار عام 1919، عرض فيها وجهة النظر الكُردية حول قضيتهم، وتحدث بصفته رئيساً للوفد الكُردي في المؤتمر، على الرغم من عدم اعتراف المؤتمر بهذه الصفة، وطالب في المذكرة بإنشاء دولة كُردية مستقلة وفقاً لمبادئ تقرير المصير المعلنة في البنود الأربعة عشر للرئيس الامريكي توماس ويلسن على أن تضم الدولة الكُردية المفترضة جميع الأراضي الكُردستانية الواقعة في ايران وتركيا والعراق، وان تكون جميع الثروات الطبيعية فيها تحت اشراف الحكومة الكُردستانية. لكن المذكرة لم يكن لها أي تأثير سياسي يذكر، ولم يول قادة المؤتمر أي اهتمام لها ولا الى صاحبها، فلم تحرك كلمة شريف باشا القضية الكردية قيد شعرة، بل سمي البعض شريف باشا ممثلاً للأتراك الليبراليين الذين لا يتحملون المسؤولية عن الحرب[5].

---

(1) تألف الوفد الكُردي الذي شارك في المؤتمر من: فخري عادل بيك، وعادل بيك المارديني، وصالح بيك حسني، وغالب علي بيك. ينظر: صحيفة الزمان (بغداد)، العدد (5842)، 26/9/2017؛ Raymond James Sontag, European Diplomatic History 1871- 1932, Copy-richt Renewed, New York, 1961, P. 271.

(2) فارس عثمان، المصدر السابق.

(3) م. س. لازاريف، المسألة الكُردية 1917-1923، ترجمة عبدي حاجي، ط2، دار الفارابي، لبنان، 2013، ص237.

(4) عبد الله محمد علي العلياوي، المصدر السابق، ص36.

(5) م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص246-244.

يبدو أن اهمال المطالب الكُردية في مؤتمر باريس للسلام كان بسبب اطماع الدول الكبرى للاستيلاء على المناطق الكُردية الشاسعة الغنية بالثروات الطبيعية مثل النفط والمعادن، زيادة على موقعها الاستراتيجي العسكري والاقتصادي.

اما بالنسبة للحكومة العثمانية فقد شعرت بخطورة تنسيق الزعماء الكُرد مع بريطانيا لإثارة القلاقل ضدها وحث الكُرد على الانفصال عن الدولة العثمانية، فسعت من جانبها الى احتوائهم بتعيين ولاة كُرد في المناطق ذات الاغلبية الكُردية لتهدئة الوضع الأمني فيها ولمنعهم من القيام بحركات مسلحة ضد الحكومة، كما أصدرت أمراً في الاول من نيسان عام 1919 إلى السلطات الحدودية في شرق الاناضول يقضي بمنع الكُرد من القيام بحركات ضد الإنجليز، وأشركت الزعماء الكُرد في لجنة مشتركة مع الوزارات العثمانية لمناقشة القضية الكُردية، وقررت تلك اللجنة منح كُردستان الاستقلال الذاتي بشرط قبول الكُرد البقاء مع الدولة العثمانية، لكن لم يتم تنفيذ قرارات اللجنة وكانت مجرد مناورة سياسية من الحكومة العثمانية لمنع لجوء الكُرد الى قوة خارجية أخرى [1].

اتفق شريف باشا بعد فشل جهوده الأولية في مؤتمر باريس للسلام مع الوفد الأرمني على توحيد جهودهما من أجل حل القضيتين الكُردية والارمنية معاً، وقدم الوفدان في 1 أيار عام 1919 مذكرة إلى المؤتمر تضمنت مطالب الكُرد والأرمن، وارفقا معها خريطتين لكُردستان وأرمينيا المفترضتين، ضمناها مطالبهما، لكن ممثلو الدول الكبرى في المؤتمر اهملوا المطالب الكُردية وتعاطفوا مع مطالب الأرمن على حساب الكُرد، واقر المؤتمر انشاء دولة أرمينيا في ولايات الاناضول الشرقية (سيواس، ارضروم، خربوط، ديار بكر، بتليس، ووان) وهي ولايات ذات أغلبية كُردية وتركية وأقليات قومية أخرى، ولا يشكل الأرمن فيها إلاّ نسبة ضئيلة جداً، فنسق القادة الكُرد مع الوفد الارمني واصدرا بياناً طالبا فيه أن تكون الدولة الكُردية المطالب بها مستقلة عن الدولة الأرمنية، ووافق المؤتمر بدوره على ما جاء فيه بشكل مبدئي[2].

وفي تلك الاثناء عمل الشيخ محمود الحفيد على استقطاب عدد من اتباعه الى السليمانية من اجل إنشاء دولة كُردية مستقلة فيها، وأعلن تمرده على القوات البريطانية

---

(1) إسماعيل احمد سمو، المصدر السابق، ص84-83.

(2) مثل الارمن في المؤتمر كلا من: بوغوص نوبار باشا (*Boghos Nubar Pasha*) وأفتيس أهارونيان (*Avetis Aharonian*). ينظر: إسماعيل احمد سمو، المصدر السابق، ص83-82؛ حامد محمود عيسى، المشكلة الكُردية في الشرق الأوسط، المصدر السابق، ص57.

في 20 ايار عام 1919، واعتقل ممثل بريطانيا في السليمانية، وتقدمت قواته الى حلبجة واحتلتها وأسرت عدداً من الضباط والجنود البريطانيين[1].

وكشفت وثيقة بريطانية صادرة عن دائرة الاستخبارات العسكرية البريطانية في 5 حزيران عام 1919 عن وجود صراعات بين زعماء القبائل الكُردية للسيطرة على الدولة الكُردية المفترضة في حالة انشائها مستقبلاً، وبينت أن زعماء قبيلة الجاف الكُردية اتفقوا مع الحكومة بلاد فارس على تقديم طلب الى مؤتمر باريس للسلام لإنشاء دولة كُردية تحت اشراف الحكومة الفارسية، وفي الوقت نفسه كان شريف باشا يجري مشاورات مع عدد من الزعماء الكُرد الاخرين في كركوك وحلب والموصل والسليمانية وديار بكر من أجل حثهم على تقديم التماس الى مؤتمر باريس للسلام لتنصيبه أميراً لكُردستان عند اعلان استقلالها[2].

وفي الوقت الذي كانت بريطانيا تبحث فيه عن حل لتهدئة الأوضاع في كُردستان، عرض شريف باشا على الوفد البريطاني لمؤتمر السلام في باريس في 6 حزيران عام 1919 تنصيب أحد الزعماء الكُرد الوطنيين ليكون حاكماً على جميع مناطق كُردستان في العراق وايران وتركيا، واقترح أن يترأس الزعيم الكُردي الذي يتم اختياره بصفة أمير، مجلساً اتحادياً كُردستانياً على أن يكون تحت اشراف البريطانيين عن طريق تعيين أحد مستشاريهم للإشراف على المجلس بشكل مباشر زيادة على مستشارين عسكريين بريطانيين، وانتخاب مجلس للشيوخ مؤلف من زعماء القبائل الكُردية، وكذلك مجلس للنواب ليكون مجلساً تشريعياً للدولة، وأعرب لهم عن رغبته أن يكون أميراً للقبائل اذا ما قبلوا بالعرض[3].

أما وجهة النظر البريطانية حول ما عرضه شريف باشا، فقد رأت أنه لا يمكن اقامة دولة كُردية موحدة يمكنها الصمود أمام التحديات السياسية الموجودة في المنطقة ما لم تتوفر لها حماية من قوة دولية خارجية، وأن القوة الوحيدة التي يمكنها أن تؤدي ذلك

(1) ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص174.

(2) The National Archive, Foreign Office, File No. 608, Telegram from General Staff-Intelligence to Directory of Military Intelligence-War Office in London, No. B2168/30620, 5 June 1919. (Hereafter will be cited as: T.N.A, F.O)

(3) T.N.A., F. O, File No. 608, Telegram from Paris to Baghdad, No. 12376, 16 June 1919.

الواجب هي بريطانيا، ونظراً لان جميع المناطق التي تسكنها أغلبية كُردية تقع تحت رعاية بريطانيا فقد انتفت الحاجة الى اقامة دولة كُردية مستقلة[1]، وتمكنت القوات البريطانية في 17 حزيران عام 1919 من استعادة السليمانية وفرض سيطرتها على المناطق الكُردية واعادة الأوضاع فيها الى طبيعتها السابقة، وأسرت الشيخ محمود الحفيد وقدمته للمحاكمة التي حكمت عليه بالنفي الى الهند[2].

استمرت جهود الكُرد لعرض قضيتهم على مؤتمر السلام في باريس، وبذل الوفد الكُردي جهوداً من أجل عدم اقرار المؤتمر تقسيم المناطق التي تسكنها أغلبية كُردية بين دول المنطقة، ونقل شريف باشا في 22 تشرين الاول عام 1919 رسالتين من عبد القادر النهري[3] رئيس اللجنة المركزية للجمعة الكُردية الى رئيس المؤتمر جورج كليمنصو[4]، وطلب في الرسالة الأولى المؤرخة في 1 تشرين الاول عام 1919 عدم المضي في مشروع قرار تقسيم المناطق الكُردية وجعلها داخل الحدود السياسية لدول المنطقة، وحذره من أن عواقبها ستكون وخيمة على السلم فيها، وأشار فيها الى أن الكُرد ساندوا قوات الحلفاء في حربها ضد دول المحور خلال الحرب العالمية الاولى، وأنهم يتمنون أن يتم الاعتراف بدولة كُردية موحدة، وفي الرسالة الثانية المؤرخة في الثاني من الشهر نفسه طلب منه حماية الكُرد من الاجراءات التعسفية التي تتخذها ضدهم

---

(1) T.N.A., F. O, File No. 608, Telegram, No. 13140, 20 June 1919.

(2) ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص174.

(3) عبد القادر النهري (1925–1851): ولد في قرية نهري بشمدينان بمدينة هكارى، درس في مدارسها الدينية وتتلمذ علماء الدين، شارك مع والده في انتفاضة عام 1879 ضد الدولة العثمانية والفارسية، أصبح عضواً في جمعية الاتحاد والترقي عام 1895، أسس عام 1908 جمعية التعاون والترقي الكُردية، واسس في عام 1918 جمعية تعالي كُردستان، حكم عليه بالإعدام عام 1925. ينظر: هوكر طاهر توفيق، الشيخ عبد القادر النهري 1925–1851: الواجهة السياسية الكُردية الاولى في استانبول في الربع الأول من القرن العشرين، مجلة جامعة زاخو، العدد 1، المجلد B1، 2013، 370–363.

(4) **جورج كليمنصو (1929–1841)**: ولد في مدينة مويلبير اون باريه الفرنسية، درس الطب ثم ترك الدراسة فيه، سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1865 ومارس فيها مهنة الصحافة والتعليم، عاد إلى فرنسا عام 1869 وانتخب رئيساً لبلدية نورنمارتر للمدة (1871–1870)، ثم عضواً في مجلس النواب للمدة (1893–1876)، وأصبح عضواً في مجلس الشيوخ للمدة (1902–1920)، وشغل مناصب وزارية عديدة. ينظر: حوراء علي حسين الموسوي، جورج كليمنصو ونشاطه السياسي في فرنسا 1919–1841، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الانسانية–جامعة ذي قار، 2017.

الحكومة العثمانية[1].

أما بالنسبة لموقف الولايات المتحدة الأمريكية من القضية الكُردية في مؤتمر باريس للسلام فقد ظلت رافضة لفكرة وضع المناطق الكُردية تحت الوصاية الفرنسية والبريطانية، وسعت إلى تقليص النفوذ البريطاني والفرنسي في الشرق الأوسط بشكل عام، لكن انتهاء فترة رئاسة الرئيس الامريكي توماس ولسن، أدى إلى انسحاب الوفد الأمريكي من المؤتمر، الامر الذي فسح المجال أمام فرنسا وبريطانيا إلى التوصل لتفاهمات واتفاقيات لتقاسم التركة العثمانية، ورفضت بريطانيا عرضاً فرنسياً بتقسيم كُردستان بين فرنسا وبريطانيا[2].

قررت بريطانيا في 13 نيسان 1920 تطبيق سياسة واضحة تجاه مناطق كُردستان كافة الواقعة تحت نفوذها، واتخاذ اجراءات عسكرية تؤمن الاستقرار فيها، بما في ذلك استعمال الطائرات العسكرية التابعة للقوة الجوية البريطانية لفرض السيطرة عليها[3]، وأخذ موقف بريطانيا يتسم بالصلابة والرفض التام تجاه انشاء دولة كُردية مستقلة، بعد أن أعلن شريف باشا من جانبه استقالته من منصبه كرئيس للوفد الكُردي في مؤتمر باريس للسلام في 27 نيسان عام 1920، وبدأ التباحث مع العثمانيين حول المطالب الكُردية، واطلاق الزعماء الكُرد الآخرين تصريحات تعبر عن موافقتهم على مقترح العثمانيين بمنحهم حكماً ذاتياً تحت الوصاية العثمانية [4].

ومجمل القول أن حضور شريف باشا لم يكن معترفاً به عملياً ولم يؤثر حضوره في ما اتخذه المؤتمر من قرارات؛ لان حق تقرير المصير للكرد والارمن كان يصطدم بجدار المصالح الاستعمارية للدول الكبرى [5]. وعلى الرغم من ذلك، فان مسار القضية الكردية لم ينته او يتوقف بانتهاء مؤتمر الصلح في كانون الثاني 1920، اذ عقد الحلفاء فيما بينهم مؤتمرات واجتماعات كانت المسائل الكردية احدى القضايا المتداولة في ما بينهم[6].

(1) هوكر طاهر توفيق، المصدر السابق، ص368.
(2) فارس عثمان، المصدر السابق.
(3) عثمان علي، الحركة الكُردية المعاصرة: دراسة تاريخية وثائقية 1833-1946، التفسير للإعلان والنشر، اربيل، 2011، ص321.
(4) سروة اسعد صابر، المصدر السابق، ص74.
(5) وليد حمدي، المصدر السابق، ص321؛ إسماعيل احمد سمو، المصدر السابق، ص83.
(6) سروة اسعد صابر، المصدر السابق، ص74.

وهكذا فإن الكُرد لم يتمكنوا من تحقيق الشيء الكثير خلال مؤتمر باريس للسلام، وكل ما تمكنوا فعله هو عرض قضيتهم على المجتمع الدول، وأصبحت محط انظار الدول الكبرى، ووثيقة تاريخية يستند إليها الكُرد عند طرحهم لقضيتهم.

الخاتمة

توصلت الدراسة من خلال البحث إلى النتائج التالية:

1. لم يدخر الزعماء الكُرد جهداً في عرض قضيتهم على المجتمع الدولي من خلال مؤتمر باريس للسلام عام 1919، ونجحوا في اخراجها من طابعها المحلي لتأخذ طابعاً دولياً.

2. لم يتمكن الزعماء الكُرد من تحقيق نتائج تذكر لمصلحة قضيتهم بسبب تنصل القوى الكبرى المسيطرة على مؤتمر باريس للسلام من وعودها التي قطعوها لهم بعد الحرب العالمية الأولى بإنشاء دولة كُردية مستقلة، ففضلت مصالحها على مصلحة الكُرد، ولم تول تلك القوى اهتماماً يهتم بالوفد الكُردستاني.

3. كان السبب الرئيس لفشل الكُرد في اقناع الدول الكبرى في مؤتمر باريس للسلام هو عدم توحيد زعمائهم لجهودهم وسعي كل منهم ليكون رئيساً للدولة الكُردية المفترضة.

4. أدى الصراع بين الزعماء الكُرد وميلان بعضهم للدولة الفارسية والبعض الآخر للدولة العثمانية، فضلاً عن الموالين لبريطانيا إلى انعدام الثقة لدى جميع الاطراف الدولية بالزعماء الكُرد، وبالتالي فشل مساعيهم لإنشاء دولة كُردية مستقلة.

5. لم يوفق الزعماء الكُرد في استثمار مؤتمر باريس لحل قضيتهم بشكل نهائي، بسبب عدم وضوح الرؤيا لدى قادتهم وتغليب مصالحهم الشخصية على مصلة قضيتهم القومية.

6. على الرغم من فشل جهود الزعماء الكُرد في اقامة دولة كُردية مستقلة من خلال مؤتمر باريس للسلام، لكن تلك الجهود فتحت الابواب أمام القضية الكُردية لتطرح في أي مؤتمر دولي لاحق.

المصادر

الوثائق البريطانية غير المنشورة

1. T.N.A., F. O, File No. 608, Telegram from Paris to Baghdad, No. 12376, 16 June 1919.
2. T.N.A., F. O, File No. 608, Telegram, No. 13140, 20 June 1919.
3. T.N.A., F.O, File No. 608, Telegram from General Staff-Intelligence to Directory of Military Intelligence-War Office in London, No. B2168/30620, 5 June 1919.

الرسائل الجامعية

1. حوراء علي حسين الموسوي، جورج كليمنصو ونشاطه السياسي في فرنسا 1841- 1919، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الانسانية-جامعة ذي قار، 2017.
2. سروة اسعد صابر، كوردستان من بداية الحرب العالمية الأولى الى نهاية مشكلة الموصل 1914-1926 دراسة تاريخية وثائقية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، 1999.

1. الكتب العربية والمعربة

1. إسماعيل محمد حصاف، كوردستان والمسألة الكوردية، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، أربيل، 2009.
2. المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر الخياط، دار الكتب، بيروت، 1971.
3. ايناس سعدي عبد الله، تاريخ العراق الحديث، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 2014
4. جلال الطالباني، كُردستان والحركة القومية الكُردية، منشورات النور، بغداد، 1970.
5. حامد محمود عيسى، القضية الكُردية في تركيا، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، 2001.
6. حامد محمود عيسى، المشكلة الكُردية في الشرق الأوسط منذ بدايتها حتى سنة 1991، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1992.
7. ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث: من سنة 1900 الى سنة 1950، ج1، ترجمة؛ سليم طه التكريتي، مطبعة حسام، بغداد، 1988.
8. سمير شيخلي، صانعوا التاريخ، ج2، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1991.
9. عبد الرحمن ادريس صالح البياتي، الشيخ محمود الحفيد البرزنجي والنفوذ البريطاني في كُردستان العراق حتى عام 1925، منشورات بنكه زن، السليمانية، 2007.

01. عبد الرحمن ادريس صالح البياتي، سياسة بريطانيا تجاه كُرد العراق 1914-1932، مطبعة شقان، السليمانية-العراق، 2010.

11. عثمان علي، الحركة الكُردية المعاصرة: دراسة تاريخية وثائقية 1833-1946، التفسير للإعلان والنشر، اربيل، 2011.

12. كمال مظهر احمد، دور الشعب الكُردي في ثورة العشرين العراقية، مطبعة الحوادث، بغداد، 1978.

13. كمال مظهر احمد، كُردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ترجمة: محمد الملا عبد الكريم، ط3، دار الفارابي، لبنان، 2013.

14. ليون تروتسكي، تاريخ الثورة الروسية، ج1-ج2، ترجمة: اكرم ديري وهيثم الايوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972.

15. م. س. لازاريف، المسألة الكُردية 1917-1923، ترجمة عبدي حاجي، ط2، دار الفارابي، لبنان، 2013.

16. مثنى امين قادر، قضايا القوميات واثرها على العلاقات الدولية: القضية الكُردية نموذجاً، مركز كُردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية-العراق، 2003.

17. محمود روحي بيك الخالدي، اسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة: اصدق تاريخ لأعظم انقلاب، مكتبة المنار، مصر، 1908.

18. نضال داود المومني، الشريف الحسين بن علي والخلافة، مطبعة الصفدي، عمان، 1996.

19. وليد حمدي، الكُرد وكُردستان في الوثائق البريطانية: دراسة تاريخية وثائقية، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1992.

2. الكتب الاجنبية

1. James Edward Gillespie, Europe in 1815 To the Present, Harcourt Brace and company, New York, 1942.
2. Kerim Yildiz, The Kurds in Iraq: The Past, Present and Future, Pluto press, London, 2004.
3. Raymond James Sontag, European Diplomatic History 1871- 1932, Copyricht Renewed, New York, 1961.

الموسوعات العربية

3. محمد علي الصويركي الكُردي، الموسوعة الكبرى لمشاهير الكُرد عبر التاريخ، ج1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008.

4. البحوث المنشورة

1. إسماعيل احمد سمو، القضية الكُردية في تركيا في اعقاب الحرب العالمية الأولى 1919-1923، مجلة التربية والعلم، العدد 2، المجلد 12، جامعة دهوك، 2005.

2. أمين شحاتة، الكرد... معلومات أساسية، الكرد دروب التاريخ الوعرة، تحرير لقاء مكي، مركز

الجزيرة للبحوث والدراسات، الجزيرة نت، الملفات الخاصة، 2006.

3. عبد الرحمن ادريس صالح، تراجع بريطانيا بعد الحرب العالمية الاولى 1918-1934، مجلة ديالى، العدد (46)، 2010.
4. عبد الله محمد علي العلياوي، جذور المشكلة الكردية، الكرد دروب التاريخ الوعرة، الكرد دروب التاريخ الوعرة، تحرير لقاء مكي، مركز الجزيرة للبحوث والدراسات، الجزيرة نت، الملفات الخاصة، 2006.
5. هوكر طاهر توفيق، الشيخ عبد القادر النهري 1851-1925: الواجهة السياسية الكُردية الاولى في استانبول في الربع الأول من القرن العشرين، مجلة جامعة زاخو، العدد 1، المجلد B1، 2013.
6. ياسين طه ياسين، قوات الليفي: دراسة في الاستراتيجية البريطانية في العراق 191501920، مجلة آداب البصرة، العدد 60، 2012.

5. **الصحف**

1. صحيفة الزمان (بغداد)، العدد (5842)، 26/9/2017.

6. **المواقع الالكترونية**

1. موقع الحزب الديمقراطي الكوردستاني، نبذة عن إقليم كوردستان العراق، http://www.kdp.info
2. فارس عثمان، الكُرد بين سيفر ولوزان، مدارات كُرد، تاريخ النشر 7/1/2016، www.me-daratkurd.com

2- الموارد البشرية للدولة اللبنانية

The human resources of the Lebanese state

بقلم الباحث عبد الله حسن البجاري

abdullah81866490@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/11/ 3 تاريخ القبول:20/4/2022

مستخلص البحث:

تعد المقومات البشرية من بين العناصر المهمة لقوة الدولة، فالسكان هم العنصر الحاسم في تغيير قوة الدولة واستثمار مواردها، خاصة عندما يكون حجم السكان متوازناً مع المساحة مقروناً بوحدة سكانية متجانسة تربطهم روابط قومية ودينية غير متنافرة وأصول عرقية متقاربة، وتدل الشواهد الأثرية والتاريخية أن الأساس العرقي لسكان لبنان يتمثل في موجة سكانية كبيرة من العنصر الكنعاني وفدت إلى الساحل اللبناني من شبه الجزيرة العربية في (2800 ق.م) وهذا العنصر السامي هو فرع من سلالة البحر المتوسط المؤسس للحضارة الفينيقية، وبعد قيام دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠م على يد الجنرال غورو ظلت التركيبة السياسة في مهب الريح، وذلك لرغبة مجمل الأطراف اللبنانية، وقصاء بعضهما البعض مدفوعة بهدف ونية خارجية.

كلمات مفتاحية

أ- التوزيع الجغرافي لسكان لبنان

ب- توزيع مراكز الاستيطان البشري

ت- قيام الجمهورية اللبنانية

ث- التعديلات الدستورية التي مرّ بها الدستور اللبناني

Abstract:

The human components are among the important elements of the state's strength. The population is the decisive element in changing the state's power and investing its resources, especially when the size of the state is balanced with the area coupled with a homogeneous population unit linked by non-discordant national and religious ties and close ethnic origins. Archaeological and historical evidence indicates that the ethnic basis of the population Lebanon is represented by a large population wave of the Canaanite element that came to the Lebanese coast from the Arabian Peninsula in (800 BC). This sublime element is a branch of the Mediterranean dynasty that established the Phoenician civilization. After the establishment of the state of Greater Lebanon in 1920 AD at the hands of General Gouraud, the composition remained Politics is in flux, due to the desire of all Lebanese parties, and the exclusion of each other, motivated by an external goal and intention.

Keywords:

A. Geographical distribution of the population of Lebanon

B. Distribution of centers of human settlement

C. the establishment of the Lebanese Republic

D. the constitutional amendments that the Lebanese constitution has passed through

المقدمة:

بالرغم من وصول هجرات وغزوات سامية إلى لبنان عبر التاريخ، كالحثيين والآشوريين والبابليين ثم بعدها الفرس واليونان، فالتتار والأتراك في العصور الوسطى والأكراد والأرمن والأتراك آل عثمان في العصر الحديث، إلا أن هيمنة سلالة العرف العربي ظلت وبقيت، لكن الوضع تغير في القرن الخامس الميلادي، فقد وفدت الطائفة المارونية وبعدها الدرزية، ومن الأسباب التي ساعدت على استقرار الجماعات مناخ لبنان المعتدل، وموقعه الجغرافي الممتاز، وطبيعة أرضه الخصبة ووفرة مياهه وطبيعته الجبلية والتي وفرت لتلك الجماعات الأمان.

وبهذا نرى أن هناك تعددا في الأصول العرقية لسكان لبنان، إلا أننا نجد في الوقت نفسه أن غالبية المجتمع اللبناني يرجع إلى الأصل العربي، حيث يشكل العرب نسبة 95% من سكان لبنان، وهذا يدعم من وحدة الشعب اللبناني ويجعله أكثر قوة وليس هذا كل شيء، ولذلك لا بد من الوقوف على حقيقة سكان لبنان والوصول إلى حقيقة قوة أو ضعف هذا لعنصر سنقوم بدراسته من حيث حجمه وتوزيعه الجغرافي وتركيبته السكانية.

1 – حجم السكان ونموهم

إنّ كل ما يتصل بالسكان يعتمد كثيراً على السياسة، وبالتالي فإنهم يشكلون أحد اهتمامات الجغرافية السياسي من حيث حجم السكان وعلاقته بالقرار السياسي، وكيفية توظيفه من أجل تقدم الدولة وزيادة ثقلها السياسي دولياً.

ولغرض معرفة حجم سكان لبنان ومراحل نموهم لا بد من الرجوع إلى تاريخ المراحل وكيفية تطورها، فقد كان هناك تقديرات لسكان لبنان في العهد العثماني والانتداب الفرنسي لكنها لم تكن دقيقة شاملة لسكان لبنان آنذاك، وذلك لتوافد جماعات مثل السريان والكلدانيين والأرمن[1]. ثم هناك هجرات خارجية وداخلية ساهمت كثيراً في عدم استقرارية الإحصاءات السكانية مما أثر في توازن سكان لبنان، وبعد إعلان دولة لبنان الكبير كان أول إحصاء رسمي له في عام 1932 وهو تاريخ سجلات الأحوال المدنية[2].

(1) دولت أحمد صادق ومحمد الشرنوبي، الأسس الديموغرافية لجغرافية السكان، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1969، ص18.

(2) حسن السيد أبو العينين، دراسات في جغرافية لبنان، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ص456.

2 - الهجرة

هي من المتغيرات المؤثرة بشكل كبير في ديموغرافية دولة لبنان، فكثيراً ما كانت موضوعاً من موضوعات الحياة اللبنانية والنشاط السياسي اللبناني، والهجرة كما هو معروف تشمل نمطين أساسيين:

أ- الهجرة الداخلية

هي انتقال الأفراد والجماعات داخل حدود الدولة، وشهد لبنان موجات شديدة من الهجرة الداخلية الناتجة عن الحرب، أولها حصلت في بداية الحرب الأهلية بالتحديد بين عامي 1975- 1976 عند انقسام العاصمة بيروت إلى غربية وشرقية، وشملت نحو 300 ألف نسمة[1].

أما الموجة الثانية فقد حدثت بين عامي 1978- 1979 وشملت 150 ألف نسمة فكانت نتيجة المعارك في ضواحي بيروت والاجتياح الإسرائيلي للجنوب اللبناني عام 1978. والموجة الثالثة كانت من الجنوب اللبناني والجبل وترجع أسبابها إلى الاجتياح (الإسرائيلي) لجنوب لبنان ووصوله إلى العاصمة بيروت عام 1982، وشملت بدورها 450 ألف مهاجر[2].

ونمط الهجرة الداخلية والنزوح لم يتوقف، خاصة من القرى الحدودية بسبب العدوان (الإسرائيلي) والهجوم العسكري الذي تعرضت له تلك المناطق التي كان أوسعها التي حصلت في عامي 1993و 1996 وبين عام 1998 و 1999 وتأثرت جميع المحافظات اللبنانية بالهجرة الداخلية كإرسال واستقبال، ولكن في عام 1992 شملت على الأخص ثلاث محافظات لبنانية هي بيروت وجبل لبنان والجنوب، وكانت على النحو الآتي: بيروت بلغت الهجرة منها ما نسبته 8% واستقبلت ما يعادل 20% من المهاجرين، بلغت نسبة المهاجرين من محافظة جبل لبنان ما نسبته 62% وتستقبل 53% منهم، أما محافظة الجنوب فكان نصيبها من المهاجرين 24% بينما لم يتجاوز عدد النازحين إليها عن 16% من المجموع الكلي للنازحين[3].

(1) حسان حلاق، دراسات في المجتمع اللبناني، دار النهضة العربية، بيروت، 2001، 224.
(2) عبد الرحيم عمران، سكان العالم العربي حاضراً ومستقبلًا، صندوق الأمم المتحدة للنشاطات السكانية، نيويورك، 1981، ص30.
(3) علي فاعور، الهجرة من جنوب لبنان، الأسكوا، نيويورك، 1981، ص30.

ب- الهجرة الخارجية

تعني انتقال الأفراد والجماعات خارج حدود الدولة، وهذا النمط من الهجرة أكثر ارتباطاً من سابقه بالموقع السياسي للدولة، حيث يكون ذا تأثير كبير في سلطان الدولة الطاردة وقدر عدد المهاجرين إلى خارج للبنان وحسب تقديرات عام 2001 نحو مليون ونصف المليون، منهم (400,000) اتجهوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية و(350,000) إلى البرازيل و(20,000) إلى الأرجنتين وكثيرون اتجهوا إلى غرب أفريقيا وبعض دول أمريكا الجنوبية وأستراليا[1].

وكانت الهجرة على الدوام مشكلة في لبنان وقد أصبحت مشكلة جميع المناطق والطوائف والطبقات الاجتماعية منذ عقود، والحرب الأهلية كان لها الأثر في تصاعد موجات المهاجرين ومنذ نهاية الحرب استمرت الهجرة على الرغم من عودة البعض، وهناك أماكن جديدة في بعض دول أوروبا الشرقية والوسطى[2].

1- التوزيع الجغرافي لسكان لبنان

يعد التوزيع الجغرافي للسكان من المواضيع المهمة، فإنه يعكس الصورة النهائية لتفاعل العوامل الطبيعية منها طبيعة الأرض والمناخ ونوع التربة وجودتها للإنتاج الزراعي ووفرة المياه كل هذا يؤثر في التوزيع السكاني في أي بقعة في العالم، وليس فقط في لبنان، وإن تباين توزيع السكان بين المحافظات اللبنانية ما هو إلا نتيجة لتباين تفاعل العوامل الآنفة الذكر مع أهمية العامل السياسي واستقراره بجانب العامل الاقتصادي والعامل التاريخي.

2- الكثافة السكانية[3*]

الكثافة السكانية العامة في لبنان قدرت في عام 2002 بـ 365 نسمة في كم2 الواحدة، وبذلك يقع لبنان ضمن الأقطار العربية التي ترتفع فيها الكثافة يرجع بسبب ارتفاعها إلى صغر مساحة البلاد واتساع الأراضي القابلة للزراعة[4] والكثافة العامة لا تعطي حقيقة توزيع السكان وذلك لأنها لا تأخذ بعين الاعتبار العديد من المؤشرات مثل نوع العيش

---

(1) حسان حلاق، مصدر سابق، ص224.

(2) عيد علي الخفاف، الوطن العربي، أرضه سكانه موارده، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، 2000، ص239.

(3) الكثافة السكانية العامة، عدد سكان الدولة (نسمة) مساحة الدولة (كم2).

(4) إحسان محمد الحسن وآخرون، دراسات في المجتمع العربي، مطبعة اتحاد الجامعات العربية، عمان، 1985، ص117.

ونمطه وتتساوى فيها المناطق المأهولة بالسكان مع غير المأهولة.

ولهذا لا يمكن الاعتماد عليها كمقياس ضغط سكاني لمقارنته بين الدول ولكن قيمتها يستفاد منها في المقارنة بين المناطق الصغيرة والمتجانسة الخصائص، ويستعاض عن الكثافة الفيزيولوجية1* هذه الكثافة بكثافات أخرى، مثل التي تستخرج باستبعاد الأراضي غير المسكونة وربط السكان بالأراضي الزراعية المنتجة، ولهذا يطلق عليها البعض بالكثافة الإنتاجية وهي تفوق الكثافة العامة دائماً، وهي في لبنان (950) نسمة/ كم2 في عام 2002، حيث بلغت مساحة الأراضي الزراعية في لبنان 4000 كم2.

إذن، يكون التعامل مع الكثافة الإنتاجية بحذر فالأراضي المستبعدة من هذه الكثافة قد تكون مستغلة في نشاط اقتصادي آخر، كما يكون فيها نشاط سياحي كبير في بعض الفترة.

وهناك الكثافة الزراعية2 التي تربط بين حرفة السكان ووظيفة الأرض مع استبعاد اجمالي السكان ويستعاض عنهم بالسكان الزراعيين.

الكثافة الاقتصادية يقصد بها نصيب الفرد من الناتج الكلي وهي تصل في لبنان إلى 22,4 نسمة / مليون دولار لعام 2001 فقد وصل الناتج المحلي في لبنان لذلك العام إلى 16,972 مليون دولار.

3- توزيع مراكز الاستيطان البشري

هناك علاقة بين التوزيع الجغرافي لسكان الدولة وقواتها السياسية، إذ إنه كلما كان انتشار السكان بصورة منتظمة في جميع أنحاء الدولة مع وجود تركز واحد يتمثل في إقليم العاصمة، كان ذلك في صالح الدولة من ناحية أمنها السياسي والعسكري[3]. ويمثل التوزيع الأمثل للسكان قوة جيبولتيكية للدولة يتضح في أشكال مختلفة من الأنشطة الاقتصادية وغيرها من الأنشطة الاقتصادية وغيرها، ودراسة توزيع مراكز الاستيطان البشري يكشف لنا عن العلاقات المكانية لهذا التوزيع، مما يحدد العوامل المؤثرة فيه وهذه الجغرافية السياسية، فضلاً عن معرفة وخلق الأسباب المساعدة على إعادة توزيع

---

(1) الكثافة الفيزيولوجية= عدد السكان الإجمالي (نسمة)، مساحة الأرض الزراعية (كلم2).

(2) الكثافة الزراعية- عدد السكان الزراعيين (نسمة) مساحة الأرض الزراعية (كم2).

(3) محمد محمود الديب، الجغرافية السياسية، أسس التطبيقات، مكتبة سعيد رأفت، 1973، ص246.

السكان بما يوفر للدولة حماية أكثر، والتوزيع غير المنتظم للسكان يرتبط بعدد من العوامل قد تكون طبيعية أو اقتصادية أو تاريخية أو سياسية التي تختلف في أهميتها من مكان إلى مكان آخر[1].

ولأهمية السياسة السكانية في لبنان ولا سيما بعد أن ظهرت نتائج سلبية للحرب الأهلية، فنستطيع القول إن نحو 7% من السكان قد قتلوا وأكثر من 15% جرحوا و25% كانوا ولا يزالون من المهجرين حتى نهاية الحرب، و33% يعدون لاجئين في أقطار أخرى[2]. ولعل من المفيد أن نناقش توزيع السكان في مختلف المحافظات بالاستعانة بالجدول الذي يبين أعداد سكان كل محافظة مع الكثافة السكانية لكل منها.

4- سكان الحضر والريف

تقيد إحصائيات عام 2002 أن نحو 91% من إجمالي سكان لبنان يقطنون المدن الكبرى أهمها (بيروت، طرابلس، صيدا، جونية، زحلة، جبيل). وهذا أثر في معدل التزاحم في المناطق الحضرية، وبالتالي أدى إلى تدهور البيئة العمرانية وانتشار الفقر في المناطق المكتظة بالسكان والمناطق الهامشية وتدهور الريف وتراجع معدل الإنتاج الزراعي.

قيام الجمهورية اللبنانية

بدأ الشعب اللبناني يحتج على السياسة الفرنسية، وهذا الاحتجاج لم يكن ذا جدوى حتى تبعه قيام المظاهرات، وبرغم ذلك فإن فرنسا قد استمرت في اتباع سياستها إلا أنه في النهاية رضخ المفوض السامي أمام تزايد التواتر والاضطرابات السياسية الداخلية وتم إعلان الجمهورية اللبنانية بحدودها الحاضرة في 23 أيار 1926 ولقد أضيف إلى المقاطعة ذات الأغلبية المارونية (مسيحية) إقليم ذو غالبية إسلامية لم ينس أبداً ارتباطه بالعالم العربي ما سيؤثر في التوازن السكاني الطائفي وفي مستقبل لبنان بأسره[3].

كما صدر أول دستور للبلاد في أيلول 1926، وعُدَّ صدوره أول خطوة في سبيل إظهار الوجود اللبناني كدولة مستقلة إذ وضع بموجبه الإطار العام للنظام السياسي

---

(1) عبد الله عطوي، جغرافية السكان، دار النهضة، بيروت، 1999، ص157.

(2) حسان حلاق، مرجع سابق، ص271.

(3) الملف الإحصائي للتنمية البشرية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد 216، 2000، ص196.

اللبناني، وبرغم هذا ظل استقلال لبنان شكلياً[1] وتحت الهيمنة الفرنسية وتداخلاتها الواضحة في الترشيح ممن يتولى منصب رئاسة الجمهورية الجديدة وأعضاء حكومتها، وكان منصب رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة يرشح لهما من قبل مجلس الشيوخ المعين من قبل المفوض الفرنسي فأصبح هناك مجلسان مجلس تمثيلي ومجلس الشيوخ، ولهما صلاحيات في السلطة الدستورية إلى أن تم توحيدهما في مجلس واحد وهو مجلس النواب عام 1927[2].

1- الميثاق الوطني والاستقلال

لقد تم التوصل إلى اتفاق الميثاق الوطني (بين السياسيين) وهم بشارة الخوري (ماروني) ورياض الصلح (مسلم سني) على توزيع المناصب السياسية في الدولة طائفياً وتوزعت المناصب كما يأتي: أن يكون رئيس الجمهورية مسيحياً مارونياً ورئيس مجلس الوزراء مسلماً سنياً ورئيس المجلس النيابي مسلماً شيعياً وبقية المناصب تتوزع طائفياً حسب الأغلبية، وأهم من كل ذلك هو قيام لبنان بلداً مستقلاً ذا وجه عربي[3].

2- لبنان والحرب الأهلية

شهد لبنان عام 1970 عدة أحداث على الصعيد العربي كان لها أثر في توجيه الأحداث وتطورها في لبنان منها مجابهة المقاومة الفلسطينية في الأردن في أحداث أيلول 1970 ومحاربة الحكومة السورية آنذاك وكانت الاضطرابات السياسية الداخلية ومنها الوجود الفلسطيني ومن هنا جاء التركيز على الساحة اللبنانية حيث وضعت المقاومة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية ثقلها عليها وكانت أملها الوحيد[4].

وقد كانت دولة لبنان بؤرة تصادم المصالح والسياسات الدولية على المستوى الخارجي وداخلياً منقسمة إلى ساحتين إحداهما يغلب عليها الطابع المسيحي المحافظ والأخرى ذات طابع إسلامي تقدمي وتضم الفلسطينيين أيضاً[5].

(1) إسراء شرين جيجان، النظام السياسي في لبنان (1982- 1995)، رسالة ماجستير كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 1996، ص251.

(2) ستيفن لونغريغ، سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ترجمة بيار عقيل، دار الحقيقة للنشر، بيروت، 1979، ص129.

(3) منى الصلح، لبنان والخيار العربي، مجلة المستقبل، العدد 86، نيسان 1984، ص5.

(4) جهاد الزين، لبنان- الحرب المصادرة والخطط ابياني العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد 96، كانون الثاني، 1987، ص127.

(5) خالد الحسن، الأزمة اللبنانية، محاولات للفهم، دار الكرمل، عمان، 1987، ص27.

3- مكونات الدستور اللبنانية

ارتكز النظام السياسي في لبنان على قاعدتين أساسيتين هما الدستور الصادر في 26/ أيار /1926 والميثاق الوطني عام 1943، أي إن لبنان من الدول التي تعاني ازدواجية دستورية، بمعنى أنه إلى جانب دستورها هناك وثائق أخرى تنازع الدستور بقوتها السياسية وأحياناً تسمو عليها، فالميثاق الوطني هو المرجع السياسي لتوزيع مختلف المناصب وقد صدر عام 1943 بين بشارة الخوري المسيحي الماروني ورياض الصلح المسلم السني، وقام الميثاق على المعيار الطائفي لتوزيع المناصب بين الأطراف اللبنانية[1].

غير أن الدستور قد عدل لاحقاً. ويتكون الدستور من (102) مادة موزعة على ستة أبواب مقسمة إلى فصول. يتضمن الباب الأول أحكاما سياسية ويحتوي على فصلين الأول الدولة وأراضيها، والثاني في حقوق اللبنانيين وواجباتهم، فقد أشار إلى أن لبنان دولة مستقلة ذات وحدة لا تتجزأ وسيادة تامة استناداً إلى المادة الأولى، وأشارت المادة الرابعة إلى أن لبنان الكبير جمهورية وعاصمتها بيروت وجميع اللبنانيين متساوون أمام القانون ويتمتعون بالحقوق المدنية والسياسية [2].

أ- التعديلات التي مر بها الدستور اللبناني

جعل الدستور حق التعديل مقرراً للسلطة التشريعية ممثلة في مجلس النواب، بمقتضى المادة (769) من الدستور، إذ يحق اقتراح تعديل الدستور من قبل الحكومة وكذلك بناء على طلب مجلس النواب استناداً إلى المادة (77) في الدستور، فإذا كان الاقتراح مقدماً من جانب رئيس الجمهورية، فالحكومة تقوم بإعداد مشروع التعديل وتقدمه إلى مجلس النواب حسب، وقد دخل الدستور عدة تعديلات وهي باختصار.

ب-تعديلات الدستور عام 1927

تم فيها إلغاء مجلس الشيوخ، قيام مجلس النواب، وتم تعيين ثلث أعضاء مجلس النواب من قبل رئيس الجمهورية وانتخاب الباقين، يحق لرئيس الجمهورية أن يطلب من

---

(1) علم الدين هلال ونيفين مسعد، النظام السياسي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ص138.

(2) جهاد الزين، مستقبل الوحدة الوطنية والنظام السياسي اللبناني، مجلة المستقبل العربي، عدد 143، كانون الثاني، 1991، ص66.

مجلس النواب مذاكرة كل قانون يحيله إليه لإصداره ونشره[1].

ت- التعديلات الدستورية عام 1929

لم يكن التفوق الذي حققته السلطة التنفيذية كافياً من جهة نظر الدولة المنتدبة (فرنسا) فقد كان المندوب السامي يتمتع بحق تعليق كل نص دستوري يضعه البرلمان إذا وجد فيه تعارضاً مع روح الانتداب فكان تعديل 8 أيار 1929 الذي تضمن عدة فقرات وهي:

- تمديد ولاية رئيس الجمهورية إلى ست سنوات بدل ثلاثة.
- منح رئيس الجمهورية حق اختيار جميع أعضاء مجلس الوزراء من خارج البرلمان «مجلس النواب».
- يحق لرئيس الجمهورية حل مجلس النواب بمرسوم معلل يتخذ في مجلس الوزراء بموافقته.

ث- التعديلات الدستورية عام 1943 عهد الاستقلال

حينما أعلن استقلال لبنان عام 1943 كان الهدف الأول أمام الحكومة الوطنية هو تعديل الدستور، وكان التعديل يرمي إلى تحرير البلاد على الأقل من الناحية الشكية من كل أثر الانتداب، وقد استهدف التعديل رفع كل العبارات المدونة في الدستور التي تشير إلى الانتداب وتدخله في نظام الحكم والوصاية التي فرضها على السلطات الدولة في صلب الدستور[2].

ج- التعديلات الدستورية عام 1947

التعديلات التي أدخلت على الدستور اللبناني عام 1947م كانت في غالبيتها تهدف إلى تنسيق المواد الدستورية حتى لا يبقى في صلبه نصوص لأشياء لم يعد لها وجود كمجلس الشيوخ مثلاً أو لبنان الكبير وكانت أهم التعديلات هي:

- كيفية انتخاب الرئيس المسؤول.

(1) أحمد سرحان، النظم السياسية والدستورية في لبنان والدول العربية، دار الباحث، بيروت، 1980، ص91.

(2) مسعود ظاهر، لبنان والاستقلال، الميثاق والصيغة، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1977، ص165.

- حقوق الرئيس المالية، ولكن تجاهل السلطة التشريعية[1].

ح- التعديلات الدستورية عام 1996

بعد أن زادت حدة المطالبة بانتخاب رئيس جديد للجمهورية بعد الأحداث التي مرت على لبنان، المتمثلة بالحرب الأهلية عام 1975م، أحالت الحكومة على المجلس النيابي مشروع قانون يهدف إلى تعديل المادة 73 من الدستور ويمكن من خلاله انتخاب رئيس جديد للبلاد[2].

خ- التعديلات الدستورية عام 1990

فرضت الأحداث الدامية التي ألمت بلبنان عام 1989-1973م إعادة النظر في الممارسات السياسية التي كانت قد كرست جراء التوافق على الميثاق الوطني بواسطة المادة 95 من الدستور وأيضاً تم في هذه التعديلات تأكيد هوية لبنان العربية وعلاقاته مع الدول العربية وأهمها سوريا، وقد تم الاتفاق في الطائف على أن تمر البلاد في مرحلة تحضيرية يوضع فيها حد لتولي رئيس الجمهورية السلطة الإجرائية وتوضع فيها الضوابط لعمل السلطات عن طريق إيجاد أجهزة للنظر في شرعية أعمالها وجرت التعديلات لتنسجم أيضاً مع أحكام الوفاق الوطني مع إعطاء مساهمة أكبر للمسلمين في المناصب[3].

---

(1) محمد طي، صلاحيات الدستور اللبناني، مجلة الباحث العدد 55، تموز، 1992، ص23.

(2) محمد طي، مرجع سابق، ص30.

(3) عارف العبد، لبنان والطائف، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص232.

خاتمة

أثرت الحرب الأهلية اللبنانية ومجمل الحروب التي حصلت على الأرض اللبنانية وذلك من خلال تناقص عدد أفراد الشباب الذين تركوا لبنان وهاجروا إلى الخارج مدفوعين بعدة عوامل حياتية واجتماعية، وهذا ما أدى إلى خلل في الهرم العمري اللبناني، وحدوث مشكلات اجتماعية.

يعد لبنان من البلدان العربية التي حافظت على توجهاتها العروبية على الرغم من المحاولات التي رمت إلى إبعاد لبنان عن محيطه العربي.

يعد المجتمع اللبناني فسيفساء طائفية، وقد نص الدستور اللبناني على مبدأ العيش المشترك لجميع الطوائف وشرائح المكون اللبناني، ولا يجوز تعدي طائفة على الأخرى، كما وإقصاء تمثيلها وهو ما اتفق عليه بين الفرقاء اللبنانيين الذين وقعوا على الميثاق الوطني عام 1993 وهم من وجهاء كافة الطوائف اللبنانية من أمثال: سمير الجسر، بشارة الخوري، رياض الصلح، يوسف السودة.

قائمة المراجع

1 – إحسان محمد الحسن وآخرون، دراسات في المجتمع العربي، مطبعة اتحاد الجامعات العربية، عمان، 1985.

2 – أحمد سرحان، النظم السياسية والدستورية في لبنان والدول العربية، دار الباحث، بيروت، 1980.

3 – أحمد عبد الرزاق، الأزمة اللبنانية، أصولها– تطورها، معهد البحوث العربي، دار الغريب للطباعة، القاهرة، 1978.

4 – بشارة مرهج، الموسوعة اللبنانية، ج2، منشورات مكتبة البستاني، بيروت، 1971.

5 – جامعة الدول العربية، المجموعة الإحصائية لعام (1988–1980)، العدد 3، نيسان، 1990.

6 – حسان حلاق، دراسات في المجتمع اللبناني، دار النهضة العربية، بيروت، 2001.

7 – حسن السيد أبو العينين، دراسات في جغرافية لبنان، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.

8 – حسين الريحاوي، الجغرافية السياسية، دار وائل للنشر، عمان، 1998.

9 - خالد الحسن، الأزمة اللبنانية، محاولات للفهم، دار الكرمل، عمان، 1987.

10 - دولت أحمد صادق ومحمد الشرنوبي، الأسس الديموغرافية لجغرافية السكان، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1969.

11 - ستيفن لونغريغ، سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ترجمة بيار عقيل، دار الحقيقة للنشر، بيروت، 1979.

12 - سمير الصائغ، الدستور اللبنانية من التعديل إلى التبديل، المؤسسة الجامعية، 2006.

13 - طه حمادي الحديثي، جغرافية السكان، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 2000.

14 - عارف العيد، لبنان والطائف، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001.

15 - عبد الرحيم عمران، سكان العالم العربي حاضراً ومستقبلاً، صندوق الأمم المتحدة للنشاطات السكانية، نيويورك، 1981.

16 - عبد الله عطوي، جغرافية السكان، دار النهضة، بيروت، 1999.

17 - علي الزين هلال ونيفين مسعد، النظام السياسي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006.

18 - علي سالم حمدان، مدخل إلى علم السكان، دار الصفاء، عمان، 2016.

19 - علي فاعور، الهجرة من جنوب لبنان، الأسكوا، نيويورك، 1981.

20 - عيد علي الخفاف، الوطن العربي، أرضه سكانه موارده، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، 2000.

21 - غازي بشير طاهر، أزمة النظام السياسي اللبناني، 1984، بيروت، دار الكتاب والوثائق الوطني.

22 - محمد جميل بيهم، عروبة لبنان وتطورها، دار الريحاني، بيروت، 1969.

23 - محمد محمود الديب، الجغرافية السياسية، أسس التطبيقات، مكتبة سعيد رأفت، 1973.

24 - مسعود ظاهر، لبنان والاستقلال، الميثاق والصيغة، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1977.

المجلات والصحف:

1 – إسراء شرين جيجان، النظام السياسي في لبنان (1982– 1995)، رسالة ماجستير كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 1996.

2 –جهاد الزين، لبنان– الحرب المصادرة والخط البياني العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد 96، كانون الثاني، 1987.

3 – جهاد الزين، مستقبل الوحدة الوطنية والنظام السياسي اللبناني، مجلة المستقبل العربي، عدد 143، كانون الثاني، 1991.

4 – محمد طي، صلاحيات الدستور اللبناني، مجلة الباحث العدد 55، تموز، 1992.م

5 – الملف الإحصائي للتنمية البشرية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد 216، 2000.

6 – منح الصلح، لبنان والخيار العربي، مجلة المستقبل، العدد 86، نيسان 1998م.

3- خطاب الكراهية وتأثيره على الأمن الاجتماعي العربي

بقلم الدكتورة نضال سليمان الامام

استاذة الحضارة العربية الاسلامية في الجامعة اللبنانية الدولية

Nidal.emam@liu.edu.lb

009613960662

تاريخ الاستلام: 6/4/2022 **تاريخ القبول: 24/5/2022**

ملخص :

إن للإعلام دورا مهما في حياة الناس فهو مسؤول عن تشكيل ثقافتهم ورأيهم العام، وهذا الدور

ليس مقتصرًا على نقل الأخبار فقط بل يتعداه إلى التربية والتوجيه وترسيخ قيم الحق والخير والحرية والعدل في المجتمع. لكن السائد اليوم في مختلف الفضائيات العربية هو خطاب الكراهية الذي أصبح يهدد السلم الأهلي والأمان الاجتماعي وصار أداة للتحريض في غياب الضوابط القانونية والإعلامية وانكشفت الثوابت والمرتكزات التي تتحكم في منطقه ومنها الخلط بين التاريخ والذاكرة الجماعية وإسقاط الديني على السياسي وتحويل العصبية المذهبية إلى عصبية قومية وتضليل الرأي العام بدل المحاججة والإقناع. وإن من أبرز الظواهر في القنوات العربية هي التغطية غير المتوازنة للأحداث ومحاولة بناء منظومة من الأفكار التضليلية لاختراق المجتمع العربي عبر مفاهيم غربية. ولقد كان للإعلام العربي بأشكاله المختلفة أدوار ومضامين جديدة في العقدين الماضين وخاصة مع اندلاع ما سمي بثورات الربيع العربي ، ومع أن الإعلام حقق نجاحا في التأثير على الطبقة السياسية العربية بعد أن تأكدت قدرته على تحريك الشارع وتوجيه الرأي العام الا أن هذا الإعلام افتقد إلى المصداقية والمهنية واتخذ صبغة شعبية وميدانية لا أكاديمية علمية فمصادره الرئيسية كانت الناشطين الشعبويين وليس الباحثين المدققين، وهذا ما جعله يتبنى أجندة شعبية تلقائية بعيداً عما يفترض بالاعلام أن يتحلى به من موضوعية وتحقيق.

فهل كان خطاب الكراهية في الفضائيات العربية وسيلة لزيادة عدد المشاهدين فقط، أم انه كان مخططا من ضمن مشاريع تفتيت المنطقة؟

الكلمات المفتاحية: الاعلام –الفضائيات العربية–خطاب الكراهية–تضليل الرأي العام

Abstract:

Hate Speech on Satellite Channels and its Impact on Arab Social Security

Media has an important role in people's lives, as it is responsible for shaping their culture and public opinion. This role is not confined to the transmission of news only, but also goes beyond it to education, guidance and the consolidation of the values of truth, goodness, freedom and justice in society. But what is prevalent today in the various Arab satellite channels is hate speech, which has become a threat to civil peace and social security, and has become a tool for incitement in the absence of legal and media controls. The constants and foundations that control this logic has been revealed to include the confusion between history and collective memory, the projection of the religious over the political, the transformation of sectarian fanaticism into national fanaticism and the misleading of public opinion instead of argument and persuasion. One of the most prominent phenomena in Arab channels is the unbalanced coverage of events and the attempt to build a system of misleading ideas to penetrate Arab society through Western concepts, where the Arab media in its various forms has had new roles and content in the past two decades, especially with the outbreak of the so-called Arab Spring revolutions. It achieved success in influencing the Arab political class

following its confirmed ability to mobilize the street and direct public opinion. However, these media channels lacked credibility and professionalism and took on a populist and field approch instead of an academic scientific one. Its main sources were populist activists, not scrutinizing researchers, and this is what made it adopt an automatic popular agenda away from what the media is supposed to have in terms of objectivity and investigation. Hence, was hate speech on Arab satellite channels a means to increase the number of viewers only ?Or was it planned among the projects to fragment the region?

Keywords: media - Arab satellite channels - hate speech - misleading public opinion

المقدمة:

لا شك ان للاعلام دوراً مهما في حياة الناس فهو مسؤول عن تشكيل ثقافتهم ورايهم العام، ودوره ليس مقتصراً على نقل الاخبار فقط بل يتعداه الى التربية والتوجيه وترسيخ قيم الحق والخير والحرية والعدل في المجتمع . لكن السائد اليوم في مختلف الفضائيات العربية هو خطاب الكراهية الذي اصبح يهدد السلم الاهلي والامان المجتمعي وصار أداة للتحريض في غياب الضوابط القانونية والاعلامية وانكشفت الثوابت والمرتكزات التي تتحكم في منطقه ومنها الخلط بين التاريخ والذاكرة الجماعية واسقاط الديني على السياسي وتحويل العصبية المذهبية الى عصبية قومية وتضليل الرأي العام بدل المحاججة والاقناع . وإن من ابرز الظواهر في القنوات العربية هي التغطية غير المتوازنة للاحداث ومحاولة بناء منظومة من الافكار التضليلية لاختراق المجتمع العربي عبر مفاهيم غربية . وتعتمد معظم الفضائيات العربية طريقة الاقصاء، فمجرد ان يتم اقصاء طرف او وجهة نظر معارضة من الظهور ومن التعبير عن رأيها في هذه الفضائيات يكون الخطاب اقصاءً ضمني قد يولد الكراهية التي لا تقل سوءاً عن النظرة الاستقلائية والتعصب الفكري في الخطاب الرسمي الذي كان يعتبر نفسه الوحيد الذي يمتلك الحقيقة . ولقد اصبح من الضرورة مواجهة خطاب الكراهية كشرط حاسم لمنع

نشوب النزاعات المسلحة والجرائم الوحشية والإرهاب. والتصدي لخطاب الكراهية لا يعني ابداً تقييد حرية التعبير او حضرها، وانما يعني اتخاذ التدابير اللازمة لمنع تفاقمه وتحوله الى ما هو اخطر من ذلك كالتحريض على التمييز والعدوانية والعنف المحضور بموجب القانون الدولي .

لقد كان للاعلام العربي بأشكاله المختلفة أدوار ومضامين جديدة في العقدين الماضين وخاصة مع اندلاع ما سمي بثورات الربيع العربي في مصر وتونس وليبيا وسورية والبحرين واليمن لا من حيث السرعة في نقل الخبر فقط انما من حيث بلورة الرواية عن هذه الاحداث، وبذلك يكون الاعلام جزءاً لا يتجزأ من هذه الثورات اذ ان بعض الفضائيات ساهمت في صناعة هذه الثورات واحتدم التنافس السياسي ليس فقط على ارض الميدان بين الاطراف المتنازعة، وانما على الفضاء حيث دخل اللاعبون الاقليميون والدوليون على حلبة الصراع السياسي والايديولوجي.

ومع ان الاعلام حقق نجاحاً في التأثير على الطبقة السياسية العربية بعد ان تأكدت قدرته على تحريك الشارع وتوجيه الرأي العام الا ان هذا الاعلام افتقد الى المصداقية والمهنية واتخذ صبغة شعبية وميدانية لا اكاديمية علمية، فمصادره الرئيسة كانت الناشطين الشعبويين لا الباحثين المدققين، وهذا ما جعله يتبنى اجنده شعبية تلقائية بعيداً عما يفترض بالإعلام ان يتحلى به من موضوعية وتحقيق .

فهل كان خطاب الكراهية في الفضائيات العربية وسيلة لزيادة عدد المشاهدين فقط، ام انه كان مخططا من ضمن مشاريع تفتيت المنطقة؟

إن انتعاش الفضائيات العربية تزامن مع الأحداث المعاصرة الكبرى: من حرب الخليج الثانية عام 1991 والسعي لإخراج قوات صدام حسين من الكويت، إلى حرب الخليج الثالثة، أي غزو العراق من قبل أميركا وبريطانيا بلا أي شرعية دولية، مرورا بمؤتمر مدريد للسلام واتفاقيات أوسلو عام 1993 وأحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 في أميركا، وغزو أفغانستان وتفشي التطبيع في العالم العربي.

ظهرت فضائيات عربية كثيرة يصل عددها اليوم إلى أكثر من 1400 فضائية شملت الغناء والرياضة والدين والسياسية. وتركز معظمها في دول الخليج ومصر ولبنان، مقابل

ظهور فضائيات عربية ممولة من إيران يقودها اتحاد الإذاعات والتلفزة الإسلامية [1].

بدا التناغم واضحا في اللغة الإعلامية الجديدة بين الفضائيات الممولة من دول الخليج والاعلام الغربي بعد عام 2001.

لقد اندفع مشروع الشرق الأوسط الكبير وما خطط له بعض المحافظين الجدد في الإدارة الأميركية ليشق طريقه نحو التنفيذ عن قرب.

أولا: التحريض وإثارة الفتن:

بدأ الإعداد الإعلامي لتمزيق الرأي العام العربي والإسلامي، عبر تشجيع قوى وتيارات وجمعيات وبعض الأصوات الإقليمية ذات الهوى الخاص بإنشاء الكيانات من أجل امتلاك القنوات الفضائية، وخصص الأموال الطائلة لذلك. وبدأنا نلحظ لغة إعلامية جديدة وثقافة إعلامية مختلفة تنطلق من ثقافة الأقليات، وبدا أن إعلاما طائفيا حادا أخذ يشق طريقه نحو العلن مسقطا كل المسلمات والثوابت التي كانت قائمة.

وتحولت هذه الفضائيات إلى منابر خطابية مرئية مباشرة، لها هدف محدد هو السعي لإحداث الشرخ المطلوب في القناعات العربية وحتى الدينية، وتعزيز التوجهات الطائفية والمذهبية في أجزاء كثيرة من العالم العربي.

لقد تحول النقاش في مواضيع حساسة بين السنة والشيعة إلى حوار متفجر جعل بعض المسلمين يتذكرون أن هناك سنة وشيعة بعد أن نسوا ذلك. وأسهم هذا الخطاب في تأجيج الغرائز المكبوتة.

وتناغم ذلك مع الأحداث التي كانت تجري في العراق ولبنان وسوريا ومناطق أخرى، فيما كانت تثار أيضا قضايا الأقليات كالبربر في المغرب والأكراد والأقليات العرقية والمذهبية الأخرى [2].

كذلك تزامن ارتفاع حدة خطاب الكراهية في الفضائيات العربية مع احتدام الصراع بين القوى السياسية والعسكرية من اجل الاستيلاء على السلطة في البلدان التي تعيش حربا أهلية بكل امتداداتها الإقليمية والدولية. ففي العراق، وبعد سقوط نظام صدام حسين

(1) سامي كليب: هل يساهم الإعلام العربي في تنوير العرب أم تضليلهم؟ مركز الحوار العربي في 26/آب/2020.

(2) رفيق نصر الله: الأمن الإعلامي العربي إشكالية الدور والهوية، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت 2007, ص76.

في 9 نيسان 2003 قامت القوات الأمريكية بتفكيك النظام السياسي والإداري البعثي واستبدلت به نظاما قائما على المحاصصة الطائفية، وترافق ذلك مع تأسيس منظومة إعلامية أفرزت العديد من الفضائيات ذات الطابع الطائفي أيضا.

وفي الحقيقة، إن هذه القنوات الفضائية لم تخترع الاختلاف بين المذاهب الدينية في العالم العربي، لكنها حولته بممارستها إلى قضية عامة، يخوض فيها الدهماء الذين لا يملكون أي خلفية معرفية في الدين أو السياسة، فسعوا إلى تأجيج الحساسية المذهبية والطائفية بناء على محدودية فهمهم للنزاعات المعقدة في عالمنا العربي [1].

نحن نعيش اليوم بسبب الإعلام الديني فوضى وعبثية فكرية دينية لم يسبق لها مثيل على الإطلاق، والعامل المشترك الأكبر في هذه العبثية والفوضى هو الجذور الدينية لكل أفكارنا غير الدينية، وأيضا غياب المنهج العلمي في التفكير الديني وفهم النص، وذلك يرجع لكوننا تعودنا على قبول الموروث للفكر الديني دون تمحيص او مناقشة أو تحليل، أضف إلى ذلك ادعاء ان من سبقونا كانوا أكثر فهما ووعيا منا في معرفة مقاصد الدين والشريعة والأحكام. كذلك من اهم أسباب غياب المنهج العلمي هو الانغلاق على تيارات فكرية، حيث يظل ممنوعا ومحظورا على اتباعها مجرد الاقتراب من التفكير العلمي لمناقشة الأفكار وطرح أسئلة عليها، لأن ذلك سيؤدي حتما إلى انهيار كل تلك الأفكار من قواعدها [2].

ونشأ جيل جديد من العاملين في الفضائيات ممن تبنى ثقافة الأقلية التي ينتمي إليها، وتعززت عنده روح الغرائز والعداوات المتكاملة العناصر. وبدأت تتوسع رقعة استخدام كل التقنيات لخدمة البروبغندا الإعلامية لكل الطرفين، ثم تم فرز التقنيين وأصحاب الاختصاص كل إلى موقعه، فنمت جزر إعلامية مغلقة.

ثانيا: تزييف الواقع:

كانت الفضائيات اللبنانية تتجاوز القوانين على مدار الساعة متحصنة بالطائفة التي تنتمي إليها، وأدّت دورا مباشرا في التحولات وفي خلق الأحداث، وحتى في خلق الحساسيات دون التحسب لأي رد فعل للسلطة أول الجمعيات والمؤسسات الأهلية التي

(1) نصر الدين العياضي: الخطاب الطائفي في الفضائيات الدينية: كلفة الخلاف وتداعيات، مركز الجزيرة للدراسات، 7-تشرين الثاني-2015.

(2) نهرو طنطاوي عن صباح يونس: أثر الإعلام الحديث في تغيير اهتمامات الشباب وسلوكياتهم، مؤتمر الجنوب الثاني، الجامعة اللبنانية، منشورات رشاد برس، صفحة 551

بدت عاجزة في مواجهتها.

وبعد اغتيال رئيس الحكومة اللبنانية رفيق الحريري، بدأت مرحلة الانقلاب الإعلامي غير الخاضع لأية قوانين أو ضوابط، وبرز خطاب الكراهية بشكل واسع، وتم استخدام كل الإمكانات في تنظيم نوع من البروبغندا والبروبغندا المضادة في نقل صورة الشارع واستخدام الكاميرا بما عرف يومها «سياسة الزوم» وممارسة الخدع والخداع المضاد في حشد التظاهرات ولعبة الساحات لفرض تعداد غير واقعي للمتظاهرين. وتحولت الشاشات ملكا للانفلات الشارعي عبر تعميم لغة غير مألوفة عبر هذه الشاشات، من كلمات نابية وسباب وشتائم، كان لها تأثير كبير في خلق شرح حقيقي في الشارع السياسي والطائفي في لبنان [1].

وفي الحقيقة، إن المتلقي والناقل ينتميان إلى الحضن طائفي نفسه، وتم تهيئة المتلقي لمشاهدة الفضائية باعتبارها ناطقة باسم الطائفة، ومرجعيتها «الصادقة» التي تعرف الوقائع وتستلهم الموقف منه. ثم تقوم هذه الفضائية بتعزيز طلب المتلقي عبر بث برامج سياسية واجتماعية ودعائية في محاولة حثيثة لتغليب اختيار القناة دون غيرها لديه، وفي هذا السياق يتم بث برامج سياسية «حوارية» و«موضوعية» يتساجل فيها المختلفون والمتعارضون إلى حد المشادات والتشابك بالأيدي، وكان صراع الديكة في هذه الفضائيات هو المقياس الأهم في رفع نسبة المتابعين، فحل الصراخ مكان الفكر، وتكسير الأستديو مكان المعلومة والنقاش العلمي الهادف، فضاعت البرامج وضيعت الجمهور، وزادت الفتن والانقسامات وتلاشت أخلاق الإعلام وشرعة الصحافة [2].

ويتحدث الصحافي ادمون صعب بقرف عن سيادة عصر «العهر الإعلامي»، حتى أنه جعله عنوانا لكتابه، وجاء فيه انه «المعرصة الكونية» التي تستفحل في عصر العولمة المتوحشة، بما تفتحه من أبواب لكي يسود التافهون علينا في كل ميدان و مجال، إذ أطلقت العنان لاجتياح المعايير والحدود من قبل مغول هذا العصر، ومن ضمن ذلك مغول الإعلام والشرهون لتحقيق الشهرة... لا داعي لأدلة، و الشواهد التي اصبح الإعلام اللبناني فيها منصة للإرهابيين حيث يتم تجميل صورتهم, ومنطلقا للهجوم

---

(1) رفيق نصر الله: الأمن الإعلامي العربي إشكالية الدور والهوية، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت 2007, ص76.

(2) رشيد شقير: الإعلام والقوى السياسية في لبنان مقاربة منهجية، مؤتمر الجنوب الثاني، مصدر سابق، صفحة 236و 237.

على المصلحة اللبنانية وتجريم الشعب اللبناني، ومسرحا لعارضات الأزياء لتصبحن مذيعات، من دون أن يعرفن «فك الحرف» ومواقع لنحر اللغة العربية... إعلام بات منصة للتسطيح والتسخيف، وفيه «بروفايل» المحاور المطلوب أن يكون «شرعوبا» بارعا في الصراخ وتأنيب الشخص الذي يحاوره ولا يتركه يكمل، ترويجيا لشعارات كاذبة من نوع أن الواجب جذب الجمهور وليس «إضجاره»، وكان المشاهد أو المستمع أو القارئ ينتمي إلى جمهور من متابعي حلبة مصارعة الثيران، وليس متلقيا لرسالة إعلامية،وكأن هذا الجمهور لا يكفيه مصاعب الحياة ليأتي الإعلام مليئا بالعنف الرمزي والاعتداء والدماء وانتهاك الحرمات والبورنو جرافيا، والعهر بأشكاله كافة [1]...

تمكن هذا الإعلام من إعادة صنع بعض الرأي العام، واجراء تحولات زلزالية لدى شرائح كبيرة من الجمهور اللبناني، وأسهم في إحداث الأزمات تحت عناوين كثيرة، وتم استخدام بعض «اللاإعلاميين» في ضرب القواعد المتبعة عادة في اختيار مقدمي البرامج السياسية.

ونافس السياسيون الإعلاميين في الظهور على الشاشات على مدار الساعة، وبث سموم خطاب الكراهية، فيما كانت أجهزة السلطة عاجزة عن القيام بأي دور.

وقد باتت أساليب تكوين الرأي العام تعتمد على:

1- لفت الانتباه إلى اتجاه محدد، كالتركيز المستمر على ما يفرق ويزيد الانقسامات ويشحن النفوس.

2- تكرار الخبر مع تعدد المصادر، فالطروحات نفسها تردد، ولكن على ألسنة متعددة من السياسيين والحزبين والنواب والوزراء والناشطين، وكلٌّ يعزف على ذات الوتر وعلى مدار الساعة.

3- ذكر

4- تسليط الأضواء على نقطة أو مشكلة ثانوية واحدة، وإغفال كل المواضيع التنموية التي تهم الناس، كالضائقة المعيشية وارتفاع الأسعار وعقود الإيجارات، وكل القضايا الأساسية التي تتسبب بجوع الناس فقرهم.

---

(1) إدمون صعب: من إبراهيم اليازجي إلى غسان تويني: أشرف مهنة مهددة بقواعدها وأخلاقياتها، دار الفارابي، بيروت،2018.

5- التعتيم الإعلامي بشكل كامل على القضايا التي تجمع وتشد أواصر الوحدة داخل المجتمع، فنلاحظ أنها تمر في الأخبار المتفرقة تلفزيونيا وإذاعيا، في حين يتم التركيز على القضايا التي تمزق وتزيد من التنافر والتباعد.

6- تعطيل العقول، وإثارة النعرات الطائفية والمذهبية، بحيث يصبح الرأي العام قابلا للتفجير عند أول شرارة [1].

ويعمل خطاب الكراهية على تقويض التماسك الاجتماعي وينال من القيام المشتركة، ويتفاقم ليصل أن يكون نقطة الارتكاز التي ينطلق منها العنف، ليهدد الاستقرار والأمن الاجتماعي.

وجاءت حرب تموز الـ 2006 لتظهر سقوط بعض الإعلام اللبناني في كمين هذه الحرب، وبدا أن بعض الفضائيات مثلت في خطابها وتوجهاتها انعكاسا سلبيا للواقع السلبي، فسقطت معادلة أن لبنان كله في حرب، وتم العمل على تصوير أن الحرب كانت ضد جهة ما أو طائفة ما، وهذا ما جعل بعض الفضائيات ذات الخلفيات السياسية المعروفة تبدو وكأنها تتبنى ممارسات معدة مسبقا، وتتناغم مع المشروع الكامل الذي جاءت هذه الحرب في سياقه، هذا الامر أدى إلى حدوث شرخ واضح في الجسد السياسي اللبناني وحتى الأمني، وبدأت حملات التشكيك حتى في العمليات العسكرية التي كانت تجري في الميدان.

لقد تعاطت بعض الفضائيات اللبنانية مع هذا الحدث التاريخي الذي يطال المصلحة القومية للبلد كما لو أنها تواجه مظاهرة طلابية، وتحولت الشاشات المحلية إلى منبر انقسامي في لحظة كانت الجغرافيا اللبنانية تتهاوى تحت آلاف الغارات والصواريخ الإسرائيلية في أوسع حرب يواجهها لبنان.

وباتت القنوات الفضائية تستقطب شريحة واسعة وخاصة فئة الشباب، مما ادى إلى زرع قيم جديدة لديهم بمعظمها سلبية منها: التعصب الطائفي والمذهبي، محاولة إلغاء الآخر، الانغلاق على الذات والجماعة التي ينتمي إليها، الضغينة وتفكك الروابط الاجتماعية.

---

(1) خالد اللحام: صناعة الرأي العام، دار النفائس، بيروت، ص 35 و36.

ثالثا: التبعية للغرب:

المشكلة الكبيرة تكمن في أن العرب لا يملكون أي شيء في تكنولوجيا الإعلام المستقبلي الحديث، فهم يستوردون كل شيء من الغرب ومراكز الدراسات الغربية فيه، ما يعني أن قدرتهم على التحكم بالمضمون ستكون معدومة، وسيتبعون توجهات الدول التي تمتلك محركات تكنولوجيا التواصل. وقد رأينا كيف يتم حجب أي خبر او صورة لا تناسب اصحاب هذه المحركات، بينما تبقى صور وأفلام كثيرة تعرض لأشهر طويلة رغم ارتباطها بالإرهاب، منها فيلم إحراق الطيار الأردني الشهيد معن الكساسبة، وهذا يعني أنا القضايا العربية التي كانت أساسية في الماضي، تساقطت تباعا من منظومة الإعلام العربي.

ان الإعلام العربي، مقروءا ومسموعا ومرئيا، كان سلاح الدمار الشامل الذي استخدم لضرب الواقع العربي، وقد أطلق رصاصة على الأدمغة العربية بقرار ذاتي ناجم عن غياب مصادر للمعلومات غير المصادر الغربية، وعن قرارات بالارتباط الإعلاني-الإعلامي بينه وبين اعدائه، فالكلمات تقتل مثل الرصاص، ويتبين ذلك من خلال ما نشر واذيع وعرض حول أسلحة الدمار الشامل، وما اثير حولها من مقالات وتصريحات وحوارات حول عدم قدرتنا على مواجهة العولمة الأمريكية، وكأنها القضاء الذي لا محيد عنه، اما صور المجازر والضحايا الناجمة عن العدوان الأمريكي الذي يطال معظم دول العالم العربي والإسلامي، فيتم استعراضها بطريقة متكررة بهدف ايصال المجتمع العربي خاصة والإسلامي عموما إلى حال من الإحباط النفسي واليأس الكامل، من انسداد الأفق، فلا نستغرب بعدها كيف تظهر الحركات الإرهابية.

اما الإعلام العربي وخاصة الفضائيات في التطبيق بكافة صوره وأشكاله، فكان أشبه بالببغاء الذي يردد مقولات الأعداء كحقائق ثابتة، وكنتائج متوقعة لا محالة، كبث الأحاديث عن السير باتجاه التفتيت والتقسيم على أساس إقليمية، وعن الاكثرية والأقلية الدينية أو القومية، وحتى أن الإعلام العربي استخدم المسميات الغربية لواقعنا كمسلمات، في مقابل تصوير إسرائيل كدولة جيش لا يقهر، فلما قهرها الشعب اللبناني بمقاومته الباسلة تحول الحديث في الإعلام العربي عن إسرائيل كدولة لها امتدادات دولية خارقة قادرة أن تضغط على العالم كله [1].

---

(١) خالد اللحام: صناعة الرأي العام، دار النفائس، بيروت ٢٠٠٧، ص ٣٣و٣٤.

الأمن الاجتماعي يضم المجالات كافة: جنائي وقومي وسياسي واقتصادي وغذائي، وبتحقيقه يتحقق للمجتمع الأمن بمفهومه الشامل. ولذلك فإن مسؤولية تحقيق الأمن الاجتماعي ليس مقتصرا على المؤسسات الحكومية وأجهزة الضبط الأمني وحسب، بل هي وظيفة اجتماعية لكل فئة من فئات المجتمع وفي مقدمتها وسائل الإعلام.

تعريف الأمن الاجتماعي: انه انتشار الاستقرار والطمأنينة والأمان في المجتمع، والشعور الناس بها في جميع الامور الحياتية المتعلقة بهم، وسد جميع الأسباب التي تؤدي إلى الخلل في أحد جوانب الأمن المرتبطة بالمجتمع وأفراده [1].

إن المرتكز الأساسي لمفهوم الأمن عند ابن خلدون هو «العصبية» باعتبارها العنصر الأساسي لقوة الوحدة السياسية وقيام الاجتماع الإنساني، والعصبية تعني الاحساس المشترك العام الذي يشعر به الافراد، تجاه ما يربطهم من نسب أو قرابة او صلة رحم، وما تقتضيه علاقات الجوار والولاء والتحالف لرفع الظلم، وغير ذلك من مظاهر متعددة تسهم في تحقيق الروابط الاجتماعية والسياسية والتضامن بشكل عام [2].

أهمية الأمن الاجتماعي تبرز من خلال الأهداف التي يمكن تحقيقها في ضوئه، ومن بينها:

1- الشعور بالاستقرار والاطمئنان والسكينة في المجتمع، وعدم حدوث القلاقل والفتن فيه.

2- المحافظة على منجزات المجتمع وأبنيتها الأساسية من أن يصيبها الخلل أو ضياع أو الدمار.

3- تحقيق التنمية البشرية في المجتمع وتنويع مصادر الاقتصاد.

4- سد جميع منابع الجريمة، والتقليل منها بأكبر قدر ممكن، وتحقيق الحياة السعيدة للجميع في ظل الاستقرار الأمني الاجتماعي [3].

تخوض قوي الهيمنة الإمبريالية والصهيونية حربا شعواء ضد الأمة العربية، بهدف

(1) سليمان الكعبي: الأمن المجتمعي منهج شرعي ومطلوب حياتي، مركز لندن للبحوث، لندن، 31 كانون الأول 2019.

(2) علي اسعد بركات: الأمن الاجتماعي: دراسة الحالة: جامعة دمشق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 2011.

(3) سليمان الكعبي: مصدر سابق.

إبقائها في إسار التخلف والتبعية والتجزئة، لتنصاع لمتطلبات «السلام الصهيوني»، ويقوم التطبيع بدوره في مواجهة هوية الأمة ومرجعيتها ومصادر الشرعية فيها، وهي تخوض أعنف المعارك وأشرسها لحسم «المعركة الثقافية»، وميدانها الوعي والعقل، لكي تدق آخر حصون المقاومة. وعندما وجدت هذه القوى أن الثقافة العربية عصية على الاختراق لعراقة جذورها ومتانة مقوماتها، لجأت لاختراق أبرز المثقفين العرب، وبالتالي استخدامهم كأحصنة طروادة لاختراق الحصون الثقافية العربية. اختراق المثقفين العرب ليس بالضرورة أن يأخذ شكل الاختراق الصهيوني المباشر كي، لا يكشف أصحابه ويقلل من تأثيرهم، بل هو يأخذ شكل الترويج لقيام علاقات ومفاهيم تصب مباشرة في تدمير المناعة الثقافية العربية، عبر وسائل الإعلام ومنها الفضائيات العربية [1].

رابعا: الإعلام مطية السياسة:

يتساءل البروفيسور جون ميرشايمر في كتابه «لماذا يكذب القادة والزعماء؟» (حقيقة الكذب في السياسة الدولية)، وماذا يحدث حين تكشف الكذبة؟ وهل يدفع من صاغ الكذبة

هذا الدجل الإعلامي العام من الغرب إلى الشرق، تكرر بشكل واسع في الحرب السورية فوق جثث الضحايا وأشلاء السوريين، وقام الإعلام باختيار ما يريد أن يراه وحجب ما يشاء من الحقائق. وإذا كان الكذب جزءا أساسيا من السياسة الغربية، ويلحق بها الكثير من مؤسسات الإعلام التي تروج لما تريده السياسة، فإن الفضائيات العربية انضوت في ركاب المروجين لهذه السياسات [2].

لقد أدركت الادارة الأمريكية أهمية القوة الكامنة في الإعلام الذي أصبح من أهم الوسائل التي ارتكزت عليها المخططات الاستراتيجية الأمريكية، وقد رأينا أن معظم ما تم تنفيذه من مخططات وصل أحيانا إلى درجة احتلال دولة ما استنادا إلى تاج الدولي تمثله في الرأي العام العالمي تمثل في الرأي العام العالمي والذي تم تشكيله عبر الاستراتيجيات الإعلامية التي تم صنعها بإتقان تجاه قضايا وأهداف محددة مثلما حدث

---

(1) مجدي حماد وعدة مؤلفين: نحو استراتيجية وخطة عمل الصراع العربي–الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، صفحة 114

(2) جون ميرشايمر: لماذا يكذب القادة؟ حقيقة الكذب في السياسة الدولية، ترجمة غانم النجار، عالم المعرفة، الكويت، 27 كانون الأول 2016.

في ليبيا والعراق وسوريا [1].

يروي السفير الفرنسي السابق في عدد من الدول الإفريقية، ميشال ريمبو في كتابه: «عاصفة على الشرق الأوسط الكبير»، أن المسألة السورية قد برمجت منذ الصيف 2001 مذكرا الدور الذي لعبه «دنيس روس» أحد مستشاري الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما، ثم المستشار الخاص لهيلاري كلينتون، الذي كان خلف فكرة جعل المجلس الوطني السوري المعارض المحاور الوحيد للغرب. ويروي الكاتب ان وزير الدفاع الإيطالي السابق السناتور «ماريو مورو» سأل اثناء زيارته إلى كردستان العراقية عام 2009، عن الغاية في تشييد بعض المباني فكان الجواب: «انه للاجئي الحرب في سوريا».

يقول ريمبو إن الإعلام الغربي يجعل صورة بشار الأسد «كصورة الجزار»، ويؤكد أنه لا يزال يتمتع بشعبية تتراوح بين 60 و80 بالمئة». ويصف الأحداث التي عصفت بالمنطقة تحت مسمى «مضلل وهمي» أطلقوا عليه تعبير «الربيع العربي» وهو في الحقيقة خريف قاتل، ويأس ممزق لمجتمعات كلما حاولت النهوض في تاريخها المعاصر جاءتها الضربات الموجعة من دعاة الحضارة المعاصرة في الغرب ناهيك عن مشكلاتها الوجودية الملازمة لها منذ قرون طويلة. فالإسلام السياسي الذي وظف من قبل الغرب في السابق للمحاربة الشيوعية، أصبح قابلا بعد التطويع الكامل ليقوم بالأدوار المطلوبة منه غربيا، وبعد أن تشظى إلى جماعات مسلحة تتنافس في التشدد والتطرف والعنف [2].

وأخيرا فإن لكل عصر سماته وميزاته، وربما من أهم ميزات هذا العصر قوة الإعلام والاهتمام بالصناعة الرأي العام. ومن المؤكد أن الغرب ماض في هجمته التي تأخذ من هذه المرحلة شكلا حسما الخيارات لمصلحته، بأحداث تبديل كامل في منظومة الانتماءات والثوابت التي نشأ عليها الفكر العربي.

من هنا تبرز الحاجة إلى خطاب إعلامي عربي مسؤول في مواجهة الخطر الناجم عن خطاب الكراهية السائد في معظم الفضائيات العربية:

---

(1) عادل عامر: تأثير الإعلام على الأمن القومي مقال في إسلام ويب، 25/أيار/2013.

(2) أحمد الميداوي: قراءة في كتاب عاصفة على الشرق الأوسط الكبير، للسفير الفرنسي السابق ميشال ريمبو، ترجمة: لبانة مشوح، فرنسا 2017.

1- فإذا كان هدف خطاب الكراهية هو التفكك الثقافي لوحدة المجتمع العربي وتدمير مقومات تماسكه فإن العنوان المضاد يبقى في اعتماد الخطاب الحريص على تنمية عناصر الوحدة في مجتمعنا وتعزيز أواصر التماسك بين أبناء امتنا وترسيخ ثقافة الوحدة.

2- اعتماد منظومة أخلاقية تنظم حرية الإعلام ولا تقيده وتحرره من التبعية لمراكز الدراسات الغربية.

3- إنقاذ الفضائيات العربية من يد ذوي المال، فقد أصبح الرأس المال العربي الخاص هو المالك المباشر لمعظم هذه الفضائيات أي بنسبة 65 بالمئة مما أدى إلى فرض ثقافة المزاج على توجهات هذه المحطات إلى جانب البعد التجاري وذلك عبرة توفير الإمكانات لتأسيس مراكز دراسات متخصصة.

4- تدريب الإعلاميين الشباب على أخلاق المهنة وتكنولوجيا الإعلام الحديث: لغة وتقنيات، ليتم تزويدهم بلغة علمية موثوقة تستند إلى الأبحاث العلمية الجادة والموضوعية.

5- الاهتمام بالدعاية في عملية إقناع الرأي العام بعدالة قضايانا وتدريب متخصصين في الدعاية وكشف زيف الخداع الممنهج للحد من تأثير خطاب الكراهية في كي الوعي وقصف العقول.

المصادر والمراجع:

1. أحمد الميداوي: قراءة في كتاب عاصفة على الشرق الأوسط الكبير، للسفير الفرنسي السابق ميشال ريمبو، ترجمة: لبانة مشوح، فرنسا 2017.
2. إدمون صعب: من إبراهيم اليازجي إلى غسان تويني: أشرف مهنة مهددة بقواعدها وأخلاقياتها، دار الفارابي، بيروت،2018.
3. جون ميرشايمر: لماذا يكذب القادة؟ حقيقة الكذب في السياسة الدولية، ترجمة غانم النجار، عالم المعرفة، الكويت، 27 كانون الأول 2016.
4. خالد اللحام: صناعة الرأي العام، دار النفائس، بيروت 2007.
5. رشيد شقير: الإعلام والقوى السياسية في لبنان مقاربة منهجية، مؤتمر الجنوب الثاني.
6. رفيق نصر الله: الأمن الإعلامي العربي إشكالية الدور والهوية، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت 2007.
7. سامي كليب: هل يساهم الإعلام العربي في تنوير العرب أم تضليلهم؟ مركز الحوار العربي في 26/آب/2020.
8. سليمان الكعبي: الأمن المجتمعي منهج شرعي ومطلوب حياتي، مركز لندن للبحوث، لندن، 31 كانون الأول 2019.
9. عادل عامر: تأثير الإعلام على الأمن القومي مقال في إسلام ويب، 25/أيار/2013.
10. علي اسعد بركات: الأمن الاجتماعي: دراسة الحالة: جامعة دمشق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 2011.
11. مجدي حماد وعدة مؤلفين: نحو استراتيجية وخطة عمل الصراع العربي–الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000.
12. نصر الدين العياضي: الخطاب الطائفي في الفضائيات الدينية: كلفة الخلاف وتداعيات، مركز الجزيرة للدراسات، 7–تشرين الثاني–2015.
13. نهرو طنطاوي عن صباح يونس: أثر الإعلام الحديث في تغيير اهتمامات الشباب وسلوكياتهم، مؤتمر الجنوب الثاني، الجامعة اللبنانية، منشورات رشاد برس.

باب النقد والأدب:

1 -النقد بين العلمية والخصوصية الأدبية

(بحث في ملامح المنهج النقدي عند سيد البحراوي)

Criticism between scientificity and literary specificity:

«Research on the Features of the Critical Approach of Sayid Al-Bahrawi»

بقلم الدكتور: عبد الفضيل ادراوي

DRAOUI ABDELFDIL

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مرتيل /جامعة عبد المالك السعدي /تطوان-المغرب

d_abdelfadil2006@hotmail.com

الملخص

يقدم البحث منظوراً خاصاً ومتميزاً لواقع النقد، استناداً إلى اجتهاد الباحث المصري سيد البحراوي.

فالنقد يبقى في حقيقته عملية مفتوحة تتأرجح بين الانضباط لبيانات العلم من حيث الموضوعية والدقة والتحكم في النتائج والبعد عن المزاجية والعفوية الفجة، أو الذاتية المطلقة.

من ناحية أخرى، يظل النقد مرتبطاً بشكل حتمي بطبيعة الذات النقدية وخصوصياتها البشرية وما يرتبط بها من ذاتية ومتعة ومنظور إنساني واسع وميل نحو الحرية والخصوصية والتمييز والتفسير والعمليات الأخرى التي تتمرد على السلوك الصارم، والحكم الدقيق، وتجاوز ضيق العلمنة الصارمة.

إن نقد وتحليل الشعر والأدب بشكل عام، من وجهة نظر البحراوي، يظل نهجًا إنسانيًا يستمع إلى عوالم النص الأدبي ويتعمق في تفاصيله الدقيقة والمخفية، ويضمن

حرية الناقد ويقر بإنسانيته واحتياجاته للمغامرة والمتعة، ولكن في نفس الوقت هو نهج خاضع للرقابة يتطلب الممارسة والصبر والتأمل والتعايش مع النصوص لتكون منضبطة وموضوعية دون مزاجية. إنه النقد الذي يتأرجح بين العلم والفن ، أو بين الحرية والتقييد، أو بين الذاتية والموضوعية.

الكلمات المفاتيح:

النقد المنفتح، الذاتية، الموضوعية، خصوصية الناقد، منظور إنساني، التمرس.

Summary

The research presents a special and distinct perspective on the reality of criticism, based on the jurisprudence of the Egyptian researcher Sid El Bahrawy.

Criticism is an open process that swings between discipline of the data of science in terms of objectivity, accuracy, control of results, and distance from moodiness, absurdity, and absolute subjectivity.

On the other hand, criticism inevitably remains linked to the nature of the critical self, and its human specificity and the related subjectivity and pleasure and a broad human perspective and a tendency towards freedom, privacy, distinction, interpretation and other operations that rebel against the strict rule and go beyond the narrowness of strict secularization

the poetry and literature in general, according to Bahrawi's perspective, remains a humanistic approach that listens to the worlds of the literary text and delves into its subtle and hidden details, ensuring the critic's freedom and recognizing his humanity and his needs for adventure and enjoyment, but at the same time it is a controlled approach that requires practice, patience, meditation

and coexistence with texts to be disciplined and objective without temperamental

It is criticism that swings between science and art, or between freedom and restriction, or between subjectivity and objectivity.

Keywords

Criticism , objectivity, subjectivity , freedom , restriction , human perspective.

تمـهيـد :

تروم هذه الدراسة تحقيق غايتين نقديتين متزامنتين؛ تتمثل الأولى في محاولة الكشف عن مرتكزات المنهج النقدي الذي حاول سيد البحراوي بلورة صورته من خلال كتابه: «في البحث عن لؤلؤة المستحيل؛ دراسة لقصيدة أمل دنقل: مقابلة خاصة مع ابن نوح»[1]. وتتمثل الغاية الثانية في العمل على إثارة بعض القضايا ذات الصلة بالاشتغالين النقدي والبلاغي، من خلال وضع الأفكار التي يقترحها الكاتب في سياقاتها المختلفة، ومحاولة الارتقاء بها إلى درجة من المعالجة الإشكالية، خاصة أن عديدا من هذه الأفكار يشكل –بحسب تقديرنا– جوانب مضيئة تصلح لأن تعتمد أساسا لبناء عمل نقدي هادف ومسؤول في ثقافتنا النقدية. والحق أن التتبع الحصيف للأفكار التي يطرحها هذا الكتاب، يسلمنا بلا ريب إلى حقيقة أن الدارس تحكمه رغبة ملحة في التأسيس لمفهوم وتصور نقدي طموح ومتميز يشكل بحق مشروع حياة، بل حيوات له وللأجيال القادمة من بعد، سواء في عالمنا العربي، أو في العالم[2]. هذا الطموح تترجمه جملة أفكار، بسط القول في بعض منها، وأطلق بعضها الآخر على سبيل الإيجاز، واكتفى بالتلميح إلى أخرى تاركا للقارئ المهتم أن يستفيدها من بين ثنايا الدراسة.

ويشكل الكتاب في مجمله، بشقيه النظري والتطبيقي، محاولة نقدية جريئة، خاصة في عالمنا العربي. فالباحث لا يستسلم للمناهج أو لتنظيرات الغير في مقاربة الظاهرة الأدبية، بل يصوغ مفهومات ومنطلقات نقدية خاصة، يعلن عنها ويمضي في مساءلتها واستنطاق مدى قدرتها على تحقيق الغاية التي ينشدها. فيصبح التنظير ركنا أساسا

(1) دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1988.
(2) نفسه ، ص 10.

في الممارسة التطبيقية، كما يصبح التحليل التطبيقي مظهرا تمثيليا ومحققا للتنظير وعملا تدليليا عليه. ولا تخفى على أحد أهمية مثل هذه الدراسة، خاصة من حيث كونها تخصص كتابا بكامله لتحليل القصيدة الواحدة؛ تُتناوَل من مختلف الجوانب التي يعتقد الكاتب أنها كفيلة بتجسيد رؤيته ومنهجه المقترحين في مجال النقد الأدبي.

هوية النقد ووظيفته :

إن وظيفة النقد الأدبي –حسب سيد البحراوي– تتماهى مع وظيفة الفن والشعر. فهي متمثلة في «الحلم بواقع أفضل وأجمل، تتحقق فيه كل القيم النبيلة وليس العدل فقط»[1]. وهو في ذلك يستند إلى ما أورده الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي في قصيدته المشهورة؛ (مرثية العمر الجميل)، وخصوصا قوله:

قلنا لك اصنع كما تشتهي،

وأعد للمدينة لؤلؤة العدل،

لؤلؤة المستحيل الفريدة.

والنقد بدوره لا يبعد عن هذا المجال، ذلك أن وظيفته هي بالضرورة بحث عن واقع جديد، ونشدان الأحسن من الأحوال. إن وظيفة النقد أن يحاول البحث «عن لؤلؤة المستحيل الفريدة الخاصة بالنص الذي يدرسه، والتي لا توجد إلا في هذا النص بالذات، أي –بإيجاز– البحث عما يميز هذه القصيدة عن غيرها من القصائد، وهذا الشاعر عن غيره من الشعراء»[2]. هذا الكلام يكشف لنا عن تحديد دقيق للهوية الخاصة للعمل النقدي، يرمي الدارس إلى تأصيلها. وهي هوية تنحصر في ضرورة أن يتفرغ النقد لمعاينة البعد الجمالي للإبداع (لؤلؤة المستحيل الفريدة الخاصة بالنص الذي يدرسه والتي لا توجد إلا في هذا النص بالذات)(ما يميز هذه القصيدة عن غيرها)(ما يميز هذا الشاعر عن غيره)، أي أن مهمة الناقد محددة في البحث عن أدبية النص وبلاغته المخصوصة. والأدبية لا يمكن إدراكها إلا من خلال التعامل المباشر والاحتكاك الفعلي بالنص الإبداعي، المحدد هنا والآن، وعبر خطة نقدية تعتمد (التحليل العميق للنصوص)[3].

---

(1) نفسه ، ص 8.

(2) نفسه ، ص 9.

(3) نفسه ، ص 9

إلا أن التأكيد على ضرورة التعامل المباشر مع النص والدعوة إلى الإنصات الرهيف لذبذباته الخفية والخافتة، والغوص في أعماقه قصد تلمس مختلف تشكلاته الفنية ومستوياته الجمالية، لا يعني فصل النقد عن الحياة أو إبعاده عن وظيفته في الواقع وفي المجتمع. بل على العكس، فهو يبين أن التحديد الذي يقترحه لا يتنافى مع الوظيفة الاجتماعية المتمثلة في ترشيد المتلقين وفي توجيه الحياة الأدبية، بل إنه يحاول أن يجعل هذه الإبداعية إبداعية علمية، غير خاضعة للأهواء والأغراض الدنيئة التي تسيطر على نقدنا المعاصر. كما أنه يحاول أن يجعل من وظيفة الناقد الاجتماعية «وظيفة أكثر فعالية لكونها تعتمد على تحليل عميق للنصوص، يصل إلى لبِّ ما يدور في داخل الشاعر والشعراء أو الأدباء، ومن ثم معرفة دقيقة بحركة النصوص في ضوء حركة الواقع»[1]. فتكون مسؤولية الناقد مسؤولية أخلاقية أولا، بالنظر إلى ضرورة أن يقدم نفسه نموذجا يُقتدى به في تعلم الصبر على مواجهة الظاهرة الأدبية في ذاتها، وتعلم حسن الإنصات للنصوص، وإعطائها ما تستحق من التأمل والتدبر. فالنص الإبداعي المحبوك والجميل يستوجب قدرا من التعب والمشقة في التعامل معه، ويتطلب مزيدا من التفاني والإخلاص في مقاربته وتحليله. يقول في هذا الصدد: «وكل عمل فني –بالمعنى الحقيقي– يحتاج إلى مثل هذا الدأب والتعب من قبل الناقد والمتلقي بصفة عامة، يساوي الإبداعية الكبيرة التي تكمن فيه»[2]. وهي الإبداعية التي سبق لمصطفى ناصف أن أشار إلى أنها تتوقف على حسن التأمل وتحتاج إلى «قارئ قوي ورفيق معا»[3]، لأن الإبداع الجيد «عالم مكتف بنفسه، يحتاج إلى أن يطرق بابه طرقات متعددة حتى يؤذن له بالدخول»[4]. وهذا ما يجعل من النقد عملا موسوما بطابع المعاناة الفكرية والنفسية التي تُخَلّصه من مثلبة استقدام النتائج والأحكام من مجالات أخرى، وفرضها على المادة موضوع النقد. وتمكن الناقد من صوغ إطاره الفكري، وكل قوانينه ومبادئه وأحكامه من داخل الأدب، الأمر الذي من شأنه أن يُبقِي على سمة الإنسانية بوصفها سمة أصيلة في النقد. وهي في الوقت نفسه أبرز وظيفة مرجوة من النقد في المجتمع؛ وظيفة ترشيد الناس وتعليمهم كيفية الاحتكاك بالنصوص ومعايشتها وتذوقها تذوقا ذاتيا. هذه الوظيفة عبر

---

(1) نفسه ، ص 10.

(2) نفسه ، ص 33.

(3) مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، د.ت، ص 6.

(4) نفسه ، ص 6.

عنها الباحث بالمساهمة «في ترشيد المتلقين وفي توجيه الحياة الأدبية»[1]، أو»الوصول إلى الجماعة من أجل تغييرها»[2]. ولعل عناية الباحث بالمسؤولية الأخلاقية للنقد نابعة من كونه يؤمن بأن الأدب إنما هو في جوهره ذو بعد خارجي، لأنه تشكيل لغوي جميل ودال، وهو نظام إشاري جدلي مركب، مكوَّن من عناصر صغرى وكبرى. والأساس فيه أنه دال على غيره سواء من خلال المفاهيم (concepts) أو المراجع (références)، وهو ما يرى فيه الدارس»مكمن الانعكاس الصراعي في العملية الأدبية»[3]*.

يضاف إلى ما سبق أن «الإدلال» أو الدلالة، ليست فقط وظيفة للنظام الإشاري، وإنما هي مكون كامن ولصيق في عناصره المختلفة، وفي طبيعة العلاقات بين هذه العناصر. وهذه الدلالة هي بالضرورة اجتماعية، لأنها «ليست إلا اتفاقا بين المتكلمين، ولو انقطعت الصلة بين المرسِل و المرسَل إليه لما تحققت الدلالة. وسواء كانت الدلالة مفاهيم أو مراجع فإن صفة الاجتماعية صفة لصيقة بها»[4].

والجدير بالبيان هو أن انطلاق سيد البحراوي من النص، ودفاعه المستميت عن ضرورة العناية بدراسة تشكيله الجمالي، والتركيز على مختلف العناصر المكونة له، هي عنده أمور ليست هدفا في حد ذاتها، ولا ينبغي أن تكون كذلك، لأن الدلالة التي يحملها النص هي الأساس، والانطلاق من عناصره التشكيلية ليست سوى خطوة أولى، لكنها ملحة وضرورية، وعليها يتوقف ما يستتبعها من نتائج وتفسيرات. يقول الباحث في هذا الصدد: «وما دراسة التشكيل سوى ضرورة حتمية يستحيل بدونها الوصول إلى الدلالة العامة للنص. وأي دراسة للدلالة، دون دراسة التشكيل، ستظل دراسة منقوصة ومشكوكا في دقتها أو حتى صحتها»[5].

ولعل الكاتب، بالتفاته إلى الوظيفة الاجتماعية للأدب والنقد، يلتقي مع منظورات نقدية ضاربة في القدم، أكدت الطابع المزدوج للأدب الجامع بين التخييلي الجمالي

---

(1) نفسه ، ص 10.
(2) نفسه ، ص 23.
(3) نفسه ، ص 19.
* جدير بالتنبيه أن البحراوي يتحمس بشكل واضح في مقاربته للفن والإبداع إلى المنظورات التي ترى أنه انعكاس خاص للحياة ، و أنه تشكيل جمالي لها . فهو يستند في مواضع كثيرة إلى لينين و ماركس و ألتوسير و جودلييه ، تنظر الصفحات 19-18-17 .
(4) نفسه ، ص 19 -20.
(5) نفسه ، ص 22.

وبين الحجاجي التداولي. فالجاحظ مثلا في تنظيراته البلاغية كثيرا ما ينظر للخطاب من جهة وظيفته التواصلية، ومدى نجاحه في تحقيق التأثير في المتلقي. فهو يحدد البيان بأنه«اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير.. لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هي الفهم والإفهام. فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[1]. ويرى أن مدار البيان راجع إلى«الفهم ثم الإفهام والطلب ثم التثبت»[2]. ويستقبح في المتكلم، أن يعجز عن الإفصاح والبيان، فيجد نفسه مضطرا إلى التكلف أو التصنع: «ومدار اللائمة ومستقر المذمة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف، وبيانا يمازجه التزيد»[3]. بل إنه يشير صراحة إلى خطورة أن تخون القائل الحجة في الكلام، وهو ما يسميه بـ» العي من اختلال الحجة»[4]. ويقدم مجموعة من الأشياء التي تطلب في المتكلم حتى يكون كلامه مقنعا ويتمكن من تحقيق الغاية المنشودة من الخطاب. فهو بحاجة إلى» تمييز وسياسة وترتيب ورياضة و تمام آلة وإحكام صنعة»[5].

ويشير حازم القرطاجني(**ت. 684 هـ**) إلى كون البلاغة علما يجمع بين التخييل والإقناع، والقصد فيهما «حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده»[6]. فالخطابة والشعر يشتركان في الإقناع والتخييل وفي الهدف الذي هو:

«إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفس بمحل القبول لتتأثر بمقتضاه»[7]. ويدعو إلى ضرورة أن تكون الرسالة الشعرية قائمة على التأثير في الخارج» وجب أن تكون الأقاويل الشعرية أشد الأقاويل تحريكا للنفوس، لأنها أشد إفصاحا عما به علقة الأغراض الإنسانية، إذ كان المقصود بها الدلالة على أعراض الشيء ولواحقه التي للآداب بها علقة»[8]. إذ تغدو البلاغية راجعة إلى مدى قدرة الخطاب على ملامسة هذا الرصيد المشترك بين الإنسانية.

(1) الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 76.
(2) نفسه ، ج 2 ، ص 39 .
(3) نفسه ، ص 13.
(4) نفسه ، ص 12.
(5) نفسه ص 14.
(6) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بلخوجة، تونس، 1966، ص 20-19 .
(7) المنهاج ، ص361 .
(8) نفسه، ص 118.

ويرى عبد القاهر الجرجاني أن التعبير المجازي فعل قولي يجمع بين الشعرية والوظيفة التلقينية التعليمية. ويتحدث عن كون النظم يتطلب من الباث ترتيب المعاني في ذهنه بشكل تراه فيه«نسي حال نفسه واعتبر حال من يسمع منه»[1]، لأن غايته في جوهرها اجتماعية محضة، والهدف من الخطاب هو الوصول إلى نفسية وكيان المتلقي. فأهمية التمثيل عنده مثلا، كامنة في تحسين المعاني وضمان تأثيرها في الآخر، إذ تراه قد «كساها أُبّهة، وأكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا. وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا»[2]. وهو ما يشير بوضوح إلى الطابع التداولي للخطاب.

من هنا يكون سيد البحراوي، بمنظوره النقدي القائم على ضرورة «التعامل مع النصوص بالمنظور الاجتماعي للكشف عن علاقتها العميقة به وبالجمهور»(ص16-15)، والنظر إليها»كتشكيلات جمالية تعكس الواقع انعكاسا خاصا»(ص16) وبتحميله النقد مهمة «أن يقوم بوظيفة ثورية حقيقية»(ص10)، ويروم «الوصول إلى الجماعة من أجل تغييرها»(ص23)، والعمل على«ترشيد المتلقين، وتوجيه الحياة الأدبية»(ص10)، يكون قد تصدى لمهمة تطوير المنظورات النقدية البلاغية القديمة والاستفادة منها من أجل العمل على صياغة نظرية نقدية تستوعب البعد الوظيفي التداولي في الأدب، خاصة أن الأدب في جوهره، كما يرى البعض، «يكتب في النهاية لكي يغير حالة ما. وهذه غاية خطابية. ولكنه يغير الحالة بوسائل شعرية غير خطابية»[3].

ومن جانب ثان، فإن رؤية الدارس تلتقي مع عديد من التوجهات الغربية الحديثة التي اهتمت بتحليل الخطاب في بعده الوظيفي التداولي. فبيرلمان مثلا يعرف الحجاج بأنه: «مجموع تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تبعث على إذعان المتلقين للقضايا التي نعرضها عليهم أو تزيد في درجات هذا الإذعان»[4]. وتتمثل وظيفة الخطاب عنده

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 454.

(2) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تح. محمد رشيد رضا، دار المعرفة ،بيروت ،1981 م ، ص 93 .

(3) محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، منشورات دار الأمان،الرباط،،ط2 ، 2005 م، ص 399 .

(4) Perleman Chaim. et Olbrechts- Tyteca L ., Traité de l’argumentation, Ed. Université de Bruxelles , 1976 , P: 92 .

في نشدان «التأثير في الإنسان بأن يجد نفسه مدفوعا إلى العمل أو مهيأ لإنجاز عمل محتمل»[1]. وهي الغاية التي طالما نبه إليها سيد البحراوي. كما أن سمة الصراع التي تميز كل إبداع، بحسب ما يبسط سيد البحراوي الدارس، تلتقي مع ما رأي بيرلمان في كون كل خطاب لغوي إلا ويبقى معرضا لسوء الظن وللمساءلة والتشكيك. فالمحتوى القضوي للخطاب مهما يمتلِك من مصاحبات، قد يظن صاحبها أنها عاصمة له، وكفيلة بمنحه سلطة رمزية تحقق له ضمانات الواقعية والحقيقة، إلا أنه يبقى أبدا معرضا لكل محاولات الهتك والرفض والهدم، يقول هذا الدارس الغربي:

« إن وضع حقيقة ما أو واقعة ما، ليس مؤَمَّنا إلا إذا تم التسليم بسلطة ما أو ألوهية ما تكون أقوالها ومنزلاتها معصومة من الطعن. وهي بهذه ضامنة الوقائع و الحقائق. إلا أنه في غياب مثل هذه الضمانة المطلقة، أو هذا اليقين، أو هذه الضرورة التي تفرض نفسها على كل كائن عاقل، فإن الوقائع والحقائق التي تكون مقبولة من لدن الرأي العام أو رأي المختصين قد تكون موضع طعن»[2].

وهذا ما يذهب إليه سيد البحراوي عندما يرى أن العملية الإبداعية، هي عملية صراع مستمر مع الموضوع ومع الواقع، بالنظر إلى طبيعة المبدع الحساسة والذكية، التي تجعله لا يقبل التناقضات التي يلمس أنها متحققة من حوله. فالمبدع»في صراع مع الموضوع الذي وقع عليه اختياره –من هذا الواقع – ليكون موضوعا لعمله الأدبي، ثم مع التقاليد الفنية السابقة عليه والمعاصرة له، والتي هو مضطر للتعامل معها، دون أن يستسلم لها، نظرا لأنه يحمل رؤية جديدة ويريد توصيل شيء مختلف خاص به وليس مسبوقا فيه»[3].

وإذا كان أوليغون(**Oléron**) قد رأى أن كل خطاب بلاغي إنما هو» سعي إنسان يهدف إلى إحداث أثر في الآخر»[4]، من أجل إقناعه بوجهة نظر ما في مرحلة أولى، ثم بعد ذلك العمل على تغيير سلوكه وتوجيه أخلاقه وتغيير معتقداته وقناعاته في مرحلة ثانية، فإن سيد البحراوي لا يخرج عن هذا السياق، ذلك أن قيمة النص عنده كامنة في

---

(1)Ibid. P: 92.

(2) Perleman Chaim, Lempire rhétorique, ed. vrin, 1977, p: 38 .

(3) سيد البحراوي، مرجع سابق، ص 21

(4) Oléron , L argumentation, Que sais-je, Presses Universitaires de-France, Mai , 1983 , p: 15

دلالتة، مهما يكن نوعها؛ فقد تكون متعددة؛ متعددة المستويات والأبعاد، أو متعددة في اتجاهاتها، ويمكن أن تكون فيها تناقضات داخلية، ويمكن أن تكون دلالة آحادية الصوت أو متعددة الأصوات. وفي جميع الحالات ينبغي أن يكون النص ذا دلالة قابلة للتمثل في المجتمع، ويمكن الإمساك بها من لدن المتلقي. يقول: «فمهما كانت صراعية الدلالة وتعددها وتراكبها ينبغي أن تظل دلالة، أي قابلة للاتصال بين المرسِل والمستقبِل، كما أنها اجتماعية، أي نتاج للجماعة، وغايتها الوصول إليها(الجماعة) من أجل تغييرها»[1]. لذا فهو يرفض أن تقتصر العملية التحليلية على معاينة الخصائص الجمالية للنص، بل يجب أن تُتلى بالخطوة الأهم وهي «اكتشاف وظيفة هذه الخصائص»[2] ويرى في ذلك عملا قاصرا؛ أي أن النص الإبداعي حسب الباحث هو بالضرورة تعبير عن موقف. وهي نفسها الحقيقة التي أكدها محمد مندور بقوله إن «الأدب هو العبارة الفنية عن موقف إنساني»[3]، وهو «صياغة لموقف»[4].

كما تلتقي رؤية سيد البحراوي النقدية مع منظور رائد البلاغة والأسلوبية في الغرب، هنريش بليث الذي يرى أن النهضة التي عرفتها الدراسات البلاغية المعاصرة في الغرب تحديدا، ترجع بشكل أساس إلى أن روادها كرولان بارت وجيرار جينيت وب.كونتر وكبيدي فاركا ومجموعة (Mu) وبيرلمان وتودوروف وغيرهم، قد أولوا أهمية متزايدة للسانيات التداولية ووصف الخصائص الإقناعية للنصوص بشكل لم تعد معه البلاغة محصورة في معاينة البعد الجمالي للنصوص فحسب، بل أصبحت علما واسعا للمجتمع، وأصبح الخطاب منظورا إليه في وظيفيته بين الناس وفي المجتمع، ومن زاوية نظر المستمع/القارئ، أي الزاوية التي تجعل الخطاب تابعا لمقصدية الأثر[5]. والبلاغة عنده، منذ القدم قد استوعبت ثلاثة أنماط من المقصدية متداخلة في ما بينها؛ المقصدية الفكرية والمقصدية العاطفية ثم مقصدية التهييج[6]، وهي أبدا حاضرة ومتداخلة في ما بينها في كل خطاب، وإن بشكل متفاوت. والنصوص الإبداعية مهما تختلف وتتنوع، فإنها تبقى ذات منزع إقناعي، وذات حمولة لا تنكر من المعارف والواقف والموضوعات، يتفنن

(1) نفسه ، ص 23.
(2) سيد البحراوي، مرجع سابق ، ص 30 .
(3) محمد مندور ، في الميزان الجديد ، دار النهضة ، مصر ، 1973 ، (الإهداء)
(4) نفسه ، ص 125 .
(5) هنريش بليث، البلاغة و الأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر.وتع. محمد العمري، أفريقيا الشرق، 1999، ص 22 – 24 .
(6) نفسه ، ص 25 – 27 .

أصحابها في كيفية توصيلها إلى المتلقي، بقصد إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي. إذ القصد في نهاية المطاف « الإقناع بواسطة الحلية اللغوية»[1]، و»مجالات الدين والتربية والأخلاق والفن، كما مجالات الفلسفة والقانون، هي مجالات حجاجية وهي عينها مجالات البلاغة «[2].

ويماشي سيد البحراوي نظرية (مايير) في المساءلة والبلاغة، الذي يجعل الخطاب اللغوي مرتبطا بإشكالية الاختلاف التي تحكم العالم الإنساني، ويرى أن اختلاف الاستعمالات القولية والتمييز بين طبيعة قول وآخر، ليس ناتجا عن اختلافات شكلية أو مضمونية ،بقدر ما هو اختلاف مرجعه طبيعة نظام اللغة نفسها، بوصفها جزءا من نظام العالم الإشكالي، الذي يبني الفكر ويشغل الذهن من أجل قول وإيجاد شيء ما. واللغة عنده ما هي إلا تمظهر حقيقي من تمظهرات هذا الاختلاف الإشكالي. يقول هذا الدارس: «إن استعمال اللغة في أية لحظة تواصلية يعني إثارة الانتباه حول سؤال مفترض. قد نكون متفقين حول مضمونه أو قد لا نكون، لكنه يشكل نقطة انطلاق التواصل بين الناس»[3]. وهو نفسه ما يراه سيد البحراوي، فالنص عنده بكل حيثياته «محصلة جدلية للصراعات المتعددة..داخل النص وبين النص وإطاره الاجتماعي»[4]. بل إنه يشير صراحة إلى ما تطرحه مؤسسة اللغة من معضلات واختلافات: «وهو صراع يمتد–في الأعماق– إلى اللغة كمؤسسة اجتماعية ثابتة نسبيا ولا يمكن تحطيمها وخلق لغة بديلة»[5]. وتعد عملية التلقي بدورها مظهرا آخر يُجلي مشكلة الصراع التي تحكم الخطاب في المجتمع. فالمتلقي»يدخل في حوار يفرضه عليه النص، وتختلف درجة حدته باختلاف نوعية النص وكم التحديات التي يثيرها أمامه. يصارع النص المتلقي، يمنحه ويثيره ويتأبى عليه»[6]. وأكثر من ذلك فالخطاب الأدبي، عند الباحث، هو بمثابة نظام يشكل امتدادا للنظام اللغوي في المجتمع، وهو بذلك كل متسق من العناصر أو المكونات، محكوم بحركية جدلية تجعله في علاقة من الصراع والتفاعل مزدوجة الأبعاد؛ «بين العناصر المكونة له ، وبينه وبين الأنظمة الأخرى المحيطة به،

(1) نفسه ، ص 32 .

(2) Perleman Chaim, Rhétoriques, ed .Université de Bruxelles ,1989, p: 99 .

(3) Mayer Michel , Questions de rhétorique et Questions de rhétorique logique–langage–argumentation , p: 74 .

(4) سيد البحراوي، مرجع سابق، ص 22.

(5) نفسه ، ص 21.

(6) نفسه، ص 31.

ولذلك فهو ليس ثابتا ثباتا مطلقا، وثباته ظاهري ولحظي ويعمل الصراع على تحطيم هذا الثبات في كل لحظة لصالح التحول والتغير»[1].

ومن ثمة يكون الخطاب النقدي والإبداعي عملية تواصلية داخل المجتمع، ويكون هذا التواصل عنصرا بنّاءً وإيجابيا لأن القائل يعتمده «من أجل أن يجيب عن الأسئلة الغامضة، ويحل الإشكالات المعلقة، ويتواصل كي يبحث ويوجد القواسم المشتركة التي تفرضها الطبيعة التواصلية الإنسانية»[2].

وهي كلها أشياء تُحتم تَبَني منظور سيد البحراوي إلى الخطاب بوصفه وطيد العلاقة بالواقع، وبجعله البعد التداولي مقوما أصيلا في البلاغة والنقد، وخاصية ملازمة لطبيعة الخطاب البشري في المجتمع. فالنقد عنده «هو طريق في التعامل مع الظاهرة موضع الدراسة تعتمد على أسس نظرية ذات أبعاد فلسفية وإيديولوجية بالضرورة»[3].

النقد وسؤال المنهج :

يحاول الدارس من خلال كتابه وضع نموذج لخطة نقدية متسمة بقدر من العلمية في تعاملها مع النص الإبداعي: «النقد في منظوري هو محاولة علمية (أو تسعى لأن تكون كذلك)، تسعى عبر وسائل منضبطة لإدراك العلاقات الكامنة في داخل النص والمختفية وراء ظاهره ، من أجل الوصول إلى الخصوصية التشكيلية و الدلالية له ، والتي تميزه عن غيره، أي الوصول إلى لؤلؤة (مستحيله الفريدة)»[4]. وهو بذلك يحاول تجاوز الوضع السلبي للواقع النقدي في عالمنا العربي الذي يصفه بأنه«واقع مأزوم، بمعنى أنه لا يستطيع القيام بوظيفته ويقوم على» تزييف وعي الجمهور والمبدع« وأبرز مظاهر التأزم متمثلة في غياب المنهج»[5]، و«سيطرة المناهج الوضعية التجزيئية التي هي انعكاس واضح لوضع المجتمع الر أسمالي واحتياجاته»[6]، والاكتفاء بنقل الأفكار الغربية والترجمات أو اعتماد أعمال تطبيقية تعتمد جزئيات البلاغة القديمة أو بعض من معطيات المدارس النقدية الغربية من دون الإحاطة بأسسها الفلسفية وبالظروف التي

(1) نفسه، ص16 .
(2) عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغير ، مرجع سابق ، ص 197 .
(3) في البحث عن لؤلؤة المستحيل ، ص 11.
(4) نفسه ص 9.
(5) نفسه ص 11.
(6) نفسه ص 10.

أفرزتها، والتي تختلف ضرورة عن الظروف والحيثيات المحلية. وهو ما يُحَوّل الساحة العربية إلى حقل للتجريب ويساهم في تكريس الأزمة وتعميقها وزيادة هوة التباعد بين النقد والأدب أو بين كليهما وبين الجمهور، لأن الأمر يغدو «أشبه بالفرض أو التطور المفروض من الخارج»[1].

فكان لا بد– والحال هذه– أن يقترح الدارس خطة نقدية، يرى فيها بديلا عن وضعية التأزم النقدي السائدة في العالم العربي. وهي خطة يمكن إجمال أهم مرتكزاتها في ما يلي:

- الانطلاق من وعي واضح وحاد بطبيعة الظاهرة التي يعمل الناقد في مجالها، ومعرفة خصوصية الظاهرة الأدبية في مجتمعنا العربي والمشكلات التي تطرحها هذه الظاهرة.
- الصدق مع الواقع في عمقه وحقيقته وليس في ظاهره وسطحيته .
- اعتماد الفكر والنزوع نحو العلمية وتحري الموضوعية والضبط والدقة، لجعل «الإبداعية إبداعية أكثر علمية غير خاضعة للأهواء والأغراض الدنيئة التي تسيطر على نقدنا المعاصر»،[2] والاستعداد للدأب والتعب ومعاودة التأمل في النص من أجل الوصول إلى لب ما يدور في داخل المبدع، خاصة أن كل عمل فني جيد بالمعنى الحقيقي «يحتاج إلى الدأب والتعب من قبل الناقد والمتلقي بصفة عامة، يساوي الإبداعية الكبيرة التي تكمن فيه»[3]. وذلك من أجل إدراك العالم الداخلي للنص، ومعرفة عالم الأديب، ومن أجل معرفة دقيقة بحركة النصوص في ضوء حركة الواقع.
- الانطلاق من أن النص الأدبي هو إبداع إنساني (فردي/اجتماعي)منحاز، وأن تلقيه –حتى من قبل الناقد –يتضمن قدرا من الانحياز. فلا مجال لاستقدام المعطيات العلمية الصارمة المطلوبة في مجالات العلوم الحقة، أو توظيف مقولات الصورنة والتجريد المعمول بهما في مجالات العلوم الرياضية وفي المنطق.
- المعرفة الكافية بمجمل إنتاج المبدع وما كتب عنه وبالواقع الخاص والعام الذي

(1) نفسه ص ، 14.
(2) نفسه، ص 10.
(3) نفسه، ص 33 .

عاش فيه. فالباحث كثيرا ما يلتفت إلى خارج النص ويستنجد بمعلومات خاصة عن الشاعر وعن نفسيته وعن الظروف التي عاشها، وعن القصائد الأخرى التي كتبها، وتاريخ كتابتها، وعلاقة الشاعر بالواقع والناس، وفلسفته في الحياة وفي الشعر، لأنها تفيد في تفسير القصيدة. فهو يكشف عن تأثر دنقل بفلسفة نيتشه من حيث إرادة القوة التي تجد تحققها في النهاية في الموت[1]. كما لا يغفل الالتفات إلى الطابع الملتزم الذي عرف به الشاعر أمل دنقل بوصفه مناضلا «كان يمارس الدور السياسي للشعر»[2]، مثلما يلتفت إلى الطابع الغامض لشخصية هذا الشاعر التي نصطدم فيها «بعالم متناقض... فوضوي يحكمه منطق–بسيط في تركيبية شديدة– صريح وخفي في آن واحد»[3]، ناهيك عن كونها شخصية تعيش الصراع الفعلي بين الانتماء للوطن والشعب، وبين الشك في جدوى هذا الانتماء وجدوى الصمود[4]. وهي أشياء من شأنها أن تضيء جوانب مهمة من النص المحلل.

- الابتعاد قدر الإمكان عن الاستسلام للذوق الخاص للناقد، وتحاشي الانطباعية السلبية التي غلبت على حركة النقد الأدبي الحديث في العالم العربي.

- اعتماد التفسير خطوة رئيسة في العمل النقدي وعدم الاكتفاء بالوصف أو التتبع الدقيق للقضايا الواردة في النص. فعملية الرصد الموضوعي والوصف الدقيق لمختلف جوانب النص ليست سوى خطوة تفضي بالباحث إلى علامات «تحتاج إلى تفسير»[5]، والمهم في العملية النقدية هو «كيف استخدم الشاعر هذه العناصر، وما هي المدلولات التي تنتج منها كدوال»[6].

- الابتعاد عن فرض أي فهم مسبق على التحليل، والارتباط بالنص في حد ذاته. فالناقد وإن كان يمتلك معلومات مسبقة عن النص، إلا أنه حاول أن يدرك الدلالة والرؤية من خلال التشكيل الملموس للعناصر المكونة للقصيدة وليس العكس.

- التعامل مع النص المدروس بوصفه بنية مكتملة تشكل وحدة متناسقة وتقوم على

(1) نفسه ، ص 176 .
(2) نفسه، ص 179 .
(3) نفسه، ص 177.
(4) نفسه، ص 93 .
(5) نفسه، 42 .
(6) نفسه، ص 47 .

نظام وتخضع لتطور، مع النظر إليها أفقيا وعموديا من أجل ضبط العناصر الجزئية. فالتحليل الجيد ينبغي أن يحكمه النظر النسقي وأن ينكب على محاولة تلمس العنصر الدرامي في القصيدة، ويعني به الباحث السعي»لبناء القصيدة وعدم تركها في إطار حلقات متقاطعة أو متواصلة أو شذرات متناثرة»[1]. فالشاعر عنده يرغب «في خلق حالة متكاملة وممتدة دون توقف»[2]، والمطلوب عدم إهمال أي عنصر في النص، مهما يبد ثانويا، بدءا من الشكل الطباعي الذي تكمن أهميته في كونه يجسد الصورة الحقيقية للنص كما أنتجه صاحبه، وكما أراد له يقرأ، وبه تتحدد مجموعة من الانطباعات التي تؤثر على التلقي وتصل إلى التأثير في الدلالة. فهو»نظام هام من النظم المكونة صراعيا للقصيدة»[3].

- الانطلاق من التركيب اللغوي للنص والاستفادة من علوم اللغة الحديثة «لأن الأدب لا يستخدم – مهما حاول الاستفادة من أدوات أخرى– سوى اللغة البشرية، وهو لا يفعل فيها سوى إعادة تنظيمها حتى تحقق رؤيته الخاصة والجديدة»[4]. فاللغة هي مادة الأديب بها يشكل عالمه الإبداعي تشكيلا خاصا، ولا يمكن الوصول إلى هذا العالم دون تحليل المادة اللغوية. كما أن أهمية الانطلاق من العناصر اللغوية للنص تكمن في تجنيب الناقد مثلبة السقوط في فرض فهم مسبق للقصيدة.

- كون العناصر اللغوية، بجميع أنواعها، مجرد آليات أو مفاتيح تحليلية، ليست مقصودة لذاتها، بل هي وسائل من شأنها أن تساعد الناقد على «إبراز الخصائص بأقصى موضوعية»[5]. لذا فهو يبين أن التحليل الذي يقدمه «اعتمد في المقام الأول على أساس مادي موضوعي ملموس هو التركيب اللغوي للنص مكتوبا ومقروءا، من أجل الوصول إلى دلالات يحملها هذا التركيب على المستويات المختلفة[6].

- الانفتاح على مختلف المجالات الفكرية التي يمكن أن تفيد في الإدراك العميق للنص ولعالمه الجمالي، بشرط أن تتفق مع الأساس العميق لخطة التحليل المقترحة، وبشرط معرفة جذورها النظرية والإيديولوجية. فالكاتب يستفيد من الفلسفة وعلم

(1) نفسه ، ص 159 .
(2) نفسه، ص165 .
(3) نفسه ، ص37 .
(4) نفسه ص 25 .
(5) نفسه، ص 30.
(6) نفسه ، ص 31 .

الاجتماع ومن اللسانيات وعلوم اللغة ونظرية التلقي، وكل ما من شأنه أن يغني التحليل ويعمقه، لكن في حدود ما يتناسب مع النص.

هذه أهم المرتكزات التي يقترحها الدارس لتكوين تصور نقدي منسجم وأصيل، يكون قادرا على تخليص الساحة النقدية مما تعانيه من تسيب نقدي وعشوائية في التعامل مع الإبداع. وهي خطة يرى الدارس أن بإمكانها أن ترقى إلى مستوى بلورة منهج نقدي على قدر كبير من الدقة والموضوعية أو ما يسميه ب(العلمية) التي تعني: «نوعا من الدقة والانضباط الكفيلين بوجود قواعد متفق عليها تحمي من الانطباعية والأهواء الشخصية»[1].

وهوكما يبدو، اجتهاد نقدي حصيف، خاصة في منطلقاته النظرية، يمكنه أن يحفظ للعمل النقدي هويته الأدبية ويحميه من الارتهان للمناهج الغربية التي تُستقدم وتُوظف بطريقة مفروضة، لا تتناسب في أغلب الأحيان مع طبيعة الإبداع في المجتمع العربي. فهي تطبق من دون وعي بأسسها المعرفية ولا منطلقاتها الإيديولوجية .

النقد ساحة التصالح بين العلم و الأدب

والحق أن الدارس يمثل، بتخريجاته النقدية أعلاه، رؤية نقدية دقيقة ووجهة نظر تبدو مقنعة، لأنها تنطلق من الاعتراف المسبق بخصوصية الظاهرة الأدبية، وبالهوية النوعية للعملية الإبداعية، وتراعي سياقات إفرازها، على تعددها وتداخلها، وتؤمن بحقيقة الإبداع الإنسانية والمعقدة في جوهرها. كما تؤمن بأسبقية الذات، وتعطي التذوق الشخصي الأهمية التي يستحقها في كل ممارسة نقدية تحليلية. إلا أن كل هذه الحقائق–بحسب الباحث– لا يمكنها أن تكون مبررا لرفض المنهج العلمي في مقاربة هذه الظاهرة، ولا تشفع للناقد بأن يطلق العنان لذاته كي يكون مبدعا من الدرجة الثانية، يحشر نفسه إلى جنب الذات المبدعة للنص المحَلّل: «إن وظيفة النقد ليست إبداعا أدبيا ثانيا على النص المدروس، وليس الناقد وسيطا– مبسِّطا – بين النص والقارئ. وباختصار ليس النقد إبداعا من الدرجة الثانية»[2].

وهو نهج نقدي يصبو إلى إقامة علاقة تصالح بين الأدب وبين حقل العلوم الإنسانية المتعددة، من أجل الارتقاء بالعملية النقدية التحليلية إلى مستوى من المعرفة الأكاديمية

(1) نفسه ص 27 .

(2) في البحث عن لؤلؤة المستحيل ، ص 9 .

المضبوطة والممنهجة. وهي الرؤية نفسها التي يتبناها نقاد ومهتمون بالشأن الثقافي والأدبي في العالم العربي. فالناقد المغربي سعيد يقطين مثلا، ينتقد ظاهرة «الحذلقة الأدبية»[1]، ويدعو إلى ضرورة اعتماد نقد يكون «استثمارا لنتائج العمل العلمي وتوظيفا لها على النص المحدد، بناء على خبرة الناقد وتجربته الذاتية في قراءة النصوص وتذوقها وتفسيرها»[2].

ومن شأن هذا النهج النقدي أن يسهم في اقتراح خطة تكون قادرة على تحقيق التعايش بين طرفين قد يبدوان متباعدين في الممارسة النقدية البلاغية. فهو من جانب يعترف بالذات الناقدة ويعطيها نصيبها الأوفر وحظها الأوفى من حق التذوق الخاص لروح العمل الإبداعي، وفي الوقت نفسه يمنح لهذه الذات الحق في أن تدعي أنها تمارس العمل النقدي وتتعاطى البلاغة من دون وجل أو تهيب. لأن «حسن الإنصات للنصوص والإصاخة لذبذباتها الرهيفة جراء الاحتكاك المباشر بها عمل يقع في صميم الاشتغال البلاغي»[3]. ومن جانب ثان، يدعو إلى ضرورة التحلي بالدقة والموضوعية والضبط في التعامل مع الإبداع والبعد عن أي مظهر من مظاهر العشوائية أو العبثية، التي قد تفتقد الرؤية المنهجية الواضحة، وتعدمها المنطلقات النظرية المحددة بدقة والمناسبة لطبيعة الظاهرة الإبداعية التي تبقى في جوهرها ظاهرة إنسانية تتأرجح بين ما هو عقلي موضوعي(العلم)، وبين ما هو شعوري روحي(الجمال).

وهي الحقيقة التي جعلت سيد البحراوي يصرح في أكثر من موضع بأن وقفاته التحليلية التي يعتمد فيها الإحصاء تارة، والجداول التوضيحية تارة، والمنحنيات والبيانات، ليست مقصودة لذاتها، وإنما لمزيد من الدقة في التحليل. يقول: «كان لجوؤنا إلى الإحصاءات التي قد تبدو للبعض منافية للتذوق الأدبي. وكان حرصنا عليها نابعا من الحرص على كامل الدقة والموضوعية في إدراك الخصائص الماثلة في النص وبالأرقام»[4]. ويضيف: «لم نترك الأرقام تسيطر على التحليل، بل كانت وسيلة.. وبعد ذلك يقوم التحليل باكتشاف وظيفة هذه الخصائص في بناء النص وفي دلالته»[5]. لذا وجدنا أن كل قضية جزئية يتتبعها الباحث إنما هي قي حقيقتها ظاهرة دالة لها بالضرورة تفسيرها وأبعادها.

(1) سعيد يقطين ، الأدب و المؤسسة و السلطة، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، 2002 ، ص 67.
(2) نفسه ص 74 .
(3) محمد أنقار ، مقدمة بلاغة النادرة لمحمد مشبال ، أفريقيا الشرق ، البيضاء ، 2006 ، ص 6 .
(4) سيد البحراوي، في البحث عن لؤلؤة المستحيل، مرجع سابق، ص 30.
(5) نفسه ، ص 30 .

فتتبع شكل القصيدة المطبوع، أو المستنسخ عن صورتها المخطوطة، أو حتى صورتها المقروءة من لدن صاحبها، يفضي بالدارس إلى ضبط عناصر خلافية تشير بوضوح إلى صراع في داخل ذات الشاعر «بين الرفض والاستسلام... صراع بين الانتماء الفعلي للشعب والوطن بيقين كامل واتخاذ ما يلزم من الإجراءات لتحقيق هذا الانتماء. ورفض باطن لهذه المسميات وعدم جدواها أو جدوى الصمود»[1]. كما أن إحصاء الأصوات وتتبع كيفية توزيعها ونسبة ورودها عبر أجزاء القصيدة، ومعاينة تداخل القوافي وتشابكها، كلها أشياء تجد تفسيرها في كونها تكشف عن «صراع بين الشاعر ونفسه حول الموقف الذي اتخذه»[2]، وعن»الأسى وعمق المعاناة»[3]. مثلما يدل النبر الذي يبين الكاتب كيفية استخدامه في جداول توضيحية دقيقة، على علاقة صراعية بين عنصري الثبات والانتهاك، وعلى حالة من الانفعال لدى الشاعر في المحور الأول من القصيدة، ثم حالة من الاستسلام والخضوع فيما بعد. ومن ثمة يغدو النبر تجسيدا فنيا لـ«قوة الطبقة المسيطرة التي قررت اتخاذ موقف هو موقف الهروب العنيف الذي أدى بالطبع إلى هزيمة الذين صمدوا»[4]. بل إن عناصر شكلية قد تبدو خارجية أو ثانوية، من قبيل الأقواس والتنصيص والعرائض وعلامات التعجب، تشير إلى أن هناك «صوتا آخر غير الصوت الذي تعبر عنه العلاقات الصوتية المباشرة، هو صوت المعلق على ما يقال. رغم أنه نابع من الشاعر ذاته، وليس صوتا آخر»[5].

والحق أن المسيرة الطويلة لاشتغال النقاد والبلاغيين بالأدب، عبر مختلف العصور، تشهد على أن النقد لا يمكنه إلا أن يكون متسما ببعض مظاهر الذاتية، إذ كانت جهودهم دائما خاضعة لمبدإ التذوق والتقييم الشخصي للعمل، ودالة على استحالة أن يكون قواعد علمية دقيقة وصارمة.

ولعله الأمر الذي يفسر لنا اعتماد نقاد السرد المعاصر في الغرب ما أصبح يعرف بـ«الرؤية الإنشائية» (Vision poétique)، التي ترى ضرورة إجلاء النظر في القيمة الجمالية للنصوص بعيدا عن تلكم النظرة التي حكمت النقد المدرسي وتهافتت على العلمية والانطباعية السلبية وأولت المضامين الأهمية الأولى في التحليل والدراسة. لذلك

(1) نفسه ، ص 93.
(2) نفسه، ص 78.
(3) نفسه، ص 83.
(4) نفسه، ص70.
(5) نفسه ، ص44 .

وجدنا أن تودوروف مثلا، يصرح أن النظر في القيمة الجمالية كان مؤجلا فقط في اجتهادات النقد المعاصر: «تبدو قضية القيمة الجمالية أكثر تعقيدا، ولكي نجيب النقاد الذين يؤاخذون التحاليل المستلهمة من مبادئ الإنشائية على عدم فهم الجمال، يمكن أن نقول لهم بكل بساطة إن هذه المسألة لا يجب أن تطرح إلا بعد وقت طويل، وأنه لا يجب أن نبدأ من النهاية، أي قبل أن نكون قد خطونا الخطوات الأولى»[1]. ومفاد كلامه أن الرحلة الطويلة التي قطعتها الإنشائية، متوسلة أساسا بالنماذج اللسانية، ومغَلِّبة الصرامة العلمية، ونازعة نحو التقنين والنمذجة، مائلة نحو التجريد والتنظير في تناول الخطاب الأدبي، لم تكن منذ البدء مقصودة لذاتها، بل كانت مجرد خطوة بدئية سوف تتلوها مستقبلا خطوات تطبيقية مغايرة، حددت لنفسها غايات منهجية أخرى لم تكن معالمها وآفاقها تتجاوز نطاقي الحدس والتخمين. لذلك كان قصد الإنشائية الأساس هو ضبط «الأدبية» بأكبر قدر ممكن من الدقة العلمية المتوهمة، قبل التفكير الواضح والمعلن في إمكانات استثمار الحقيقة «الأدبية»، القائمة في سياق كونها النصي، ضمن سياقي الجنس والنوع الأدبيين، في ارتباطهما بذات الناقد.

وكأني بسيد البحراوي يجسد الحقيقة نفسها، ويسلك الطريق نفسه الذي سلكه الإنشائيون الغربيون، في التعامل مع النص الواحد. فهو يبين أن عمليات الإحصاء والوصف والتتبع التدقيقي للأرقام ووضع الجداول والمنحنيات، وغيرها من التقنيات العلمية التي يشغلها في تحليله ليست مقصودة لذاتها، وليست الغاية المنشودة من التحليل، بقدر ما هي عمل نابع من «الحرص على كامل الدقة والموضوعية في إدراك الخصائص الماثلة في النص وبالأرقام»[2]. وذلك إدراكا منه أن العملية النقدية لا يمكنها أن تدعي لنفسها العلمية المطلقة، أو تتوقف عند الوصف الموضوعي والتتبع الدقيق لقضايا النص المطروح للتحليل. فهي محكومة، لا محالة، بتقييم الناقد وبما يصدره من أحكام ومواقف وتأويلات وتفسيرات، وما يرتبط بذلك من تذوق وإنصات للذات. فلا غرو إذن أن نجد الدارس في تحليله معجم القصيدة الدنقلية، وبعد التتبع التفصيلي والإحصائي لنسبة تشغيل الأفعال والمشتقات والأسماء الجامدة، يفسح المجال لذاته كي تفسر المعطيات المحصَّلة، فيستنتج أن هيمنة معجم الجمود تشير إلى أننا «قد اندمجنا في الواقع المعاصر تماما، وأخذنا في متابعة حركة الطوفان في إغراقه للأشياء المادية

(1) T. Todorov , Poétique , Ed. Seuil, Paris , 1968 , Coll. Points .45 ; P : 104 .

(2) سيد البحراوي، في البحث عن لؤلؤة المستحيل، مرجع سابق، ص 30 .

المكونة لحضارتنا بصفة عامة، ماضيها وحاضرها ومستقبلها»[1]. ومن ثمة فالحركية الهامة في النص ليست هي تلك الظاهرة على السطح، وإنما هي تلك «النابعة من ذات الشاعر، ورؤيته لما يراه حركة أو موتا وثباتا»[2]. ولعل هذه المساحة الذاتية التي يبقيها الباحث لنفسه، وهو يشتغل بتحليل العناصر اللغوية للقصيدة، هي التي تفسر لنا حرصه على بيان التجربة الخاصة التي يعبر عنها الشاعر. وهي تجربة نابعة من العلاقة بالواقع، ومتمثلة في «معاناته الحقيقية التي فرضتها عليه التجربة الواقعية»[3]. وتشكل هذه المعاناة الحقيقية والواقعية، بحسب الكاتب، مفتاح القراءة النسقية للقصيدة، ولشعر أمل دنقل بمجمله؛ إذ تغدو مختلف العناصر الشكلية والتركيبية والمعجمية، وتمظهرات المفارقة والمناقضة والتهكم، ومستويات التناص، وتنويعات الإيقاع المختلفة، كل ذلك يصبح مُؤوّلا ومفَسَّرا بالنظر إلى كونه ملمحا من الملامح المجسدة لعمق المعاناة لدى الشاعر، وعظيم إحساسه بالتناقضات الفكرية والفنية، والتي تفرض النظر إلى قصيدته من منظور فلسفة شعرية خاصة، يسميها الباحث «فلسفة الحالة»[4]، وتقييم بنيتها الفنية بوصفها بنية درامية[5].

والحق أنه بإمكان المتتبع للاشتغال النقدي لسيد البحراوي في الكتاب أعلاه، أن يلمس في إيمانه بحضور شخصية الناقد وبأهمية العنصر الذاتي في العملية النقدية، نوعا من التلاقي مع الناقد الفرنسي رولان بارت الذي سار في طريق إثبات الحقيقة نفسها، إذ دعا إلى ضرورة تميز النقد بنوع من المرونة الإنسانية في التعامل مع الأدب. يقول: «إنني في جميع الأحوال لصالح السيولة التاريخية للنقد. فالمجتمع يبتكر بدون توقف لغة جديدة، ويبتكر في الوقت نفسه نقدا جديدا»[6]. فلا معنى لأي انغلاق على قانون أو قاعدة صارمة في التعامل مع الأدب، بالنظر إلى أن هويته الخاصة مكتسبة من تجدده وتغيره وقيامه على مبدأي الخرق والتمرد على النمطية التي تنافي حقيقة الإبداع. ورغم هيمنة النقد العلمي الصارم في فترة زمنية معينة، لما استند إلى مبادئ المنطق والفلسفة واللسانيات وعلم النفس وغيرها من الحقول المعرفية، إلا أنها كانت مجرد مرحلة

(1) نفسه، ص 120.

(2) نفسه، ص 120.

(3) نفسه، ص 124.

(4) نفسه، ص 165.

(5) نفسه، ص 166 .

(6) رولان بارت، النقد و الحقيقة، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط 1، 1985، ص 108.

عابرة حملت معها معالم موتها وزوالها. وهو ما تنبأ به بارت في مرحلة مبكرة، إذ أعلن أن: «النقد الموجود حاليا ليس مصيره سوى الموت ذات يوم، وسيكون ذلك حسنا»[1]. ومرجع ذلك إلى أن حقيقة الأدب كامنة في انفلاته من الصرامة العلمية وتمرده على القوانين التي تشكل مساسا بجلاله وعظمته. إن الأثر الأدبي- بحسب بارت- موسوم أبدا بالانفتاح والقابلية للتعدد. وسر استمراره وخلوده في المجتمع لا يرجع «لكونه فرض معنى وحيدا على أناس مختلفين، وإنما لكونه يوحي بمعان مختلفة لإنسان وحيد» [2].

وكل مشتغل بالأدب ليس بوسعه إلا أن يكون مجسدا لبعض من مظاهر الذاتية في التعامل مع الأدب، فالقارئ هو الذات بكاملها، و»كل قراءة تصدر عن ذات، ولا تفصلها عن هذه الذات إلا وسائط نادرة ودقيقة»[3]. وهو نفسه ما يصرح به سيد البحراوي الذي يرى أن عملية التلقي بالضرورة «تختلف من قارئ لآخر»[4]، وأن القراءة الجادة «لا بد أن تعترف بهذا التعدد، وتعتبره –هو ذاته- جوهر دلالة القصيدة»[5]. ومن تجليات الذاتية في هذه القراءة، كونها بالضرورة «تعتمد على أسس ذات أبعاد فلسفية وإيديولوجية»[6]. كما أن عملية التلقي عند الناقد تتضمن حتما «قدرا من الانحياز»[7]. والحديث عن ضرورة إخضاع القراءة لمبادئ العلم والصرامة والدقة والموضوعية المطلقة، لا يعدو أن يكون طموحا غير مبرر، يظل محكوما بالمغامرة وروح الادعاء. فنحن –حسب بارت- «سنجانب الصواب بطموحنا إلى بناء علم للقراءة، أوعلم بأدلة القراءة، إلا أن نتصور أن يكون بالإمكان يوما ما–بفعل تناقض في المفاهيم–وجود علم يستنفذ ويزحزح، إلى ما لا نهاية. إن القراءة هي تحديدا، تلك الطاقة وذلك الجهد الذي سيمسك في ذلك النص، أو

(1) نفسه ، ص 108.

(2) نفسه ، ص 55.

(3) رولان بارت، الكتابة و القراءة، ترجمة عبد الرحيم حزل، مطبعة تانسيفت، مراكش، ط1، 1993، ص 93 .

(4) سيد البحراوي، في البحث عن لؤلؤة المستحيل، ص31 .

(5) نفسه، ص 32 .

(6) نفسه، ص11.

(7) نفسه، ص 28 .

ذلك الكتاب، بذلك الشيء نفسه الذي يتعذر على مقولات الشعرية استنفاذه»[1]*.

فالمطلوب إذن أن تتبنى العملية التحليلية على حس نقدي تذوقي يؤمن بضرورة الإنصات إلى الانطباع الخاص الذي يتولد للذات الناقدة من جراء الاحتكاك بالإبداع. وهذا يستوجب بالضرورة، نقدا متصلا بالنفس البشرية، ومعترفا بأسبقيتها ومحوريتها في تحري الحقيقة الأدبية المتمثلة في المتعة والإحساس بالجمال. إذ لا يمكن أن تنفصل رسالة النقد والبلاغة عن ذوق الناقد وعن إحساسه وفكره وعن انطباعاته الذاتية. كما إن مبادئ النقد لا تؤخذ جاهزة«من اللاهوت أو الفلسفة أو العلم أو أية مزاوجة بين هذه الحقول»[2]. وإلا افتقد العمل النقدي قيمته، ونعت بالافتقار إلى «طابع المعاناة الفكرية أو النفسية والخلو من حس الإبداع»[3]. ثم إنه يتحول إلى نوع من الاشتغال الجاف الذي يساهم في توسيع الهوة بين الإبداع وبين متلقيه، وخلق مسافة كبيرة بين الدرس الأدبي وبين القارئ العام.

والحق أن المرء لا يعدم صيحات تطالب بحتمية الإبقاء على المسحة الذاتية في الممارسة النقدية، وتشكك في الانصياع المطلق لأوهام العلمية، والصورنة والتنظير المنطقي لقضايا الأدب. حتى عَدّ بعضهم ذلك خطأ مفرطا: «سيكون من قبيل الخطأ المفرط، الظن أن هذه الاهتمامات العلمية تستطيع أن تحل محل الحدس والحس الأدبي. فإذا كان التحليل الأسلوبي يواجه صعوبات وهو يستسلم للانطباعات الذاتية، فإنه

(1) ر.بارت، الكتابة والقراءة ، ص 93 – 94 .

* والحق أن ما يستفاد من اجتهادات بارت النقدية تنظيرا و تطبيقا، أنها تصب في محاولته التكييف و المواءمة بين ما هو ذاتي و ما هو موضوعي ، أو بين العلم و الأدب، من أجل جعل القراءة النقدية البلاغية لا تلغي دور الناقد الإنسان و مركزيته في العملية النقدية. ويمكن تلمس ذلك في كتبه:

– درس السيميولوجيا .

Eléments de sémiologie,communication4 ,1954.–

Essais Critiques ,Coll.Tel Quel , Paris ,1964. –

Le degré zéro de l écriture , Ed.seuil , Coll.Points ,Paris , 1972 . –

وفي الاتجاه نفسه يمكن قراءة اجتهادات تزفيطان تودوروف، من خلال كتبه :

– Introduction à la symbolique , in ; Poétique , no.11 , Seuil , paris, 1979.

– Littérature et signification , Ed .Larousse , Paris , 1967 .

– Le sens des sens , in; Poétique , no.11, Seuil , paris, 1976

(2) . نورثروب فراي، تشريح النقد ، ترجمة محمد عصفور، منشورات الجامعة الأردنية ، 1991، ص 70 .

(3) شكري محمد عياد، مجلة فصول، المجلد 9 ، العددان ؛4–3 ، 1991، ص 180 .

يتعرض لنفس القدر من الصعوبات وهو يبالغ في استعمال المقولات القبلية والأرقام»[1].

لذا فقد أراد سيد البحراوي للعمل النقدي أن يتموضع بين حدي الذاتي والموضوعي، أو حدي الأدب والعلم. فالنقد الأصيل عنده يتنافى والانطباعية الساذجة المفتقرة إلى التصور الجمالي الأصيل. وهو من جانب آخر عمل يطمح إلى أن يكون نظرا موضوعيا إلى الظواهر الأدبية، محسوبا على العلم، ومنسوبا إلى إطار التناول العلمي العام للقضايا. لكن على طريقته الخاصة التي لا تُلزَم بحتمية التطابق مع صرامة ودقة العلوم الحقة. فمجال اشتغال النقد يختلف عن الحقول الأخرى، لأن المقرر في علم النقد أنه «لا يدرس نظما أو هياكل، ولكنه يدرس حركة، ويحاول استخلاص مبادئ هذه الحركة. والعمل الأدبي، من منظار النقد، ليس ذاتا، ولكنه فعل متجدد ومتغير. ولذلك فإن رؤية النقد للعمل الأدبي يجب أن ترتكز على نموذج حركة، لا نموذج جسم، عضوي أو غير عضوي، أي أنه نموذج ذهني محض»[2]. فهو محكوم بالمرونة والرجحان، ومدين بشكل رئيس لتجربة الناقد وخبرته وتمرسه في التعامل مع الإبداع ومداومته على تأمل النصوص. وهو سبيل سيقود إلى امتلاك الناقد كفاية يمكن الاطمئنان إليها في ضمان قدر لا يستهان به من الموضوعية والبعد عن المزاجية في التحليل. كما سيجعل مبادئ النقد المتوصل إليها مستلهمة من داخل الأدب في تحققه ونوعيته، بالنظر إلى أن كل تحقق نصي يشكل كيانا جماليا مستقلا بذاته، متميزا تميز بصمات أصابع الكائن البشري بعضها عن بعض. وهو ما قصد إليه شكري عياد حينما قرن بين العمل النقدي وبين تجربة الناقد الشخصية في القراءة والاحتكاك بالنصوص. يقول:

«فأنا لا أنقد إلا عملا عايشته وشعرت أني نفذت إلى باطنه. وعدتي في ذلك هي الأدوات التي استفدتُها من علم الأسلوب ومن تاريخ الأدب، وفوق ذلك من البصيرة غير المحددة بقوانين؛ الأدوات التي استفدتُها من قراءاتي في مختلف العلوم الإنسانية. وغالبا ما أشعر أثناء الكتابة عن عمل أدبي أني أكتشفه من جديد»[3]. إذ تغدو البصيرة الحية المتكونة للذات الناقدة من جراء الاحتكاك بالأدب هي ما يعول عليه في توجيه العمل البلاغي والنقدي، وسوقهما نحو التوصل إلى نتائج متسمة بقدر يعتد به من الموضوعية والأصالة العلمية.

(1) فرانسوا مورو ، المدخل لدراسة الصور البيانية ، مرجع مذكور ، ص 90 .

(2) 37 – شكري محمد عياد ، دائرة الإبداع ، مقدمة في أصول النقد،دار إلياس العصرية، القاهرة ، 1986 ، ص 86 .

(3) 38 – مجلة فصول ، المجلد 9 ، العددان 4-3 ، 1991 ، ص 180 .

وهي لعمري، الغاية التي ترمي إليها الخطة النقدية لسيد البحراوي، إذ يمكن التعويل عليها لمد جسور التواصل وإبرام التصالح المنشود بين العالم والناقد، بالنظر إلى أن الأول، كما يرى سعيد يقطين، «يسعى إلى الإمساك بالبنيات الكلية المجردة» أما الثاني ف«يتعامل مع بنيات كائنة وملموسة»[1]. ولا يمكن تأسيس مفهوم حقيقي للنقد الأدبي ما لم يتم ضبط طبيعة التواصل المنهجي المطلوب بين العلم والنقد.

إن المعايشة الطويلة للنصوص وحدها كفيلة بجعل النقد عملا إنسانيا، لا يرتهن لهاجس العلمية المفرطة، ولا تتهدده سلطة المناهج التي تحوله غالبا إلى عمل يمكن أن يوصف بـ«الكهنوتية النقدية» التي تشكل نوعا من«الإرهاب أو العنف المنهجي»[2]. هذا العنف لا يقبله الأدب القائم على الانفتاح والمتميز بعدم الاكتمال، والمتمحور حول دلالات لغوية لا نهائية، لها كيانها الخاص الذي يستعصي على أي منهج قد يدعي الحسم أو الشمولية أو الدقة المطلقة. فالأدب لا يمنح نفسه سوى لقارئ له تجربة وتمرس مثلما له كامل الإخلاص والتفاني في التعامل مع الإبداع، فهو يتطلب من صاحبه»تطهير العقل من كل الشوائب التي يمكن أن تلهي ومن كل الأوهام والصغائر، حتى يتمكن من حقيقة الفن ورمزية الطبيعة واللغة «[3].

وعلى هدي منهجية الدارس يمكن أن تتحقق استقلالية النقد وتميزه، ويمكن صوغ إطاره الفكري الخاص من دون إكراهات أو توسل لحقول معرفية أخرى. وذلك ضمن مساحة شاسعة تتحرك داخلها ذات الناقد وهي واقعة بين حد يستمد طبيعته من روح العلم وما تقتضيه من دقة وموضوعية، وحد ينغرس في تربة الذات والتذوق والثقة في ملكة يحققها تراكم القراءة والممارسة الذاتيتان، بما تفضيان إليه من امتلاك بصيرة وخبرة وكفاءة. «إن استنجاد روح العلم في الممارسة النقدية يعني قراءة النصوص حتى يصبح التمرس بتكويناتها إطارا يوجه عمل الناقد ويدعم تفسيره؛ فالخبرة المستخلصة من الارتياض من أعمال أدبية نوعية مخصوصة والإصغاء المرهف للنبضات المميزة للنص موضوع النظر، وتأمل الحياة والوجود الإنساني، تشكل جميعها عناصر ترقى بالعمل النقدي إلى نوع من

(1)سعيد يقطين ، الكلام و الخبر، مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، 1997 ، ص 180 .

(2) Jean Starobinski, Leo spitzer et la lecture stylistique,in ;Leo spitzer, Etudes de style, Ed. Gallimard, 1970 , P : 2

(3) Ibid , p: 69

المعرفة يتجاذبها العلم والفن، والموضوعية والذاتية، أو القيد والحرية»[1].

نخلص مما سبق إلى أن كتاب سيد البحراوي أعلاه يؤسس لمقاربة نقدية تتميز بقدر كبير من الأصالة، وبإمكانها أن تشكل خطة عمل يمكن للمشتغلين بالأدب أن يسيروا على هديها في عالمنا العربي. فهي رؤية نقدية تأخذ على عاتقها مهمة دراسة الأدب بموضوعية وعلمية، لكن مع الإقرار العميق بخصوصية هذا المجال، ومن ثمة الإقرار بأن الممارسة النقدية، لا يمكنها أن تدعي لنفسها العلمية المطلقة، لأنها تخوض في مجال يختلف في طبيعته عن مجال اشتغال العلم، وتبقى للذات مركزيتها وأهميتها في العملية النقدية. وفي الوقت نفسه لا يمكن لمناصري المعرفة العلمية وناشدي الموضوعية المعرفية، أن ينعتوا النتائج المتحققة جراء الاشتغال النقدي بأنها نتائج انطباعية ومحكومة مطلقا بالسمات الذاتية والعفوية الساذجة أو المزاجية السلبية. وغاية ما في الأمر أن طبيعة هذه النتائج يجب تقييمها بمراعاة سياقها الأدبي المخصوص، بوصفه سياقا مرنا متأرجحا بين حدي العلم والفن، أو القيد والحرية المشروطة؛ أي أنها «معرفة تقيم ضوابطها على مبدإ الإبداع المقيد بشروط العمل الأدبي نفسه. وعلى هذا الأساس يجمع النقد بين خصائص العلم والفن معا؛ فهو نوع من التذوق والشعور الوجداني في صياغة أسلوبية تثير الإعجاب، ونوع من المعرفة المنظمة التي تسعى إلى بلورة معاييرها والإقناع بأدواتها التفسيرية»[2]. إنها «الحرية المقيدة»[3] التي تشكل بديلا عن هوس علمية الأدب والنقد الذي يقود حتما إلى تغليب الأسئلة المنهجية وإيلائها أهمية قصوى، تفوق الأهمية الواجب أن يظفر بها البعد الجمالي المتغلغل في عمق وكيان النصوص الإبداعية .

---

(1) محمد مشبال، أسرار النقد الأدبي، مقالات في النقد و التواصل، مكتبة سلمى الثقافية، مطبعة الخليج العربي، تطوان ، ط 1، 2002، ص 24 .

(2) نفسه ، ص 25.

(3) محمد أنقار، بلاغة النص المسرحي، مطبعة الحداد يوسف إخوان ، تطوان ، ط 1، 1996 ، ص 24 .

2- التغيّر اللغويّ في مسألة التأنيثِ والتذكير: نحو إطار تعلّمي جديد

Language change in grammatical gender: A new framework for Arabic language teaching

بقلم كل من **الدكتورة زينة سعيفان**

أستاذ مساعد كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة الجامعة اللبنانيّة، ومعهد الآداب الشرقيّة- جامعة القدّيس يوسف.

zeinasfn@hotmail.com

والباحث وعد آل حسن

أستاذ تعليم اللغة العربيّة في المرحلة الثانوية وطالب في مرحلة الماستر، ومعهد الآداب الشرقيّة -جامعة القدّيس يوسف

waad.aalhasan@net.usj.eu.lb

تاريخ الاستلام: 6/5/2022 **تاريخ القبول: 24/5/2022**

ملخّص:

إنّ التحوّل بين التذكير والتأنيث فكرة تقوم على التغيّر أو التبدّل اللغوي، الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بكثرة استخدام اللغة وتداولها، فقضية التذكير والتأنيث تغيّرت على فترات زمنية طويلة، حتى عصرنا الحاضر، على حَسَبِ الاستعمال والتداول. وتتناول هذه الدّراسة مسألة التذكير والتأنيث ما بين التراث والمقاربات اللغويّة الحديثة، فتعيد عرض ما قيل في أدبيّات هذه المسألة، بمنهج تحليليّ، يردفه منهج مقارِن ما بين العائلات اللغوية، للاطّلاع على طبيعة هذه الظاهرة الموجودة في اللغات كافّة، وتحيد أوجه التشابه والاختلاف في ما بينها، وبالتالي مراجعة مسألة التذكير والتأنيث من حيث التحوّل اللغوي الحاصل بمرور الزمن وتغيّر استعمالات اللغة.

وتهدف الدراسة هذه إلى وضع تصوّر لإطار تعلّمي جديد مناسب، يدرّس مسألة التذكير والتأنيث لطلّاب اللغة العربيّة من الناطقين بها والناطقين بغيرها.

كلمات مفتاحيّة: التذكير – التأنيث– التغيّر اللغويّ / التبدّل – اللغات الساميّة – اللغات الهند أوروبيّة– تعلّميّة اللغات .

Abstract:

Shifting between masculine and feminine forms in Arabic language is based on linguistic change or variation, which is closely related to the use of language.

This paper studies the grammatical gender in Arabic language between heritage studies and modern linguistic approaches. it re-presents what has been said in the literature on this issue, with an analytical approach, accompanied by a comparative approach between language families.

The aim of this study is and to identify this phenomenon that exists in all languages, in his similarities and differences between them, to develop a new teaching and learning framework for Arabic as a native language or foreign language.

Keywords: Grammatical gender (feminine/ masculine)- Language change and variation - Semitic languages - Indo-European languages – Language teaching

المقدّمة:

اللُّغة تعبير إنسانيّ جَمْعِّي عن مفردات الكون، وهي إدراك بالحواسّ مع إعمالِ العقل، فالإنسان يُعَبِّر عمَّا يحيط به حسب مداركه وتصوّراته ومعتقداته وموروثه الدينيّ وتقاليده وأعرافه الخاصّة بذهنه وبيئته فيضعُ أسماء المفردات، ويصف علاقاتها؛ لذا نجدهُ يُدرك ثنائيّة الجنس: الذكر والأنثى، فيُصنِّفُ الأشياءَ إلى مذكّرٍ ومؤنّث.

أمّا ظاهرة التذكير والتأنيث فهي من الظواهر اللغوّية الشائكة التي عُنِيَ بها الباحثون قديمًا وحديثًا عناية تفوق عنايتهم بأيّ ظاهرة لغويّة أخرى، فقلَّما نجد لغويًّا متقدّمًا لم

يفرد لهذه المسألة كتابًا خاصًّا أو رسالة خاصّة أو بابًا في كتاب من كتبه؛ كذلك اهتمَّ كثيرٌ من الباحثين المحدثين بهذه المسألة؛ فكتبوا فيها الدراسات والبحوث العلميّة.

وعلى الرغم من أنَّ كثيرًا من لغات الأرض تتّفقُ في التصوّرات العامّة، إلّا أنَّها كثيرًا ما تختلف أيضًا في طرائقَ التعبير وأغراضه، وتشهد تباينًا في تصنيف المعنى المناسب.

وقد قُسِّم الاسم في اللّغة العربيّة من حيث الجنس إلى مذكّر ومؤنّث سواء أكان مفردًا أم مثنًى أو جمعًا، وتأثَّر بذلك الفعل – أيضًا – والخبرُ والصفةُ والحال والعدد والإضافة وغيرها. وَوُضِعَ لكلّ حالة الضمير المناسب لها، بارزًا أو مستترًا، منفصلًا أو متّصلًا، ضمير رفع أو ضمير نصب، دالًّا على ما يُعَبِّرُ عنه من تذكيرٍ أو تأنيث، وامتدَّ هذا التقسيمُ إلى أسماءِ الإشارة والأسماءِ الموصولة، وقُسِّم المؤنث إلى حقيقيٍّ وغيرِ حقيقيّ، ومقيس وغير مقيس، وذلك لوصف اللفظ اللُّغوي الذي يشمل الإنسان والحيوان وغيرهما.

لذا فمن المهمّ مراعاة مستوى المقارنة وتحديد أوجه الشبه والاختلاف بين اللغات الساميّة والأوروبيّة فيما يتعلّق بالمؤنّث والمذكّر، من خلال تسليط الضوء على جنس الاسم في اللغات الساميّة، وبعض الأمثلة من اللغات الأوروبيّة، إضافةً إلى التعريف بأصل الوارد في الكتب القديمة، والتأنيث الحقيقيّ والمجازيّ، والقياسيّ والسماعيّ، وعلامات التأنيث في الأسماء والضمائر، وغير ذلك.

وقد قمنا بمقارنةٍ بين اللغات الساميّة (العربيّة، والأكاديّة، والآراميّة، والحبشيّة، والسريانيّة، والعبريّة) من جهة، واللغات الأوروبيّة (الإنجليزيّة، والألمانيّة) من جهة أُخرى، وذلك من خلال ما قدّمه الباحثون في هذا المجال من دراسات تعالج ظاهرة التذكير والتأنيث في الضمائر والأسماء والصفات، في العائلات اللغويّة المذكورة.

أمَّا النحاة المتأخّرون فقد اهتَّموا بمفهوم المذكّر والمؤنث، وكانَت تعريفاتهم أكثر تفصيلًا وتوضيحًا وبيانًا. والمُلاحظ على كتب المذكّر والمؤنّث المتقدّمة تلك، أنَّ مناهجها – باستثناء بعضٍ منها – تخلو ممّا يُسهّل على الباحثِ الاستفادة منها في تحديدِ مفهوم المذكَّر والمؤنَّث وتعريفِهما، فكما هي قضية التذكير والتأنيث غامضةٌ وشائكة، ومفهومُهما غامضٌ، فقلَّةٌ هُم مَن قاموا بتعريف مفهوم المذكر والمؤنّث على الرغم من تحدُّثِهم بإسهاب عن أقسامهما، وتحديد مفهوم تلك الأقسام، وذِكْر أحكامهما وعلاماتهما من خلال كُتُبِهم.

ويظهر واضحًا للباحث في هذا المجال غياب المقاربة الكاملة، إذ تبقى متناثرة في كتب التراث، وهي – على الرغم من أهمّيتها– تسير على منوال واحد مفاده تتبّع الإحصاء العدديّ في نسبة الجنس، مع الاستشهاد بضروب القياس الشعريّ والقرآن والحديث، وبعضِ التعريفاتِ القواعديَّة، التي لم تقترح إطارًا منهجّيًا واضحًا بمقاربة لغويّة محددّة من شأنه وضع معايير حاسمة في مسألة الخلاف ِما بين المُذكَّر والمؤنَّث.

ولم يفتنا الاطّلاع على الكتبِ التي عُنِيَت بتجنيس التذكير والتأنيث في التراث العربيّ، مثل: مفتاح العلوم للسكاكي، وشرح المُفصّل لابن يعيش، والبُلغة للأنباري، والمذكّر والمؤنّث للفرَّاء والسجستاني وابن جنيّ. أمّا المراجع الحديثة المعتمدة، وقد نهلت ونقلت الكثيرَ من تلك المنابع القديمة، فهي : التأنيث في اللغة العربية لإبراهيم بركات، ومصطلح التذكير والتأنيث لعصام نور الدين، ودراسات لغويّة مقارنة لإسماعيل عمايرة.

وعليه، دعتنا الحاجة لمعالجة هذه الظاهرة لأهمِّيَتِها في سائرِ اللغات، التي تُعدّ من أبرز القضايا الخلافيّة درسا بين جُمهور النُّحَّاةِ، مُتَقدِّمين ومُحدثين، لا سيما جيل الواحدِ والعشرين.

فجاءت دراستنا لتعيد عرض هذه المادّة في قديم التراث وحديث البحث العلميّ، وبمراعاة العائلات اللغوّية ومقاربتها لمسألة التأنيث والتذكير، وذلك في سبيل سدّ هذه الثغرة، معتمدة المنهج التحليليِّ المقارنِ، هادفةً إلى المقارنة بين اللغات الساميَّة واللغات الأوروبيّة لطبيعة مسألة التأنيث والتذكير، بُغيةَ الوقوفِ علَى سَبرِ أصولها التاريخيَّة المستمدَّة من بيئة الأسرة السامية، ومقارنة بعض جوانب التأنيث والتذكير فيها، مع لغاتٍ أجنبيّةٍ أخرى كالهند أوربية، من أجل معرفةِ أوجُه التشابهِ والاختلاف، مفترضة الوصول إلى ملاحظات قيمة تشكّل رؤية جديدة في مجال تعليم التذكير والتأنيث في اللغة العربيّة .

وقد حاولَ هذا البحثُ الإجابةَ عن الإشكاليَّةِ بسؤاليها:

1 – ما أوجه الشبه والاختلاف بين اللغات الساميّة والأوروبية في ما يتعلّق بالمؤنّث والمذكّر؟

2 – هل يمكن الإفادةُ من المقارنة بين هذه اللغات، في عملية تدريس اللغات وربطها بالتَّدريس الفعلي في غرفة الصفّ؟

وقد تَمَّ تقسيمُ الدِّراسةِ إلى مباحث عدّة:

المبحث الأوّل يضع المسألة في إطارها التاريخي بالنسبة للغة العربية، متوسّعًا في تاريخ التذكير والتأنيث من خلال أبرز علماء اللغة العربيّة، أمّا المبحث الثاني فيحدّد مظاهر التأنيث وعلاماته المميّزة عن التذكير ووظائف تلك العلامات، كما يقوم بمعالجة مسألة ترجيح التذكير أي إعماله بالصفات جميعِها، التي تَخلو من مَقيسِ التأنيث، مع تحرّي منهجِ القُدماءِ والمُحدثين في معالجتِهم لهذه الظاهرة. ويقارن المبحث الثالث محاور التشابه والاختلافَ ما بين اللُغات الساميّةِ والهند أوربيّة، في ظاهرة التذكير والتأنيث، وصولًا إلى أثرِ التاريخ والزمن في تطوُّرِ الصفات، تذكيرًا وتأنِيثا. كما يعالج المبحث مسألة التغيّرات الطارئة بفعل الزمن وأثرها على التذكير والتأنيث.

ويطرح المبحث الرابع مسألة التذكير والتأنيث من منظور التغيّر اللغوي، بما فيه من نظرة إدراكيّة معرفيّة للفكر اللغوي الكامن وراء لغات العائلة الواحدة، والمقارن ما بين لغات العائلات المختلفة، وذلك ابتغاء الوصولِ إلى أبسطِ الطُرُقِ للتمييز بين المُذكَّر والمؤنّث بما يصلح للإطار التعليمي المراد اقتراحه في ختام البحث. ويأتي المبحث الخامس ليقترح رؤية جديدة لتعليم مسألة التذكير والتأنيث في اللغة العربيّة، بما يعين الباحث اللغويّ والمعلّم في فهم هذه الدراسة البحثيّة، وتوضيح ما أشكَلَ وتباينَ من هذه الظاهرة التي يكثُرُ فيها الخلطُ في مدلول صفات التذكير والتأنيث، ومن خلال عرض التحديات التعلّمية الناتجة عن المباحث السابقة، واقتراح إطار معاصر مع بعض التوصيات الأكثر ملاءمة لتدريس المسألة.

المبحث الأوّل: تاريخ التذكير والتأنيث في اللغة العربيّة

تنبّه العلماء منذ زمنٍ مُبكّر لمسألة التذكير والتأنيث في التراث اللغوي العربيّ، وكثرت الدراسات التي تناولَت هذه الظاهرة. وكان مبدأ التذكير والتأنيث مرتبطا بمعتقدات الشعوب القديمة، وكذلك بالأعراف والتقاليد السائدة في العشيرة والقبيلة، لذا فإنَّ الأُسُسَ التي بُنِيَ عليها هذا التقسيم يختلفُ من لغةٍ إلى أخرى، وفقًا لتصورات تلك الشعوب عبر التاريخ، كما أن الموجوداتِ والأشياءَ الكائنةَ، تختلف من بيئة إلى أخرى ، وبالتالي يختلف الإدراكُ وينعكس على اللِّسانِ الحاملِ للغة، واللغات الساميّة لم تخرج عن قاعدة حصر الأشياء بين الجنسين المذكّر والمؤنّث، وأوجه الشبه في هذه الأسرة أوسع من ذاكَ الذي يجمع بين اللغات الهندية الأوربية. «وقد أيَّدَ المحدثون اللغويِّين والنحويين

المتقدمين، في إشكالية مفهوم المذكّر والمؤنّث المجازي، لناحية صعوبةِ ضبطه وتقييده ضمن قوانينَ ومعاييرَ واضحةٍ لغياب الأدلة الملموسة التي كانت السببَ في عدم بتِّ أقوالهم فيها، للوصول إلى تفسيراتٍ قاطعة علَّهم يدركونَ أسرارَ غموضه (خليفة، 2001، ص25). لكنَّ المنطوقَ العقلي في الإنسانِ العاقلِ عمومًا، وعندما بدأ ينطق ويُسمّي الأشياء، لا يُمكِنُ أن يَضعَ مُسمَّيين اثنين لكل صفةٍ، فهو ربما أرسل لفظًا واحدًا على الإعمام، دون تمييزِ الجنس بعلامة تأنيث ونحو ذلك: صبور وجريح، ثم جاءت مرحلة أخرى من التغيّر اللُّغوي، الذي دعتْهُ الحاجة، كي يميزَ بينهما، فجاء إلى وضع مُسمَّيات وصفاتٍ لكلا الجنسين، ونحو ذلك:

(حِمار وأتان ، أسد ولبوة ، تيس وعنز، وديك ودجاجة، عُقربان وعقرب، وثُعلُبان وثعلب).... إلخ.

هذا التمييز اللفظي المختلف تمامًا بين جِذري الكلمة، نراهُ لا يسيرُ بشكلٍ مُطَّردٍ في وضع اسم لكلِّ جنس، لذا يعدِلُ من هذه القاعدةِ، إلى وضع علاماتٍ للتأنيث خاصةً التاء نحو: عاقل وعاقلة، كاتب وكاتبة، وذلك بعد أن لاحظَ أنَّ مُعجمه الصرفي قد توسّعَ بشكل لا يمكنُ حصرُه ويستصعِبُ حِفظُه، وهو باستخدامه العلاماتِ أسهل وأخفُّ على النطقِ واستحضارِ لغتِه، ولكن عبرَ حافظةِ الزمن اللغويّة، بقِيت بعضُ الأسماءِ والصفاتِ التي خصَّاها في مؤنّث الجنس باقيةً في التُراث اللّغوي عندنا. وقد أوردَ السجستاني، في مواضع كثيرة من أبواب كتابه (المذكر والمؤنث) « حُمِلَ الكلامُ بين التذكير والتأنيث على اللفظ مرةً وعلى المعنى مرةً وجاء فيه: وقال رُؤْبَةُ: ثلاثُ أَنْفُسٍ للرجالِ، على قَدرِ اللَّفْظ... وقال أكثر الناسِ: ثلاثةُ أَنْفُس، على قَدرِ الرجال، على المعنى، وذلك أكثَرَ الكلامِ» (السجستاني، 1997، ص106). وقد مَثَّلَ ابن جنّي، في حَمْل اللَّفظِ على السياق، كما جاء عند الفرس، في كتابه (الخصائص)، على حَمْلِ الكلام على المعنى والقصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه ما جاء في الحكاية المشهورة للأصمعي عن أبي عمرو، أنّه سمع أعرابياً من أهل اليمن، يقول: فلان لغوبٌ جاءته كتابي. فاحتقرها، فقال له: «أتقولُ: جاءته كتابي؟ فقال الأعرابي: نعم، أليس بصحيفة! قلتُ: فما اللغوب؟ قال: الأحمق، وجوابه يدلُّ على أنّ المعنى الّذي في ذهنه هو الصحيفة، وليس المعنى الشائع لكلمة «كتاب» (ابن جني، 1985، ص411 - 412).

ومن العلماء من قال بغياب الحدّ الواضح، أي أنّ التقسيم كان اعتباطيًّا، ويذكر

إبراهيم السامرائي أنّ المذكّر والمؤنّث من المسائل، التي تبرزُ شيئاً من التاريخ اللغوي، كأنّها مرَّت بمرحلةٍ تاريخية لم يكنْ الجنسُ فيها واضحاً تمام الوضوح بقسميهِ المذكّر والمؤنّث، ثمّ تغيّرت اللغة خلال العصور تغيّرًا حتمياً، واحتاجت شيئاً من التمييز بين المذكّر والمؤنّث. (السامرائي، 1988). وممّا يؤيّد ذلك، ما ذهب إليه عيسى الشريوفي الذي يقول: «وأمّا التصنيف المجازي إلى مذكّر ومؤنّث فهو أمر اعتباطيّ ليس يسهل تفسيره تفسيرًا مقنعًا؛ ولذلك أعرض عن الخوض فيه علماء العربيَّة القدماء. فمسألة تقسيم الأسماء بعامة على أساس الجنس، هي في الأصل مسألة مفاهيمية تتعلّق بما يستقرُّ في وعي الناطقين من تصوراتٍ اعتباطية، إزاءَ تلك المسمَّيات، ولا يُمكِنُ للتحليل اللغوي التنبؤَ بها» (الشريوفي، 2001 ، ص 16). ولكن هذا التفسير بقي قاصرًا عن شرح مسائل كثيرة مثل التاء في: (بنْت زيْت بيْت أخْت) أهي تاءُ التأنيث أم تاءُ العِوَض عن الواو؟ وكذلك في كلمات: السبت، الرغبوت وعِفريت واللاهوت والرحموت.

أمّا في شأن مسألة تقديم التذكير على التأنيث في الصفات فيقول يقولُ المُبرِّد واصفًا قاعدةً من أجل تأصيل التذكير: «وكلّ ما لا يُعرَفُ أمذكرٌ هو أم مؤنث، فحَقُّهُ أن يكون مذكرًا؛ لأنّ التأنيث لغير الحيوانات إنّما هو تأنيث بعلامة، فإذا لم تكن العلامة، فالتذكير الأصل» (المُبرِّد، 1970، ص 108). ويستدل ابن يعيش على أصليّة المذكّر بأمرين، أحدهما: قوله: « مجيئهم باسم مذكر يعم المذكر، والمؤنث وهو شيء. وثانيهما: قوله: إن المؤنث يفتقر إلى علامة، ولو كان أصلًا لم يفتقرْ إلى علامة كالنكرة لما كانَت أصلًا لم تفتقرْ إلى علامةٍ، والمعرفةُ لما كانَت فرعًا افتقرَت إلى العلامة « (ابن يَعِش، بلا ، مج 5، ص 88).

وعلى عكسِ ما جرَى فَهمُهُ وإفهامُهُ، مِن أنَّ المذكَّر أصلٌ مُستَقِل بِذاته، وهذا ما أجمعَ عليه المُتقدِمون والمُحدثون، نرى الشريوفي ينفردُ برأيٍ خاصٍ به، فقد ذَكَرَ أنَّ المؤنّثَ بعلامته الفارِقة، يصلُحُ لِأن يكونَ أصلًا للمذكَّر، رافضًا أصالة التذكير، وبِذلكَ دعوى إلى الفوضى والاضطراب من جديد. ويفترض الناظر في هذه المسألة انّ العربيّةُ حينما اشتقَّت أسماءً للتأنيث يغاير المذكَّر، نحو: آتان وعنز ولبوة، ترتَّبَ على ذلك، احتمال تضخُّم هذه المفردات تضخمًا هائلا، مما جعلها تسلك مسلكًا آخر، يميل إلى اليسر، وهو استخدام أداة للتأنيث كما في طويل وطويلة وسمين وسمينة في الصفات.

ولا شكَّ أنّ جهود القدماء كانت مفيدةً ووظيفية، أغفلت أصول المسألة الملتبسة،

وتعاملت معها تعاملًا وظيفيّا تصنيفيًّا؛ فقد استطعنا من خلالها أن نقِفَ على القواعد النّاظمة للتأنيث القياسي وصِيَغِه، والقوائم الإحصائية للمؤنّثات السماعيّة، نثرًا ونظمًا، كما فعل ابن الحاجب وابن مالك. و تناول المسألة كلّ من الفرّاء والتستري وابن جنيّ والأنباري وغيرهم، ولعلّ كتابَ البُلغةِ لأبي البركات الأنباري من أوفَى الدراسات في المؤنّث والمُذكّر.

المبحث الثاني: التأنيث، مظاهره المميّزة عن التذكير ووظائفه

يذكرُ السيوطيُّ في كتابه (الأشباه والنظائر): «أنّه كانَ الأصلُ أن يُوضَع لكل مؤنّث لفظٌ غير لفظِ المذكّر، كما قالوا: بعير وأتان وجدي وحمل ورجل وحصان، وإلى غير ذلك. لكنهم خافوا أن تكُثر عليهم الألفاظ، ويطول عليهم الأمر، فاختصروا ذلك بأن أتوا بعلامة: (كامرئ وامرأة، ومرء ومرأة) في الحقيقي، ثم إنهم تجاوزوا ذلك إلى أن جمعوا في الفرق بين اللفظ والعلامة للتوكيد، وحرصًا على البيان فقالوا: كبش ونعجة، وجمل وناقة « (ابن فارس، 1969، ص 28). أي ناقة مؤنث الجمل وفيها تاء مربوطة، فجمعوا على اللفظ، زيادة التاء، وكأنَّ السيوطي توهَّم أنَّ أصل الكلمة (ناق أو نعج، ولبو الأسد) وهذا غيرُ صحيح. ويرى ابن السراج أنّ المؤنّث الحقيقيّ يأتي على ضربين: بعلامة، وبغير علامة والعاري من العلامة، يُعرَف تأنيثه بعدة أمور، منها: الاستدلال بالإشارة إلى مسماه في القرب بـ « ذي « وفي البعد بـ» تلك «، أو بالضمير العائد الذي يساوي الاستدلال بالإشارة أو بالوصف أو بالخبر أو بالحال، أو بسقوط التاء في العدد من الثلاثة إلى العشرة، أو بظهور التاء في التصغير إذا كان المُصغر ثلاثيا. (برهومة، 2001 ، ص 55)

ولا مهربَ لنا في هذا المبحث من ذِكرِ مفهوم المؤنث الحقيقي كما جاء عند الأنباري ما كان له فرج الأنثى. يقول أبو البركات الأنباري إنّه: « ما كان له فرج الأنثى، نحو: المرأة والناقة... والمُذكّر ما خلا من علامة التأنيث لفظًا وتقديرًا ... والمؤنث ما كانت فيه علامة التأنيث لفظًا أو تقديرًا. « (الأنباري، 1961، ص 63).

وأما المؤنَّث الاصطلاحي، فهو ما دَلَّت عليهِ علامةٌ من علامات التأنيث، سواءٌ أظهرَت على الكلمة مثلَ: سميرة وسلمى وبيداء، أو ظَهَرَت في سياق الجملة نحو: فازَت دعد وأنتِ هند، أو في أحداهما دون الآخر، نحو: هذا عنترة، «فهذا» للمذكر على الحقيقة، ومعاوية وعنترة من الناحية الشكلية مؤنث كونها منتهية بتاء مربوطة، وسلمى

وصحراء منتهية بألف ، كما إنَّهم استدلّوا عل المؤنث الذي ليس فيه علامات التأنيث ، والذي يكون مُقدَّرًا، نحو: (نار ودار وقِدر)، فإنهم يُرجِعونَها إلى التصغير، وفيه تعود التاء الأصلية إليه، مثل: (هُنيدة ونُويرة وقُديرة) وطبعًا مثل هذه القاعدة كما يعلم المختصون بها، تكون في الثلاثي أي تظهر التاء المربوطة في الاسم الثلاثي، ولا تظهر في الرباعي، مثل حُوَيئض وكُعَيِّب ومُرَيضِع، حُمَيِّل.

«المؤنّث آيته علامة التأنيث لفظًا أو تقديرًا سواءٌ أكان التأنيث حقيقيا أم غيرَ ذلك. فالعلامة لفظيةٌ كما في: عالمة وصحراء وذِكرى، ومقدرَّةٌ كما في: هند وقِدْر بدليل رجوعهما في التصغير هُنيدة « . (الدماميني، 2008، ص 491). إن إجماعَ إرادةِ الناس وذائقتهم اللَّونية والشكليّة، هي من خصَّصَت كلماتٌ مثل: وعد ورغد ومريم ونور وصباح، وبدر، إلى إشمالها في دائرة التأنيث، رغم تذكير كلمة وعد في القرآن الكريم غير مرّة. {وَعدَ اللهِ لا يُخلِفُ اللهُ وعده}. (الروم، آ6).

التاء المربوطة ما بين وظيفة التأنيث والوظائف الأخرى:

لم تتخصّص التاء بالتأنيث فحسب، فلها أكثر من وظيفة ومنها:

- الدلالة على التأنيث مثل: معلّمة / مدرّبة / طبيبة
- الدلالة على المفرد مثل : دجاجة مفرد دجاج ، بطيخة مفرد بطيخ .
- الدلالة على المبالغة في الوصف : الداعية / الداهية / العلامّة/ الفهّامة
- الدلالة على النسبة مثل : السلاجقة / الغساسنة/ الفراعنة
- الدلالة على مصدر المرَّة مثل : استجابة / استغفارة
- الدلالة على المصدر الصناعيّ مثل : جمعيّة / رأسماليّة
- زائدة: زنادقة، أشاعِرة
- للعِوَض: عِدَة ووعد – زِنَة ووزن
- وقد تأتي لجمع الكثرة: خابِزة جمع خبّاز وخبّازة.

ولكن مع مرور الزمن أخذَت التاء تميل إلى التخصّص وتغليب جانب الدلالة على المؤنّث.

أمّا التاء في الكلمات : بنْت زيْت عفريْت بيْت أُخْت هنْت، فإنّ مذهب القدماء كسيبويه وابن منظور ، أن التاء هنا ليست للتأنيث، وذلك لسكونٍ ما قبلها، وقالوا هي تاء العِوَض وأصلها واو، وهذا البحث لا يتسع المقامُ له هنا، ونكتفي بالإشارة إليه بما سبق.

وإذا ما أردنا أن نقفَ على شكل تاء التأنيث، وهي التي تدخل على الأسماء المُعربة غالبًا، نحو: سعيدَة و لميعَة وسميرَة ، فيشترطُ أن يكون ما قبلها مفتوحًا، وهذه الفتحة، جِيءَ بها في الأصل، لغرضٍ صوتي، وهو التخلُّصُ من توالي السواكِن، فلو وقفنا على الكلمات المؤنّثة دون تحريك لأشكلَ على اللسان لفظها، نحو: (مؤمِنْةْ) فيلتقي ساكنان، لذا جِيء بالفتحة على ما قبل التاء المربوطة لكسر الجمود وتلافي الثِقل المُترتِّبِ على توالي الساكنين، أمّا كلمة (ابنَة) هي نسخة أحدثُ استعمالًا ، من «بِنْت» العتيقة الأثريّة الساميّة.

وأمّا في مسألة التضادّ الجنسي في الأعداد من ثلاثة إلى عشرة، فإنَّ إسقاطَ التاء عند أبي حاتم السجستاني (ت 877 م) له تحليلٌ مفيدٌ ونراه جميل، فقد عزا إسقاط التاء من العدد مع المعدود المؤنث، وإثباتها مع المُذكر إلى الخِفَّةِ والثِقَل؛ لأنَّ جمعَ المؤنث ثقيلٌ فحذفوا التاء من عدده؛ لئلا يجتمعَ ثقيلان ولَمَّا كان المعدود مذكرًا والمذكر خفيف، أخلوا في عدده التاء لتجمع خفيفٌ مع ثقيلٍ فيعتدلا. (السجستاني، بلا ، ص 362).

المبحث الثالث: مسألة التذكير والتأنيث ما بين العائلات اللغويّة

ويعالج هذا المبحث بعض مظاهر التشابه الاختلاف التي تبيّنها المقارنات ما بين لغات العائلة الساميّة في ما بينها، وما بينها وبين اللغات الهند أوروبية من جهة ثانية. وتكمن أهمية هذه المقاربة المقارِنة في قدرتها على تفسير الظاهرة المدروسة، فاللغة في فكرها الواحد، لا بدّ أن تضيء لنا على قواعدها المتشابهة ونسقها الفكري المصنّف ما بين التذكير والتأنيث، كما هو الحال في وحدة النظائر، أي الكلمات المتشابهة في لغات العائلة الواحدة.

نلاحظ أنّ اللغات الساميّة لم تخرُج عن قاعدةٍ تحصرُ فيها الأشياء في نوعين: مذكَّرٌ ومؤنَّثٌ، «وهذه القاعدة تؤكّد أن وجهَ الشبهِ بين لُغات هذهِ الأسرة، أوسعُ مِن ذلك الذي يجمعُ بين مجموعة اللغات الأوروبية».(بروكلمان، 1916، ص 402). «وهُناك من يرى أن التأنيثَ الحقيقيَّ أقوى أنواع التأنيث وآكدها، فهو تأنيثٌ لفظيٌّ ومعنوي؛ حيث اللفظ خاص بالمؤنث، والمدلولُ مؤنث « (بركات، 1988، ص 42)، أي أنّ سائر

الموجودات عُومِلَت إماّ مؤنثة وإن لم يكن لها مُذكر من جنسها، أو مذكّرة وإن لم يكن لها مؤنث من جنسها، وهكذا شاعَ التذكير المجازي والمؤنث المجازي، كالحجر والقمر، والشمس والعين، عداكَ عن أصواتِ الحيْوان وصفات الأشياء التي تُذَكَّرُ وتُأنَّث على غير دليل فيها، وبعضها على السماع.

من القواعد المقرّرة والأكثر اطّرادًا، أنّ الاسم يُقسمُ من حيث الجنس إلى مذكّر ومؤنّث، وهي قاعدةٌ مُقرّرةٌ في الأسرة الساميّة بشكلٍ بارز، وحتى القسم الثالث «الخنثى» تعاملَت معه دون أن تخُصُّهُ بمعاملة مميزة، واللغة العربية ألحقَت به الألف المقصورة، وغَلَّبَتهُ على التأنيث، وهكذا نجدُ أنّ هذا القِسم الثالثَ الذي تفرَّد في الطبيعة والمعنى، لم يتميز في الناحية اللُّغويّة بشكلٍ مستقِل.

أمّا العربيّة فقد عاملَت الجمع غير العاقل والعاقل (جمع التكسير) كمفرد مؤنّث نحو: «رجال وكِلاب وقناديل»، وجمع التكسير هو خِلاف الجمع السالم، نقول مثلا: هذه جبال، هذه رجال، وربما يعود ذلك لخيال اللغة العربية السَّاميَّة الواسع جدا، حتى إنها جسّدَت جميع المُدركات كأنَّها مخلوقٌ حي فيه روح، والشاعر الجاهلي كان يُحاكي الجبلَ والديارَ والأنهار والسيف والجمال والغدير والحجر. وقد تُعامِلُ اللفظ الواحد كالطريق والسبيل، معاملةَ المذكر أحيانا، والمؤنث أحيانًا أخرى، ولكن دون الخروج عن قاعدة المذكّر والمؤنّث.

«أمّا الألمانية، فتأخذ بالمُحايد وأداته das, والمذكر أداته der, والمؤنث أداته die، وهي لا تقتصر على السوابق، بل هناك لواحق للمحايد es ولكن مع تطوّر الزمن نلاحظ تراجع اللفظ المُحايد، ويقتصر على علامته، وهذا ما أشرنا إليه سابقًا.

أمّا اللغة الإنكليزية فهي تستخدم إما المذكّر العاقل، أو المؤنّث العاقل ، أو غير عاقلة، بغضّ النظر عن جِنسها في الطبيعة، وألغَت الفروقَ الشكلية بين المذكّر والمؤنّث، واقتصرَت الميزَ بينهما على الضمائر السوابق he, she, it » (عمايرة،1993، ص 19).

« أمّا الفارسيَّة فهي تتركُ السياقَ للتمييزِ بين المذكر والمؤنث، ولا تستخدم الضمائر والصفات للتمييزِ بينهما أي ضمير واحد مشترك للمذكّر والمؤنّث، وصفة واحدة للمذكّر والمؤنّث » (عمايرة، 1993، ص 21).

وهكذا مرَّت اللغات الساميَّة بمراحلَ مُتعددة وقد احتفظَت مِن كل مرحلة ببعض الآثار الدَّالة عليها، وقد كانت اللغات السامية وخاصةً العربية، حاسمةً حين بسَّطَت الأمر وحصرتهُ في نوعين فحسب، وهذا ما نجِدُهُ في صيغ الأفعال والأسماء والصفات والضمائر، ولم تضَعْ لِغير العاقل أداة خاصة به ، وأهملَت المُحايد.

ويكشف البحث في أصل التذكير والتأنيث لغويًّا أنّ كثيرًا من الكلمات في اللغات الساميّة والهند أوربيّة، لم تتبع التفريقَ بين الجنسين من خلال علامات مقيس التأنيث الآنفة الذكر، أي أنَّ الاختلافَ بين المذكَّر والمؤنَث الحقيقيين لم يتمْ عن طريق إعمال العلامة الفارقة، مثل: (قوي وقوية)، بل تمَّ عن طريق إعمال لفظ مغاير وإنشائه ، مثل أب وأم ، بنت وولد ، ولننظر إلى اللغات السامية في بعض الألفاظ المشتركة، وهي:

« **العربيّة الفُصحى: أُم الآكادية: أوما العِبريّة: إم الآراميّة: إيما العربيّة الحبشيّة: إِم**

ولنُقارِن ذلك ببعض الكلمات المُشتركة مع اللغات الهندية الأوربيّة، وهي:

«**الألمانيّة: مودير الإنكليزيّة: ماذر الفارسية: مادَر العربيّة أُم** (عمايرة، 1993، ص 27 –28).

هي بالتالي كالساميّة لا تعتمد على العلامة في التفريق بين المذكّر والمؤنّث الحقيقِيّين، وقد ظلَّ كثير مِن الأسماء المتمكِّنة الحقيقية التذكير شائعًا ومتميِّزًا بمادّته اللفظيّة عن المؤنّث، ولابدَّ أن نُنَوِّه على أنّ شيوع المذكّر راجع بأسباب الخِفَّة والسهولة وهو أصلٌ بذاتِه، لأنَّه لا يحتاج إلى علامة، ولا مهرب لنا من ذكرِ الاسم المُتمكّن بذاته، والاسم غير المتمكّن، بالآتي:

- **الاسم المتمكّن وهو** مصطلح يُطلِقُه النُّحاة على الاسم المعرب، ويعنونَ بذلك أنّه أصيل في الاسميّة وهو نوعان:

✓ **متمكّن أمْكَن:** وهو الاسم المُعرب الذي يقبل التنوين (الاسم المنصرف) مثل: زيد وكاتب وحسن.

✓ **متمكّن غير أمْكَن:** وهو الاسمُ المُعرب الذي لا يقبلُ التنوين (الاسم غير المنصرف) مثل: فاطمة وأحمد وخضراء وسلمى ... وكلّ اسم منتهي بألفٍ ونونٍ مثل (عدنان سلمان وقحطان) وكلّ اسم جاء على وزن الفعل مثل (أحمد ويزيد) فهو ممنوع من

الصرف، وكذلك الأسماء الأعجميّة، كبغدادَ وبيروتَ؛

- **الاسم غير المتمكّن** :أما الاسم غير المتمكّن فيطلقه النحاة على الاسم المبني الذي يرون أنه غير أصيل في الاسمية لشبهه بالحروف وعدم قبوله علامات الإعراب، ويشمل كل الأسماء المبنية مثل الضمائر (أنت، أنت، هو...)، والأسماء الموصولة (الذي، التي...) وأسماء الإشارة (هذا، هذه...).

ويتّفق هذا الفَهم مع نظر النحويّين العرب على أنّ المذكّر يوصف بالأوليّة والأصالة، فهذا سيبويه يقول: «التذكير قبل وأشدُّ تمكنًا ... وأنّ الأشياء كلها أصلها التذكير، ثمّ تختص بعد، فكلّ مؤنّث شيء، والشيء مُذكَّر؛ فالتذكير أول» (سيبويه، 1985 ، ص 241).

وإذا أردنا الحديث عن التذكير والتأنيث المجازيَين، فمن الراجح أن حَملَها كان منوطًا بجملة الاعتقادات والمؤثّرات والتصوّرات التي شاكلَت البيئة اللغويّة وقتذاك، فما اقترب في صفتهِ وشكله أو قرينة تربطه، باللين والاستتار والضعف واللّطف والحياء والغرابة، جعلوه مؤنثًا ، وما كان فيه قرينةُ خُشونة وعلو وقوة وشِدّة وبروز واتّساع وشمول، عاملوهُ كمذكّر حقيقيّ.

«أمّا الأُنثى: خلافُ الذكر من كلّ شيء، والجمع إناثٌ. وأُنُثٌ: جمع إناث. والمؤنَّث: ذَكَر في خَلْقِ أُنْثى. ويُقالُ للرجلِ: أَنَّثْتَ تأْنيثاً، أي لِنْتَ له، ولم تَتَشَدد والتأْنِيثُ خلافُ التذكير. وآنَثَتِ المرأةُ، ولَدَتْ الإناثَ. وبَلَدٌ أَنيثٌ: ليِّن سهل؛ حكاه «ابن الأعرابي». ومكان أنِيثٌ: إذا أسرع نباتُه وكَثُر.

وزعمَ ابن الأَعرابي «أنَّ المرأَة إنما سُمِّيَت أنثى، من البلد الأنيث، قال: لأَنّ المرأة أَلْين من الرجل، وسُمِّيت أُنثى للينها. (ابن منظور ، 1997، مادة: أن ث).

أمّا مسألة تعميم الصفة على المذكر والمؤنث ما بين اللغات، فالصفات حين تكون خبرًا في كثير من اللغات تظل في حالةِ التذكير، ولنأخذ مثالًا توضيحيًا كي نفهمَ المُراد .

- بالإنكليزيّة: **the woman is good.**
- وبالألمانيّة: **Die frau ist gut**
- بالفارسيّة: **زن خوب است.** (عمايرة، 1993، ص 35).

نلاحظ أنّ الصفات (**خوب** ، **good** ، **gut**) بمعنى المرء جَيّدة، بقيَت بصيغة المذكَّر ولم تتبعْها علامة التأنيث، ومنهُ نستنتج أنّ التذكير بالصفات ينطلي على لُغات العالم، ونلاحظ أنَّ اللُّغة الإنكليزية تستعملُ ضميرًا واحدًا في خطاب المذكّر والمؤنّث وهو(**you**) ومثال ذلك:

Are you honest in what you say ؟ هل أنتَ /أنتِ صادق/ة فيما تقول/ين؟ فتكون الترجمة واحدة لا تختلف في مخاطبة الجنسين. أمّا العربية فقد تجاوزت مرحلة الإعمام على الجنسين إلى التخصيص لكلِّ جنسٍ، وهذا ما يكون أليق في مُخاطبة الآخر، ومنذ زمنٍ بعيد، لم يبقَ من آثار التعميم سوى آثار قديميّة، مثل حامل وصبور وجريح.... فالتذكير في اللغة حسب فهم العربيّ مأخوذ من الشدة والصلابة والمتانة والقوة، وإِنَّ من سمات التذكير التعظيم، كما هو الحال عند القبائل العربيّة القديمة، أمّا التأنيث فمأخوذ من اللين والسهولة والإنتاج والإنبات والخصوبة. «والتّذكير خلاف التأنيث، والذَّكَر خلافُ الأُنثى، والجمع: ذُكُور وذُكُورةٌ وذُكْران. وناقةٌ مذَكَّرةٌ: مُشبِّهةٌ بالجملِ في الخَلْقِ والخُلُقِ. ويوم مُذكَّر: إذا وُصِفَ بالشَدَّةِ والصعوبة وكثرة القتل. وطريق مُذَكَّر: مَخوفٌ وصَعْبٌ وامرأَة مُذْكِر: ولِدَت ذَكَرًا. وذَكَرٌ: إذا كان قويًّا شجاعاً أنِفاً ومَطَرٌ ذَكَر :شَديد وابِلٌ. وقَولٌ ذَكَر: صُلْبٌ متين وذُكور العُشبِ: ما غَلُظَ وخَشُن من النبات (ابن منظور،١٩٩٧، مادة: ذ ك ر).

المبحث الرابع: مسألة التذكير والتأنيث من منظور التغيّر اللغوي

تعرّضت قضية التذكير والتأنيث في تحوّلاتها التعاقبية للتغيّر اللغويّ المرتبط بالاستعمال، «فآثرَت بعضُ الألفاظ الاندثارَ، وأصبحَت أثريَّة، لقلّةِ استعمالها بين العرب، وساد بعضُها الآخر وانتشر وآثر البقاء، لكثرةِ استعماله». (خليفة، 2011، ص 59)، نتج عن ذلك خلل معياري من حيث التحوّل بين التذكير والتأنيث، وهو أمر جدير بالنظر والتفحّص، من أجل تحديد سمات التحوّل، وبما يعين عمليّة تعليم اللغة العربيّة من حيث التذكير والتأنيث.

واللغة في قديمها السحيق لم تكن تميِّزُ بين الجنسين، وذلك مثل جريح وعاقر ومُرضِع ومُطفِل وحامل ... وعلامات التأنيث جاءت في مرحلة أخرى من التغيّر اللغوي، ومن المعروف أنَّ علامات التأنيث في الصفات أكثر منها في الأسماء الخالصة، مثل: (عين ونفس وفرس وأتان) / (كاتبة ووزيرة وأستاذة) والغالب على العربية هي التاء لفصل

التذكير عن التأنيث ، وبذلك يغلب على اللغات السامية استعمال صِيَغِ المذكرِ أكثرَ من المؤنث، وكانت الغلبة لصيغة التذكير في الأسماء والصفات عمومًا، فالتأنيث فرع من المذكر الأصل، كما قال ابن يعيش، ولذا احتاج المؤنث إلى علامة. ولَمَّا كانت أذواق الناس ومشاربهم مُتفاوتَةً على غير قياس، مثل التقاليد والعادات والأذواق، رأينا أنَّ اللُّغات تتباين بالاختلاف بين الأمم، فما هو مذكر عند العرب، يكون مؤنّثًا عند الألمان، مثل : «شمس» مذكّر في اللغة الألمانيّة والقمر مؤنّث عندها، ونرى ألفاظًا يجوز فيها بناءُ التذكير والتأنيث ضمن اللغةِ الواحدة ، ومِن أمثلة ذلك: الطريق ، العين، الإبهام، السبيل، وإن غلب عليها التأنيث في الاستعمال الجاري الحديث غير المُطَّرِد، وهذا ليس بالطبعَ حِكرًا على الطبقة الساميَّة، بل نجِده في غيرها من اللغات كذلك وفي هذا الإطار نستشهد بقول الفرّاء: «إنَّ الصَّاعَ يؤنِّثه أهلُ الحجاز وبني أسد، وأهل نَجْد يذكِّرونه، وربّما أنّثه بعض أسد» (الفراء،1975، ص 7). فالصاع وهو كيل عند أهل المدينة، قد تغيّر من التأنيث في الحجاز إلى التذكير في قبائل نجد وأسد، ولكن يظهر أنّ التغيّر لم يكنْ شاملاً في تلك القبائل، أو لم يأخذ دورته كاملةً بعد.

ويأتي جواز التذكير والتأنيث في بعض الألفاظ في اللُّغة الواحدة عن اختلاف القبائل الناطقةِ بهذه اللغة في اصطلاحها على الأشياء، ومع الزمن اختلط على الناس التذكير والتأنيث في هذه الألفاظ، فجاز فيها الوجهان، كاختلافنا نحن أبناء القرن الواحد والعشرين في جنس الألفاظ المُعرَّبة عن اللغة الأجنبيّة مثل : الكهرباء والسينما والتلفنون.. ولكن لربّما كانَت عادةُ تأنيث المدن هو الغالبُ على مذاهب اللغات كافة، ونرى انسحاب التأنيث على كل دخيل أو مُعرَّب هو الغالب عليه، من غير تخصُّصِه بصفةٍ أو قرينةِ تأنيثٍ ظاهرة، ونلاحظ أنّ الأسرة الساميّة عاملَت أعضاء الإنسان المزدوجة على التأنيث، العين والأذن واليد وكذلك المُتعدد كالأسنان والأصابع.

في هذا الإطار ، تطرح مسألة التذكير والتأنيث مشكلة لدى متعلّم اللغة العربية، فبالنظر إلى ما سَبَقَ بيانهُ، فإنّ مُتكلِّمَ اللُّغةِ العربية، قد لا يُحسِن تذكير اسم أو تأنيثه، بل قد يضطرب في ذلك، موقف أبناءِ العربيّة أنفُسِهم، لأنّه أشكَلَ عليه مجاز المؤنَّث والمذكّر، كشمس وقمر وساق وريح ، وغيره . ونجد بعض الاضطراب في استعمال تاء التأنيث الداخلة على الأسماء، فقد أُدخِلَت التاء في مرحلة لاحقة بعد التغيّر اللغويّ على الأسماء المؤنّثة، والتي وضِعَت أصلًا لتمييزها عن المذكّر، مثل: (بقرة ولبوة

ونعجة) ولكن هذا الأمر لا يسير بشكل مُطَّرد، وقد قِيل: (فرسة وعنزة وأتانة) أي عُمِّمَت التاء لتطالَ الأسماء العتيقة، وكذلك الصفات القديمة، وقد قِيلَ:(عاقِرة وكاعِبة وجريحة وصبورة ومُرضِعة) والأكثر غرابة هو إدخال التاء على الأسماء المذكرة من أجل تأنيثها، وقد قِيل: (حمارة وأسدة وكبشة، وعجوزة وعروسة) ، وقد تنبَّه ابن هشام والأنباري إلى هذه الظاهرة حين عدَّ التاء الداخلة لتأكيد التأنيث وإزالة الشكّ عند السامع.

ويمكن مقاربة مسألة التذكير والتأنيث في اللغة العربية، بمنظور لُغوي تطوري ممتد عبر أزمانٍ وأحداثٍ مُتنوِّعة الأمزجة والاختلاطات الجيوغرافية، ومن خلال آليّات التغيّر اللغويّ.

أمّا أبرز مشكلاتِ التغيّر اللغويِّ في ظاهرة المُذكّر والمؤنّث، أنَّ جذورها وتشكّلاتها الأوليَّة تعودُ إلى عهود موغلة في القِدم مما يُصعِّب مهمة رصدها في دراسات إحصائيّة دقيقة، وبيان اتّجاه التحوّل فيها، وتفسير ما تنطوي عليه من عدم استقرار في ألفاظها، مع العلم بوجود أدلَّة واضحةٍ، بوجود التغيّر اللغوي في مسألةِ الجنسِ : «إن تحديد مفهوم المذكّر والمؤنّث المجازيّين لم يكنْ واضحًا، ولا مُميِّزَ له، ولا ضابطَ ينظمُه؛ لأنّه لا يدلُّ على ذاتٍ حقيقيةٍ أو محسوسة، ثم أُلحِقَ بالمجاز المؤنث، أي موقوفٌ على الاصطلاح، وقد أشكلَ على اللغويين والنحويين؛ فأفردوا له الرسائل، رغبةً في ضبطه وتقييده حتى يَظُنُّ الباحثُ أنَّ مسالةَ التذكير والتأنيث قد خُصِّصَت للمجازي، فالمؤنث الحقيقي معلومٌ من اللغة « (برهومة، 2001، ص 56). ومن هذه الأدلَّةِ أنَّ العربَ في البدء لم يكونوا يميِّزون بين المذكر والمؤنَّث بالألفاظ، أو العلامات، بل وضعوا مفردةً واحدةً لكلا الجنسين (المذكّر والمؤنّث)، فقالوا: «إنسان» للمذكر والمؤنث، و (زوج) للمذكر والمؤنث، و(عقرب) للمذكر والمؤنث، إلى غيرها من المفردات، وبعد أن تطوَّرت معرفة مستعملي اللُّغة، وازدادَت معرفتهم بما حولهم، وبتعقيدات الحياة عليهم لاتساعها، صاروا يفرِّقون بين المذكر والمؤنث في اللغة، بلفظة للمذكّر مخالفة للمؤنّث، فقالوا: رجل مقابل امرأة، وجارية مقابل غلام، وجمل مقابل ناقة، ولكن خافوا أن يَكثُرَ عليهم اللفظُ فاختصروا، ثم اهتدوا إلى علامةِ التأنيث، لتبسيط اللُّغة.

وقد أورد الشريوفي تأويلات محتملة لفكرة الأصلية، وناقش هذه التأويلات وإمكانية أخذها أو ردِّها، وكان التفسير الأوّل: هو أسبقية الوجود المادي للمذكر بحيث تكون كل عينة من عينات التأنيث مبنية على أصلٍ مُذكَّر. والتأويل الثاني ينظرُ إلى أصلية

المذكر في إطار بداية الخلق وما يرتبط بذلك من معتقدات (الشريوفي ، 2001، ص 41– 48). ونسبت رشيدة عبد الحميد اللقاني القول بأصالة المذكر وفرعية المؤنث، إلى النحويين العرب، لا إلى اللغة العربيَّةِ نفسِها، وإنّهم تأثَّروا في مقولتهم بالأحكام الشرعيّة. (اللقاني،1990، ص 39– 40).

ونستشهد هنا بالتطور الدلالي لبعض الألفاظ، التي تحوّلت إلى مصطلحات بسبب اكتسابها مفهوما جديدًا، فمصطلح (فاعل) هو مرادف كلمة مجرم في (القانون) وهو مرادف للعامل في مجال الزراعة، وكذلك العمل الحِرَفي، وهو في اللُّغةُ غير هذا وذاك، وكذلك كلمة (الشارع) أهو المُشرِّعُ الحَكيم، أم الطريقُ؟

ولعلّ المسألة تطوّرت في ما بعد، وخاصةً على مستوى الصرف، وتبدو تلك التغيّرات جليّة في كتب الصِرْفة، التي قالت بجوازِ التذكير والتأنيث في المؤنثات المجازية بعامة، بما يفسّر انحياز الأذواق في وقتٍ من الأوقات إلى استخدامات معينة، ونفورها من أخرى، وانصرافها عن الصورة التي وردت عليها في المراحل السابقة، (الشريوفي،2001، ص 22–21). إنّ ذلك إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على تحولاتٍ مفاهيميّة، وتحوّلات صوتية، تفسّر عبر التاريخ أسباب التحول ما بين صيغ التأنيث والتذكير، وكيفية توظيفها في الاستعمال اللغوي. ويقوم هذا التحوّل كما أشرنا على التغيّر اللغوي الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بكثرة استخدام اللغة وتداولها أو قِلّتِهِ، فقضية التذكير والتأنيث تغيّرت على فترات زمنية طويلة، حتّى عصرنا الحاضر، على حَسْبِ الاستعمال والتداول، فآثرت بعض الألفاظ الاندثار، وأصبحت أثرية، لِقِلَّة استعمالها بين العرب، وسادَ بعضُها الآخر وانتشر وآثر البقاء، لكثرة استعماله.

المبحث الخامس: نحو رؤية جديدة لتعليم مسألة التذكير والتأنيث في اللغة العربيّة

5– أ– تحدّيات تعلميّة معاصرة لمسألة التذكير والتأنيث:

على مستوى تعلّمية اللغة العربيّة، فإنّ دراسة هذه الظاهرة حديثًا، يسوّغها مسعى البحث عن أدوات ميسرة، لتعليم الظاهرة ومعيرتها وحوسبتها، فالأدوات القديمة لم تَحْسِمْ البتَّ في ما اختلف القدماء فيه، فكيف بنا نحن أبناء القرن الواحد والعشرين؟

وفي هذه الدراسة التأصيلية، سنحاولُ تقديمَ الحلِّ لتساؤلاتٍ عديدة لدى معلّمي ومتعلّمي اللغة العربيّة:

- فما وظيفةُ علامة التأنيث؟

- وإذا كانت للتمييزِ بين المُذكّر والمؤنث، فلماذا احتاجت اللغات الساميّة –ومنها العربية– إلى التمييز ِبغير هذه العلامات؟ فقالوا: (ناقة وجمل – وامرأة ورجل – وحمار وأتان وبنت وولد – وأسد ولبوة). ولم يقولوا: (رَجُلَة وتيسة وجَمَلة وأسدة ووَلَدَة)

- ولماذا لم يضعوا علامةَ التأنيث في: (كاعب وناهد وصبور وعاقر وحامل) ؟

- ولماذا عُومِلَت بعضُ الكلمات مُعاملةَ المؤنّث في كثير من اللغات الساميَّة مثل: نفس وسماء وأرض وبئر وإبهام وعين على الرغم من غياب صفات التأنيث فيها؟

- ولماذا تعدّدَت علامات التأنيث، ولم تكن واحدة؟ فهناك الألف المقصور والممدودة والتاء المربوطة وبعض الأوزان؟

- ولماذا جاء التأنيث في : (أرنب وضبع) وكان من حقها التذكير؟

- وهل نجدُ مثل هذا الانزياح عن الأصل في اللغات الساميّة الأخرى، كالآشورية والكلدانية والحبشية والعبرية، والآرامية والسريانية، ونُذكِّرُ أن اللغةَ العربية ، قُدِّر لها الازدهارَ والنماء لذِيوع على سائر اللغات الساميّة.

- وإذا ما كانت اللّغة العربيّة تُجوِّز إعداد التثنية جمعًا، كما ورد عند الخليل وسيبويه، فلماذا لا نستعملُ هذه الإمكانية في استخدامنا المُعاصر، وإذا كانت اللغة العربية تجيزُ لأبناء القرن الواحد والعشرين الاقتداء بالجواز القديم، تأنيث كلمة غير متصلةٍ بمميز التأنيث أو التذكير، فلماذا لا نستغلُّ هذه الإمكانيّة، ونُفَهِّمَ طُلّابنا، ونُلقّنَ الحاسوبَ أنَّ كلَّ كلمةٍ لا تتصلُ بمميز التأنيث، يُمكِنُ معاملتُها معاملةَ المُذكّر لُغَويًّا، وذلك حرصًا منا على عدمِ شيوعِ الفوضى والاضطراب والخلط.

وفي سبيل رؤية تعليمية واضحة في هذا المجال، يكون الحكم الفاصل بين المذكّر والمؤنّث هو مُميِّز التأنيثِ القياسيِّ، أي واحد من السمات الآتية: التاء المربوطة، الألفُ المقصورة، الألفُ الممدودة، وجمع التكسير. دون النظر إلى خصائصها بالأنثى أو الذكر.

وتُبرمج الحواسيب كما تُبنى طرائق التعليم على هذه القاعدة الأساسيّة، فنقول:

- كلُّ كلمةٍ دَخلَها مُميِّزُ أو مَقِيس التأنيثِ، هي مؤنَّثةٌ لُغَويًّا.

- وكلُّ كلمةٍ لم يدخُلْها مميّزُ التأنيثِ، فهي عَلى التذكيرِ أوجبٌ.

أمّا الأسماء (وعد وصباح ونور ونُهاد- وبراء وإحسان وورد... إلخ) فتبقى على اصطلاح ما تعاهدَ عليه الناسُ.

وفي جميع الصفات، نُعمِلُ التاءَ المربوطة، للتمييزِ بين التذكير والتأنيث، مثل: (وزيرة وقاضية وجريحة ونائبة وعُضوة ومِعطارَة وتقِيَّة... الخ)، ويَتِمُّ التمييز إن شاكَلَ معنًى آخرَ سيئ، من خلال إفراد السياق.

وأمّا ما أُعمِل فيه التأنيث سماعًا (كمستشفى وطريق وإبهام وعين وسبيل و يد) ، فيُحفظ ولا يُقاس عليه.

وتُحفَظ بالتقعيد، الصفات التي لا تدخُلُها التاء، لطالما كانَت تختصّ بشمائلِ الأنثى، ولا حظَّ فيه للمُذكّر . مثل: (حائض وكاعب ونهاد وحامل ومُرضِع.... إلخ).

5-ب- الإطار المقترح

لقد ذكرنا آنفًا أن هذه الدراسة تركزت حول دراسة ظاهرة التذكير التأنيث في اللغات السامية واللغات الأوروبية وكيفيَّةِ الاستفادة منها في التدريس. وبالنظر لأهميَّةِ المذكّر والمؤنّث عند أبناء العربيّة عُنينا بتطوير أسالِيب تدريسها ذلك من أجل تليينِ وتبسيط اللغة للعربي ولغيره لأن في تطوير اللغةِ مجاراة لمبدأ التغيّر اللغويّ لكونه مسألة حيوية استعمالية تعكس واقع اللغة المعاصرة.

لذا كان من المفروضِ أن نسترعي مثل هذه المسائل، في ما اُصطُلِحَ عليهِ، في كلِّ فنٍّ من هذهِ الفنون، وإلّا غابت النسقيّة التي تسهم في عمليّة التعلّم.

فمن صعوبات التعلّم في هذا الإطار لدى طلاب القرن الواحد والعشرين، عدم استيعاب الفرق بين المدلولِ الاصطلاحي لبعض ألفاظ التأنيث بالنظر إلى الصيغ الصرفية ،أو بالنظر إلى الدلالات المعجميّة، لذا من الواجب، أن نُميِّزَ بين مدلول المؤنث من الناحية الاصطلاحية القديمة، والمفهوم المُعجمي التشريحي وفقًا لِما يتطلّبه علم اللغة الحديث، فكلمتا (أذن وإصبع) مؤنثة بإجماع القدماء، رغم خُلوِّها على ماهياتِ التأنيث، غيرَ أنّهم عدّوا كلَّ ما أُخِذَ مِن زوجٍ أو مِن مُتعددٍ فهو على التأنيث أليق.

بهذا المعنى، يشكّل الاختلاف ما بين المذكّر والمؤنّث، تحديًا على مستوى الاصطلاح والمفهوم، وعلى مستوى الدلالة والبنية. ويأتي لحلّ هذه المشكلة دور السياق الحاسم، الذي يعرض على الطالب مؤشّرات إحاليّة دالّة تحسم لديه طبيعة الجنس.

ومن شأن ذلك أن يساعد في ضبط قواعد هذا الباب، لتجري على قياس مطَّرِد، فلا تظلّ على ما وصفها به ابن التستري بقوله «ليس يجري أمرُ المذكر والمؤنث على قياسٍ مطرد، ولا باب يحصرهما كما يدعي بعضُ الناس... ووصفوا أنَّ المذكّر: هو الذي ليس فيه شيء من علامات التأنيث، مثل: زيد وسعد، ويوجد على هذه الصورة كثير من المؤنث مثل: هند ودعد (ابن التستري، 1983، ص 47).

5-ت- التوصيات:

اعتمادًا على هذه الدراسة ونتائِجها نُوصِي بما يأتي:

1 - إجراء دراسة مشابهة، للمقارنة بين التذكير والتأنيث في الأفعال في اللغات الساميّة والأوروبيّة، بما يخدم تعلّمية العربية لدى الناطقين بغيرها؛

2 - إجراء دراسة مشابهة، للمقارنة بين التذكير والتأنيث في أسماء الإشارة، والأسماء الموصولة في اللغات السامية والأوروبية؛ بما يخدم تعلّمية العربية لدى الناطقين بغيرها؛

3 - القيام بدراسة أدوات التأنيث والتذكير في اللغات الساميّة والأوروبيّة، والمقارنة بينهما؛ ، بما يخدم تعلّمية العربية لدى الناطقين بغيرها؛

4 - إجراء دراسات متعدّدة للمقارنة بين لغتين فقط، في أحد الجوانب السابقة، سواءٌ أَكانَت من العائلة اللغويّةِ نفسِها أو مِن عائلتين مختلفتين، كأن ندرسَ ظاهرةَ تأنيث الأفعال في اللغتين العربيَّة والإنجليزيَّة أو في اللغتين الفرنسيّة والألمانيّة.

5 - تطوير طرائق تعليميّة ملائمة لطرائق التأنيث التي أحصاها بحثنا في اللغة العربيّة، وقد وصلت إلى خمس عشرة طريقة، واختزال ما أثبت التغيّر الزمني اندثاره، وذلك انطلاقًا من مقاربة تعلّمية تركّز على اللغة في إطارها الحيّ الاستعمالي.

6 - الاعتماد على السياق والمؤشرات التي تحيل إلى الجنس أثناء تعليم هذا المبحث اللغوي؛

7 – تدريس القاعدة المثالية في مقيس التأنيث مِن خلال وضع العلامات الفارقة الظاهرة، وإرجاءِ غيرِ المقيس، خاصةً لغير الناطقين بالعربية، أي تعليم الحالات المنتظمة **(Regular)** ابتداءً، ومن ثم الحالات غير المنتظمة **(Irregular)** وذلك بما يتعلّق بالمذكر والمؤنث،

الخاتمة:

لقد قارينا ظاهرة التذكير والتأنيث في اللغة العربيّة بمنهج تحليلي مقارن، فدرسناها عند أهل التراث كما وردت آراؤهم المتزامنة فيه، ثمّ أوردنا – وبشكل تعاقبيّ– تطوّر النظرة إلى هذه المسألة لدى المحدثين، وقمنا في ذلك كلّه بمراعاة طبيعة المسألة من حيث الفكر اللغوي السائد في عائلة لغوية واحدة، مقارنين تلك العائلة بسواها من العائلات، ووقفنا بفضل هذا المنهج على خلاصات مفيدة على مستوى تعلّمية اللغة العربية في المعاصرة.

وقد خَلُصَت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1 – تتمتّع اللغة العربية بخصائص فريدة من بين اللغات السامية والأوروبية على حد سواء

2 – إنَّ ذيوع لفظة مؤنّثة أو مُذكَّرة مجازيًا وشيوعها لا يعني بالضرورة صِحَّتها، وإنّما النقلُ وقِلَّةُ التحقيق عمَّا وردَ إلينا مِن الكُتُبِ القديمة، وهو راجعٌ بالتأكيد إلى سطوةِ وقوّة القبيلةِ وهيمنتِها آنذاك، ولا يخفى على أحَدٍ بأنَّ شعراءَ المعلّقاتِ كانوا مدفوعين بنفوذ القبيلة المنتسبين إليها، ومصادر التوثيق التي جاء بها الفرّاءُ وغيره، كانت من الشعر الجاهلي في أغلبها، وإنِ استشهد بالقرآن والحديث في أحايين، كما نجد عرب الحِجاز وأسد يغلِبُ على بعض صفاتهم التأنيثُ، بينما عرَبُ نَجْد وأغلبُ العرب تُعمِّمُ التذكير.

3 – اللغات الأوروبية تشترك جميعُها ببعض الخصائص المتعلقة بالتأنيث وتختلف بمجملها عن اللغات السامية، ومردُّ ذلك باعتقادنا إلى أنّ اللغاتِ الأوروبيةَ كلَّها تعودُ إلى أصلٍ واحدٍ وهو اللغة اللاتينيّة **(Latin)** أي أنَّها مشتقةٌ مِن المصدرِ اللغوي نفسه.

4 – تشتركُ اللغاتُ الساميّة بخصائصَ عامةٍ تتشابه في ما بينها، مثل استخدام الفتحة

والتاء والألف والهمزة في اشتقاق التأنيث من التذكير.

5 - هناك اعتبار ضمني في اللغات الساميّة لأِن يكون المذكرُ هو الأصلُ، ويتمُّ اشتقاق المؤنَّثِ منه، على أن ذلك لا ينسحب على اللغات الأوروبية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن التستري، سعيد بن إبراهيم، (1983) ، **المذكّر والمؤنّث**، تح: أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 128 ص.
2. ابن جني، أبو الفتح عثمان، (1985)، **المذكر والمؤنث**، تح: طارق نجم عبداالله، دار البيان العربي، جَدَّة، 125 ص.
3. ابن فارس، أحمد بن الحسين، (1969)، **المذكر والمؤنث**، تح: رمضان عبدالتواب، ط١،القاهرة، 76 ص.
4. ابن منظور، جمال الدين بن محمد بن مكرم،(1997)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 436 ص.
5. ابن يعيش، موفق الدين يعيش، (بلا سنة)، **شرح المفصل**، تح: مشيخة الأزهر، إدارة المطبعة المنيرية، 43 ص.
6. الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد، (1961)، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين**، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٤ مطبعة السعادة، القاهرة، 880 ص.
7. الدماميني، بدر الدين أبو عبداالله بن أبي بكر، (2008)، **المنهل الصافي في شرح الوافي** «وهو متن وجيز في النحو لمؤلفه جمال الدين محمد بن عثمان بن عمر البلخي تح: مطر فاخر جبر، ط١، دار الكتب ، بيروت، 1112 ص.
8. السامرائي، إبراهيم،(1988)،**عود إلى التذكير والتأنيث ولوازمه**، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة الثانية عشرة، العدد ٣٤ ،حزيران – كانون الثاني، 32 ص.
9. السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد، (1997)، **المذكر والمؤنّث**، تح: حاتم صالح دار الفكر المعاصر، بيروت، 336 ص.
10. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، (1975)، **المذكر والمؤنث**، تح: رمضان عبدالتواب، ط١، مكتبة دار التراث، القاهرة، 150 ص.
11. اللقاني، رشيدة عبدالحميد،(١٩٩٠)، **التأنيث في العربية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 200 ص.
12. بركات إبراهيم إبراهيم،(1988)، **التأنيث في اللغة العربية**، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة–مصر، 377 ص.
13. برهومة، عيسى،(2001)، **اللغة والجنس**، دار الشروق، عمَّان، 197 ص.
14. بروكلمان، كارل،(1977)، **فقه اللغات السامية**، تر: رمضان عبد التواب، جامعة الرياض، 171 ص.
15. خليفة، أرياف غازي جمال،(2001)، **تحول البنى النحوية بين التذكير والتأنيث:** في الآيات المتشابهة في القرآن الكريم، جامعة الشرق الأوسط، بيروت، 161 ص.
16. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (١٩٨٥)، **الكتاب**، تح: عبدالسلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، 4 أجزاء، 950 ص.
17. عمايرة، أحمد إسماعيل، (١٩٩٣)، **ظاهرة التأنيث:** دراسة بين اللغة العربية واللغات السامية، دار حُنين، ط٢، عَمَّان، 150 ص.

3- تأثير الاستشراق على اللغوين العرب(المدرسة الإنكليزية مثالا)

م. د. رحيم مجيد راضي

المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار

Raheem.majeed@utq.edu.iq

تاريخ الاستلام: 6/5/2022 تاريخ القبول: 24/5/2022

مُلخصُ البحثِ

بلغ اهتمام المستشرقين بدراسة الإسلام ذروته في إصدارهم (دائرة المعارف الإسلامية) التي تعد من أكبر الدراسات الاستشراقية للإسلام، وأعظمها خطورة خلال القرن العشرين، بل هي تمثل خلاصة جهود المستشرقين في الدراسات الإسلامية خلال القرون الميلادية الثلاثة الأخيرة. وتشير دائرة المعارف الإسلامية إلى أن دراسات المستشرقين للإسلام لم تكن مجرد جهود فردية، بل كونت أيضاً اتجاهاً منظماً يسير وفق خطط تشرف عليها مؤسسات علمية إذ لم يكن إصدار الدائرة عملاً فردياً يشرف عليه بعض المستشرقين المنتمين إلى بلد واحد أو إلى لغة واحدة، بل كان عملاً جماعياً دولياً عقدت له المؤتمرات، وتنادى من أجله المستشرقون من شتى دول أوروبا.

Research Summary

Orientalists’ interest in the study of Islam reached its climax in their publication (The Circle of Islamic Encyclopedia), which is one of the largest and most dangerous Orientalist studies of Islam during the twentieth century. Rather, it represents a summary of the efforts of Orientalists in Islamic studies during the last three centuries AD. The Islamic Encyclopedia indicates that Orientalists’ studies of Islam were not just individual efforts, but also formed an organized trend that proceeds according to plans supervised

by scientific institutions, as the issuance of the Department was not an individual act supervised by some Orientalists belonging to one country or one language Rather, it was an international collective action for which conferences were held, and Orientalists from various European countries called for it.

المقدمة

يشير مصطلح الاستشراق إلى ثلاثة معانٍ منفصلة ولكنها متشابكة: إلى الحقل الأكاديمي، إلى رؤية للعالم، وتصورات، ونموذج فكري قائم على التمييز الإبستمولوجي والأنطولوجي بين الشرق والغرب كأداة هيمنة سياسية قوية ، تمثل السمة الأساسية في الاستشراق. إنه تحيُّز خفي ومستمر محوره تفوق الحضارة الأوروبية ضد الشعوب العربية الإسلامية وثقافتها ، تُشتق تلك النظرة من التصورات الغربية عما يمثله الشرق (التصوير الثقافي)، واختزال الشرق إلى جوهر خيالي للشعوب الشرقية ، وأماكن الشرق ، تهيمن تلك التصورات الثقافية على خطاب الشعوب الغربية مع الشعوب غير الغربية ، تصف تلك التصورات الثقافية الشرقي بـ (البدائي، اللاعقلاني، العنيف، المتطرف، الاستبدادي، وأنه أدنى من الغرب، وبالتالي لا سبيل إلى التنوير إلا استبدال القيم الرجعية بالأفكار المعاصرة التقدمية ، التي إما أن تكون غربية أو متأثرة بالغرب.

يجدر بنا التركيز على الاستشراق الإنكليزي ، وتحديد إطار عمله ، وأهم الشخصيات المؤثرة التي لها تأثير على الجيل الاول من العرب الذين اهتموا بالتراث تحقيقًا ، وتحليلًا وإبداء الآراء التي نسبوها إلى اصحابها ، والتي ولم تنسب ، ولكن الدراسات اللاحقة أوضحتها، وسوف اختصرها بثلاثة مستشرقين هم الاكثر تأليفا وتأثيرا في المدرسة الإنكليزية، وثلاثة من العرب الذين بان التأثير عليهم بشكل كبير ، وبرغم أنَّ هناك مشكلة ؛ لأن هناك تأليفا بالألمانية والفرنسية وله حضور بالإنكليزية كبير ، وهناك تداخل من الصعب تحديده بدقة فمثلا تجد تمام حسان ذو الثقافة الانكليزية ينهل أفكار من الاستشراق الفرنسي نتيجة اطلاعه عليها في الدرس الانكليزي وحتى الدكتور مهدي المخزومي له آراء مطورة من المستشرقين رغم عدم دراسته في الغرب، ويبدو للباحث أن إبراهيم مصطفى برغم ثقافته التراثية، وتركيزه على آراء ابن مضاء القرطبي كان مطلعا

على آراء المستشرقين في المجال النحوي، وكان تأثيره على تمام حسان أيضا واضحا برغم أنَّ تمام حسان أكثر العرب اغترافا من الاستشراق بتنوع مدارسه ، وهذه تحسب له لكثرة مطالعاته ،وتفهمه للتراث الذي أجاد التطبيق فيه ، وعرضه ضمن النظرية العربية، وهذا الاطلاع نجده عند إبراهيم أنيس الذي أخذ من المستشرقين من غير الاشارة الى المصدر، وما حمل آراء المستشرقين وأحدث ضجة في العالم العربي كتاب طه حسين في الادب الجاهلي الذي تبنى أفكار المستشرق (ماركليوث) ، وقد جاءت الدراسة في مبحثين: المبحث الأول: المدرسة الانكليزية للاستشراق ونبذة مختصرة لأبرز روادها والعاملين في هذا المحور ، والمبحث الثاني تناول اللغوين العرب الذين كان للاستشراق الانكليزي حصة الاسد في تكوينهم المعرفي.

المبحث الاول: المدرسة الانكليزية للاستشراق ونبذة مختصرة لأبرز روادها .

أولا: نبذة مختصرة عن أعلام المدرسة الإنكليزية للاستشراق

1 – أدلارد أوف باث (1070 – 1135) من أوائل الإنجليز الذين تعلَّموا العربية، وقد عُنِي بها عنايةً كبيرة، ودرس في صقلية، والأندلس، ومصر، ولبنان، وأنطاكية، واليونان، وتثقَّف بثقافة العرب إلى أقصى حدٍّ ممكن، حتى فضَّل مذهبهم العلمي والبحثي على المناهج الأخرى جميعًا[1].

2 – ويرى البعض أن أبا الدراسات العربية في بريطانيا هو(وليم بدول) (1561م – 1632م)، خريج جامعة كمبريدج، وأستاذ العربية فيها، وكتب مقالة رائعة عن ضرورة دراسة العربية، وأسهب في ذكر قيمتها [2]العلمية والأدبية .

3 – ومن الشخصيات الهامَّة: (دانيال أوف مورلي)، الذي ذكر عن نفسه ؛ أنه غير راضٍ عن الجامعات الفرنجية ، فذهب إلى إسبانيا ليبحث عمَّن هم أكثر حكمة من فلاسفة العالَم، ومما يجدرُ ذكره أن أول كتاب طُبِع في إنجلترا هو كتاب: (كلمات الفلاسفة وحِكَمهم)، وكان مؤلَّفًا على نسق كتاب عربي اسمه: (كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم)، الذي كان قد ألَّفه الأمير المصري مبشر بن فاتك [3].

(1) يُنظر: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي 207.
(2) يُنظر: معجم أسماء المستشرقين ، يحيى مراد : 23.
(3) يُنظر: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا: ميشيل جحا: 33.

4 – ومن الشخصيات البارزة الأخرى «إدموند كاستل» (1606 – 1685)، وهو من أوائل أساتذة اللغة العربية في كمبريدج، ومن أشهر مؤلَّفاته (قاموس مجمل للغات السامية)، قضى في جمعه ثماني عشرة سنة، ونُشِر للمرة الأولى عام [1] 1669 .

وقد بدأ الاهتمام بالدراسات الشرقية الأكاديمية في بريطانيا باكرًا؛ وذلك عندما أسَّس السير (توماس آدمز) كرسيَّ الدراسات العربية في كمبريدج عام 1632م، وقد أسَّس كرسيًّا آخر في أكسفورد عام 1636م، وهناك ترابط واضح بين تزايد الاهتمام البريطاني بشبه الجزيرة الهندية – بعد حرب السنوات السبع (1756 – 1763) – وأفولِ النفوذ الفرنسي هناك، وزيادةِ الاهتمام بالمنطقة العربية، وبالتالي الدراسات العربية، فمع انجلاءِ موقع الهند كتاجِ المستعمرات البريطانية أصبح هدفُ لندن الاستراتيجي هو الحفاظ على خطوط الاتصالات مع ذلك (التاج) والطرق المؤدية إليه ساخنة وأمينة وغير متقطعة، وتحديدًا طريقي البحر الأحمر والخليج، ومن هنا فإن بريطانيا انخرطت بشكل أكبر في المنطقة العربية وبكل المجالات، ذلك أن تلك المنطقة هي المعبَر الطبيعي للهند، وكان الأسطول البريطاني مسيطرًا على الخليج العربي، وكذا عدن كمحطات له؛ وتدخَّل في الشؤون الداخلية للمشيخات هناك، على حساب النفوذ الفرنسي الآفل؛ لضمان خطوط الاتصالات مع الهند.

واحتلَّت بريطانيا عمليًّا مناطقَ من الخليج وعدن، ثم لاحقًا مصر (1881 – 1882)؛ للسيطرة على قناة السويس والعراق أيضًا، تحت ذرائع الوصول الآمن إلى الهند، وأثناء كل هذا النشاط العسكري والسياسي الذي لا يهدأُ؛ تطوَّرت أجيالٌ من المستشرقين البريطانيين الذين انخرطوا في جهد الإمبراطورية الاستعماري في المنطقة بشكل أو بآخر، وفي الحالات القصوى عَمِل بعض هؤلاء يدًا بيدٍ مع أجهزة الاستخبارات البريطانية؛ لتحقيق مهمات سياسية وأمنية، ومن الأمثلة على ذلك؛ بروفيسور اللغة العربية واللغات الآسيوية في كامبريدج: «بالمر»، الذي أتقن العربية البدوية، والفارسية، والهندوسية، وهو في العشرينيات من عمره، وقد أرسله رئيس الوزراء البريطاني آنذاك «جلادستون» في مهمة إلى بدوِ مصر، من أجلِ قطع عَلاقاتهم مع العناصر الوطنية وحركة عرابي باشا، وكان يعمل مع قائدِ الجيش البريطاني في مصرَ، لكن كانت نهايتُه على يدِ البدو المصريين أنفسِهم الذين قتلوه، ومعه زمرة من العسكريين البريطانيين سنة 1882.

(1) المصدر نفسه:34.

ثم ازدهرتِ الدراسات الاستشراقية، لا سيما بعد حملة نابليون على مصر عام 1798م؛ حيث تلا ذلك اهتمامُ الإنجليز بمَيْدان الاستشراق نتيجةَ طابعِ المنافسة التي اتَّسم بها العصر بين الدولتين آنذاك، وقد تناول الاستشراق البريطاني سائرَ مناحي المعرفة الشرقية؛ من لغات، وآداب، وعلوم، وفنون، وتاريخ، وآثار، وكان على رأس المهتمِّين بالدراسات العربية: (سيمون أوكلي) الذي تولَّى مهمَّة تدريس اللغة العربية في جامعة كمبريدج 1711، وألَّف كتابه الشهير: (تاريخ المسلمين)، الذي تناول التاريخ الثقافي والسياسي للإسلام[1] .

1 – ويأتي من بعده (جورج سال) (1697م – 1736م) ، الذي تَرجَم القرآن الكريم، وأصبحت ترجمتُه المرجعَ الأساسيَّ للترجَمات الواردة بعدها لسنين عديدة، كما خلفت هذه الترجمة حركة واسعة للتعرُّف على الثقافة الإسلامية، وبيان خصائصها الإيجابية، والتعرف بصورة موضوعية على نبي الإسلام، والجدير بالذكر أن هذه الدراسات كانت مَشُوبة بالخيال والأسطورة حول شخصية الرسول – صلى الله عليه وآله سلم[2].

2 – ومما ساعد على نموٍّ وازدهار الدراسات الاستشراقية في بريطانيا: تكوينُ الجمعيات والمجلات المتخصصة، وظهورُ عددٍ من المتخصصين في الدراسات الاستشراقية؛ مثل (إدوارد وليم لين) (1801 – 1876)، صاحب كتاب: (في أخلاق وعادات المصريين الحديثين) ، وهو من أهم مستشرقي إنجلترا وأوروبا في القرن التاسع عشر، وقد ترجم أيضًا: ألف ليلة وليلة إلى الإنجليزية بدقَّة.

3 – ومن بعده جاء (إدوارد هنري بالمر) (1840 – 1882)، الذي عكف على دراسة اللغة العربية، وكان يقول عنها: إنها أحبُّ اللغات إلى نفسه، ومن العلماء البارزين في حقل الدراسات العربية: (وليم رايت) (1830 – 1889)، الذي درس اللغة العربية، وعَمِل مدة في مدينة ليدن Leiden الهولندية مع المستشرق الهولندي الشهير دوزي، وعيِّن أستاذًا للغة العربية في جامعات لندن، ودبلن، وكمبريدج، وقام بتحقيق كتاب: (الكامل للمبرد)، و(رحلة ابن جبير)، وخلف رايت في كرسيِّ أستاذِ اللغة العربية بجامعة كمبردج روبرتسون سمث (1846 – 1894)، وهو مستشرق اسكتلندي، درس العربية في جامعة (أدنبره)، وانتخب رئيسًا للجنة دائرة المعارف البريطانية، ومن أهم

---

(1) مدارس الاستشراق .. المدرسة البريطانية د. أنور محمود زناتي: موقع إلكتروني/ موقع الألوكة.

(2) المصدر نفسه.

أعماله: أديان الساميين، أنساب العرب[1].

4 – وريتشارد بيرتون (1821 – 1890)، الذي درس العربية في جامعة أكسفورد، وقد زار مناطق عديدة في الوطن العربي، وخاصة الجزيرة العربية، وقد عمل ضابطًا عسكريًّا في الهند، ثم عمل في خدمة بلاده في مصر، وقام برحلات في الجزيرة، ونشر وصفًا لها في كتابه: (الحج إلى المدينة ومكة)[2].

ثانيا: الشخصية الفاعلة التي كان لها التأثير الكبير على اللغويين العرب ولاسيما عميد الأدب العربي :(ديفيد صموئيل مرجوليوث 1858م – 1940م)

بدأ حياتَه العلمية بدراسة اليونانية واللاتينية، ثم اهتمَّ بدراسة اللغات السامية فتعلَّم العربية؛ ومن أشهر مؤلفاته: ما كتبه في السيرة النبوية، وكتابه عن الإسلام، وكتابه عن العلاقات بين العرب واليهود، ولكن هذه الكتابات اتَّسمت بالتعصب والتحيز، والبعد الشديد عن الموضوعية؛ كما وصفها عبدالرحمن بدوي (في موسوعته عن الاستشراق)، ولكن يحسب له اهتمامه بالتراث العربي؛ كنشره لكتاب: معجم الأدباء لياقوت الحموي، ورسائل أبي العلاء المعري، وغير ذلك من الأبحاث[3].

وقبل الحديث عن المستشرق الإنكليزي يجدر بنا أن نشير إلى أن بعض هذه الأفكار التي طرحها كانت قد ذكرها وعالجها ابن سلام الجمحي وليست من ابتكارات (مرجوليوث).

يُعدّ ابن سلام الجمحي أوّل من أثار في إسهاب مشكلة الانتحال في الشعر الجاهلي في كتابه: (طبقات فحول الشعراء)، وقد ردّها إلى عاملين : عامل القبائل التي كانت تتزيّد في شعرها لتتزيد في مناقبها، وعامل الرواة الوضاعين [4] .

يقول ابن سلام: ((لما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقلّ بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلّت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أنْ يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم ، ثم كانت الرواة بعدُ فزادوا في الأشعار))[5].

(1) المصدر نفسه.
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه.
(4) العصر الجاهلي : للدكتور شوقي ضيف :164.
(5) طبقات فحول الشعراء: لابن سلام الجمحي (ت231هـ) :39.

وقد لفتت هذه القضية ، قضيّة انتحال الشعر الجاهلي أنظار الباحثين المحدثين من العرب والمستشرقين ، وبدأ النظر فيها من المستشرقين، وأول من تناول هذه القضية المستشرق الالماني (نولدكه سنة 1864م)، وتلاه (ألوَرْدْ) عندما نشر دواوين الشعراء الستة الجاهليين : امرئ القيس والنابغة وزهير وطرفة وعلقمة وعنترة ، فتشكك في صحّة الشعر الجاهلي عامة ، منتهياً إلى أنّ عدداً قليلاً من قصائد هؤلاء الشعراء يمكن التسليم بصحته ، مع ملاحظة أنّ شكّاً لا يزال يلازم هذه القصائد الصحيحة في ترتيب أبياتها وألفاظ كلّ منها[1].

إلا أنّ مرجليوث يعدّ أكبر من أثاروا هذه القضية في كتاباته ؛ إذْ كتب فيها مقالاً مفصلاً نشره في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية بعدد يوليو سنة 1925م، جعل عنوانه: (أصول الشعر العربي)، ومن أبرز ما أثار مرجليوث في مقاله المذكور : لو أنّ هذا الشعر صحيح لمثّل لنا لهجات القبائل المتعدّدة في الجاهلية كما مثل لنا الاختلافات بين لغة القبائل الشمالية العدنانية واللغة الحميرية في الجنوب .

ولقد ردّ عليه الدكتور شوقي ضيف مدحضاً زعمه ، قائلاً : ((إنّ لغة القرآن الفصحى كانت سائدةً في الجاهلية وإنّ الشعراء منذ فاتحة هذا العصر كانوا ينظمون بها وكانت لهجة قريش ، وسادت بأسباب دينية واقتصادية وسياسية ؛ فكان الشعراء ينظمون بها متخلين عن لهجاتهم المحلية على نحو ما يصنع شعراء العرب في عصرنا على اختلاف لهجات بلدانهم وأقاليمهم))[2] ويبدو للباحث أن سبب توحد اللهجات عائد إلى الرواة ولاسيما اللغويين الذين كانوا يحرصون على توحيد القواعد والتركيز على لهجت قريش بدافع ديني ، وكذلك للسلطة دورها في هذا العمل. .

ومن بين مزاعم مرجليوث في هذا الموضوع: أنّ النقوش المكتشفة للممالك الجاهلية المتحضرة وخاصة اليمنية لا تدل على وجود أيّ نشاط شعري فيها ، فكيف أتيح لبدو غير متحضرين أنْ ينظموا هذا الشعر بينما لم ينظمه من تحضروا من أهل هذه الممالك؟ ودحض (بروينلش) هذا الدليل ؛ لأنّ نظم الشعر لا يرتبط بالحضارة ولا بالثقافة والظروف الاجتماعية ، وهناك فطريون أو بدائيون لهم شعر كثير مثل الإسكيمو[3]، وهذا الرأي جدير بالاحترام ،لأن البيئات المنعدمة والفقيرة هي أكثر إبداعا

(1) العرب في **العصر الجاهلي** تأليف: الدكتور ديزيره سقال : 166.
(2) العصر الجاهلي : 166.
(3) المصدر نفسه : 167.

وإنتاجا في الموضوعات الانسانية وخير دليل على ذلك ما تنتجه فلسطين من شعراء مقارنة بدول الخليج التي هي أكثر ثراءً .

المبحث الثاني: المتأثرون بالمستشرقين من العرب

1 - طه حسين (1973-1889م)

وإذا تركنا المستشرقين واتجهنا صوب العرب المحدثين والمعاصرين وجدنا أديب العربية مصطفى صادق الرافعي يعرض هذه القضية : قضية الانتحال في الشعر الجاهلي عرضاً مفصّلاً في كتابه: (تاريخ آداب العرب) الذي نشره في سنة 1911م، ولكنه لا يتجاوز في عرضه ما لاحظه القدماء ، وخلف مصطفى صادق الرافعي الدكتور طه حسين فدرس القضيّة دراسة مستفيضة في كتابه : (الشعر الجاهلي) الذي أحدث به رجّة عنيفة أثارت كثيرين من المحافظين والباحثين فتصدوا للردّ عليه، ولم يلبث أنْ ألّف مصنفه: (في الأدب الجاهلي) الذي نشره في سنة 1927م ، وفيه بسط القول في القضية بسطاً أكثر سعة وتفصيلاً [1].

وأهم نتيجة التي أودعها في هذا الكتاب يلخصها بقوله: ((إنّ الكثرة المطلقة ممّا نسميه أدباً جاهليّاً ليست من الجاهلية في شيء ، وإنما هي منتحلة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثّل حياة الجاهليين. وأكاد أشك في أنّ ما بقي من الأدب الجاهلي الصحيح قليل جدّاً ، لا يمثل شيئاً ولا يدل على شيء ، ولا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الأدبية الصحيحة لهذا العصر الجاهلي))[2].

ومضى طه حسين يبسط الأسباب التي تدفع الباحث إلى الشك في الأدب الجاهلي واتهامه ، وردّها إلى أنّه لا يصور حياة الجاهليين الدينيّة والعقلية والسياسيّة والاقتصادية، كما أنه لا يصوّر لغتهم وما كان فيها من اختلاف اللهجات ، وتباينها بلهجاتها من اللغة الحميرية.

يقول الدكتور شوقي ضيف معقبا على ما عرضه عميد الادب العربي : ((والحق أنّ الشعر الجاهلي فيه موضوع كثير ، غير أنّ ذلك لم يكن غائباً عن القدماء ، فقد عرضوه على نقد شديد ، تناولوا به رواته من جهة، وصيغه وألفاظه من جهة ثانية، أو بعبارة

(1) المصدر نفسه : 170.

(2) في الأدب الجاهلي : طه حسين: .64.

أخرى عرضوه على نقد داخلي وخارجي دقيق ، ومعنى ذلك أنهم أحاطوه بسياج محكم من التحري والتثبت فكان ينبغي أن لا يبالغ المحدثون من أمثال مرجليوث وطه حسين في الشك فيه مبالغة تنتهي إلى رفضه ، إنّما نشك حقّاً في ما يشك فيه القدماء ونرفضه، أما ما وثقوه ورواه أثباتهم من مثل أبي عمرو بن العلاء والمفضل الضبّي والأصمعي وأبي زيد فحريٌّ أنْ نقبله ما داموا قد أجمعوا على صحته، ومع ذلك ينبغي أنْ نخضعه للامتحان وأنْ نرفض بعض ما رووه على أسس علميّة منهجية لا لمجرّد الظن ، كأنْ يُرْوَى لشاعر شعرٌ لا يتصل بظروفه التاريخية ، أو تجري فيه أسماء مواضع بعيدة عن موطن قبيلته، أو يضاف إليه شعر إسلامي النزعة ، ونحو ذلك مما يجعلنا نلمس الوضع لمساً))[1]، وقد نقلنا هذا النص على ما فيه من الإطالة لنثبت أن الذين ردوا على طه حسين كان ردهم يعتمد على العاطفة والتمسك بما وصل إليه القدماء ، هذا لا يعني الباحث يذهب إلى ما ذهب إليه طه حسين ، ولكن رأينا رد بعض المستشرقين انضج وأقوى حجة. ومن مثال هذه الردود رد المستشرق(بروينلش) المذكور سابقًا ، **إن تواجد المستشرقين في الجامعات المصرية كان لهم** التأثير الكبير، ولا ننسى مشاركة الاستشراق بنهضة الأدب العربي وهذا باعتراف الدارسين والباحثين، فقد اهتم المستشرقون اهتماما كبيرا بتاريخ الأدب العربي، حيث قُسم تاريخ الأدب العربي حسب العصور السياسية المختلة–نظام الحكم– وما قام به القدماء العرب هو تصنيف الأدباء حسب مواليدهم أو حسب وفاتهم وفي بعض الأحيان حسب أنواع مواضيعهم المختلف.

وكان طه حسين في طليعة المتأثرين بالمنهج الجديد في الدراسات الأدبية للمستشرقين، وكان تأثره هذا عميقاً إلى درجة أنه كان كثيراً ما يأخذ بآراء المستشرقين ويتحمس في الدفاع عنها في مجال إصدار الأحكام حول الأدب العربي القديم وخاصة الجاهلي منه، بل إننا نستطيع أن نقول دون أدنى مبالغة أن طه حسين لم يكن في الحقيقة سوى ثمرة من ثمرات الاستشراق، ومُبشر بالمبادئ والأصول التي دعا إليها المستشرقون في مجال دراسة الأدب، وعلى صعيد الرؤية العامة للأدب العربي الكلاسيكي في عصوره المختلفة، ولعل تأثره بالمستشرق (صموئيل مرجليوث(الذي نفى أنْ يكون الشعر الجاهلي الذي بين أيدينا معبراً عن العصر الجاهلي وإنما هو في رأيه نتاج مرحلة تالية لظهور الإسلام[2].

---

(1) في الأدب الجاهلي : 65.

(2) ، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي : 34

ومن جملة الآراء التي أبداها طه حسين حول الأدب العربي القديم من واقع تأثره بآراء المستشرقين، القول بأن الجزء الأكبر من الشعر الجاهلي إنما هو في الحقيقة شعر منتحل، وقد أطلق هذه الفكرة قبله المستشرق الإنجليزي مرجليوث قائلاً: ((بدأ المسلمون في حوالي نهاية العصر الأموي يدعون وجود شعر جاهلي عربي، ولم يكتفوا بذلك حتى زعموا أنهم جمعوا الجزء الأعظم منه...)) [1]، ويبدو للباحث أن هذا الرأي لا يستند إلى دليل علمي كما قدم لنا دليل مقارنة لغة الشعر الجاهلي مع لغة القرآن مع قوله إن الفارق بين لغة القرآن والشعر كبير جدا .

وقد بلغ من تحمس طه حسين لمناهج المستشرقين في البحث الأدبي، والاستنتاجات التي توصلوا إليها في هذا المجال أنه قال ما نصه: ((وكيف نتصور أستاذاً للأدب العربي لا يَلم ولا ينتظر أن يلم بما انتهى إليه الفرنج من النتائج العلمية حين درسوا تاريخ الشرق وآدابه ولغاته المختلفة؟ وإنما يُلْتَمَس العلمُ الآن عند هؤلاء الناس، ولا بد من التماسه عندهم حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا، ونطير بأجنحتنا، ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وآدابنا وتاريخنا...)) [2].

لو قارنّا بين ما أثاره طه حسين وبعض المستشرقين أمثال(مرجليوث ونولدكه)؛ لوجدنا أنّ هناك تقارباً بل اتفاقاً ملحوظاً مع أن ابن سلام الجمحي كان قد أثار القضية حول بعض الشعر وليس نفيه جميعا .

2- إبراهيم أنيس (1977-1906م)

المعروف أن إبراهيم أنيس ذا الثقافة الانكليزية والتخصص في الساميات قد اطلع على اكثر آراء المستشرقين وخاصة في علم الأصوات، ويعد أول من كتب في علم الاصوات وتطبيقها على العربية ونقل مفهوم المقطع ودرسه ونظر له في جذور التراث العربي.

اعترف في مقدمه كتابه (من أسرار اللغة) بتأثير دراسات الغربيين ، ودراسات اللغة بعد اتصاله بدارسات المستشرقين للغات المستشرقين على منهجه ودارسته السامية، ودراسات الغربيين للغاتهم الحديثة والقديمة ، وتأثرهم بمناهجهم وأفكارهم ، بل يصطلح على بعض المسائل اللغوية بـ (المشكلة اللغوية) إلى الحاجة إلى المزيد من الدراسة، وأعاد الدراسة

---

(1) ، نشأة الشعر العربي، ديفيد صمويل مرجوليوث 90- 91.

(2) ،في الأدب الجاهلي ، طه حسين: 11

والتحقيق فيها وفق ما توصل إليه الغربيون والمستشرقون من نتائج في هذا الشأن [1].

وذهب إبراهيم أنيس إلى إنكار أصالة الإعراب ، وكان متأثرا بالمستشرقين، أمثال: فولرز وباول كاله وأتباعهم . فكما هو معروف أن «إبراهيم أنيس» حصل على الدكتوراه في الدراسات اللغوية السامية من جامعة لندن عام)1941م ، وهو العام نفسه الذي قدم فيه «باول كاله»[2(*)] محاضراته في الأكاديمية العربية البريطانية، ومهمة هذه الأكاديمية نقل زات التعليم العالي في بريطانيا من قبيل جامعة لندن ، جامعة كامبرج ، جامعة كارديف ، جامعة بورك ، جامعة مانشستر وجامعة أكسفورد إلى الوطن العربي، وتحرص على ذلك فتجدها تعمل على تعريب العلوم التطبيقية والنظرية والإنسانية وتسهل عملية تقديمها للباحثين العرب بأيسر السبل وبشكل مجاني ، وهنا يتضح المقصود ، ولاحظ أحد الباحثين المعاصرين في منهج «إبراهيم أنيس» الوصفي أثناء تلقيه غالباً للنظريات الوصفية الغربية ، أنه عندما يأخذ عن الدارسات الغربية يحيل إحالات عامة مثل الدراسات الحديثة(أو)البحوث الحديثة(أو) المحدثين ،ويبدو أن سبب ذلك هو تسليمه بتلك النظريات ، وهو جانب من جوانب تأثره[3].

3 - تمام حسان (2011-1918م)

باحث عربي تميز عن الباحثين العرب المحدثين بثقافته المزيجة بين التراث والمعاصرة أكمل دراسته الأولية في مصر وتتلمذ على يد الاستاذ محمد هاشم عطية ، ثم تهيأت له فرصة الدراسة في لندن وهناك حصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة لندن وكان أستاذه الأول (فيرث)[4(27)]، وعندما عاد إلى مصر عاد متأثرا تأثرا كبيرا بأفكار أستاذه فيرث مطبقاً لها على اللغة العربية. ما استهوى تمام حسان هو المنهج الوصفي ذو الأصول الغربية، إذ دعا إلى تطبيق المنهج الوصفي الغربي الحديث ، الذي بذر بذرته (دو سوسير) وسار على هدية (فيرث) صاحب النظرية السياقية في اللغة ، والتي تلقاها تمام حسان منه مباشرة. [5]

وإن تمام حسان شأنه شأن غيره من الباحثين المحدثين الذين أخذوا بالمنهج الوصفي

---

(1) ينظر: من **أسرار اللغة : إبراهيم أنيس** :6

(2) دراسات في فقه اللغة، صبحي صالح : 140-126.

(3) يُنظر: الوصفية في الدارسات العربية الحديثة : 54.

(4) يُنظر: آراء تمام حسان في نقد النحو العربي :11-10.

(5) النحو الوصفي بين د. مهدي المخزومي و د. تمام حسان : 127.

الذي انتشر في الدراسات العربية على يد المستشرقين ، يدفعه التأثر أولاً ، ونبذه للأفكار الفلسفية والمنطقية والعلل والعوامل في الدرس النحوي العربي ثانياً ،وكان السبب في نزوع اللسانيات البنيوية العربية إلى نقد النحو العربي ؛ هو تأثرها باللسانيات البنيوية في الغرب ونقدها لنحوها التقليدي .

وبما أن مقولة الوصفية جاءت رد فعل في الغرب على سيطرة المعيارية في الدراسات اللغوية التقليدية في البحث اللساني الغربي ، فكذلك البحث اللساني العربي سار على النهج نفسه مطبقاً للوصفية ومتأثراً بهذا المنهج في نقده للدراسات العربية القديمة.[1] والملاحظ أن ((ثمة مفارقة لغوية وقع فيها الوصفيون العرب – تمام حسان أحدهم – وهي أنهم حين يؤلفون في اللسانيات يكتبون مصنفات في نقد النحو العربي القديم وفي إعادة وصف اللغة العربية القديمة ، ولا يفكرون انطلاقا من أسس مدرستهم – بأنهم معنيون بدراسة اللغة العربية المعاصرة وحل مشاكلتها))[2].

ويرى مهدي المخزومي ما ذهب إليه بعض الباحثين في اللغات السامية المقارنة من المستشرقين الذين طرقوا هذا الموضوع بالبحث ، وعلى رأسهم (وليم رايت) أن الصيغ الفعلية المفردة في العربية صيغتان اثنتان فقط : إحداهما تعبر عن حدث تام , والأخرى : تعبر عن حدث غير تام، ولكنّ هاتين الصيغتين إذا وضعهما المتكلم في سياق , سيتهيأ لهما بفعل العلاقات السياقية ما لم يتهيأ لهما في حالة الأفراد من أبعاد زمنية [3]، وقد أفاد المخزومي من هذا الرأي وقد طبقه في كتابة (النحو العربي قواعد وتطبيق)،والظاهر أن إثارة المستشرقين هكذا أفكار، وما طرحوه من آراء متعلقة بالفعل والزمن في كتبهم أثرت في الباحثين المحدثين ، مما جعلهم يعيدون النظر في ما توصل إليه النحاة القدامى في هذا الموضوع ، وأعادوا البحث فيه وفق ما طرقه المستشرقون من أفكار تقويما ونقدا ، ومن هؤلاء: تمام حسان ، ومهدي المخزومي ، وابراهيم السامرائي، مالك المطلبي ، ومحمد المالح ، وكمال رشيد ، وغيرهم . لكنّ هؤلاء الباحثين أغفلوا الإشارة إلى المصادر الاستشراقية التي أخذوا عنها ، ومن أشار منهم ، فإن إشارته كانت معتمة وغير واضحة ، فتمام حسان ، هو أول باحث عربي فرق بين الزمن الصرفي والزمن النحوي للأفعال على الطريقة الإنكليزية مع تخطيها في عدد الأزمنة ، وأكد

(1) ينظر : : نشأة الدرس اللساني العربي الحديث :84.
(2) تمام حسان في معيار النقد اللساني : 84 2.
(3) يُنظر: في النحو العربي نقد وتوجيه : 152-145.

على ضرورة النظر إلى صيغ الفعل في السياق ؛ ليتم الكشف عن الزمن ، فما دام يمكن بالقرينة المفارقة بين الأزمنة المختلفة فيجب أن نختار ما يناسب من الصيغ ، وأصلحها للدلالة على الزمن المراد في سياق ما[1]، لكنه لم يشر إلى المصادر التي أخذ عنها ، أو استند إليها في عرض فكرته ، ولعل السبب الذي منعه من ذلك ، هو أنه وجد في نفسه المُخرِج الأول لتلك الأفكار في صورة مقبولة ، كان يسعى من ورائها إلى إلقاء ضوء جديدٍ على التراث اللغوي العربي مستعيناً بما اصطنعه الغربيون من منهج وصفي[2]، وبذلك يمكن القول إن تمام حسان كان يعي ضخامة النحو العربي لذا كان عمله حفريا من غير المساس بأحد أركانه وإن كانت أهم نظرية له نظرية العامل الذي أراد إبدالها بالقرائن وعدَّ العلامة الإعرابية واحدة من هذه القرائن.

الخلاصة

1 – إن بعض آراء المستشرقين كانت آراء لبعض اللغويين العرب ولكن البحث الدقيق والمتابعة الحريصة التي أحسن المستشرقون إبرازها أو نقل إثارتها والاعتماد عليها في اصدار أحكام بعضها غير مقبول .

2 – كثير من النظريات التي نسبت الى بعض العرب وخاصة لطه حسين وإبراهيم أنيس هي للمستشرقين ولكن الباحثيْنِ لم يشيرا إلى مصدرها لأنهما طبقوا هذه النظريات على التراث العربي وهذا يحسب لهما رغم تبجحهما بأصالة الافكار.

3 – سعة اطلاع تمام حسان وفهمه للنظرية السياقية وتأثره بعدد من المستشرقين حيث تعددت الرؤى لديه في مجمل كتبه، وإن أغفل الإشارة الى المستشرق وليم رايت الذي كان صاحب فكرة الفرق بين الزمن الصرفي والزمن النحوي .

4 – كثير من آراء المستشرقين صائب وفي محله.

5 – اهتمام المدرسة الانكليزية بالجوانب القصصية كي تصل إلى اثبات حقيقة مفادها أن الفكر العربي هو فكر خيالي بالدرجة الاولى، ترجمة قصة حي بن يقظان ، ألف ليلة وليلى ، الاسراء والمعراج.

6 – التشكيك بالشعر العربي والخصوص بالشعر الجاهلي.

---

(1) ينظر الزمن النحوي في اللغة العربية :55.

(2) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 284.

المصادر والمراجع:

1. الاستشراق، سهيل قاشا: سلسلة كتب الثقافة المقارنة، ج2 بغداد 1987 .
2. تأثير المستشرقين في البحث الصرفي والنحوي عند العرب المحدثين رسالة ماجستير إعداد الطالبة نسرين عبد الرضا السعيدي ، إشراف الاستاذ الدكتور رعد هاشم ، جامعة ذي قار/ كلية التربية للعلوم الانسانية العام الدراسي 2015م-2016م.
3. تمام حسان في معيار نقد اللساني، د. مؤيد صوينت ، ود. خالد خليل عطية/ مجلة الأستاذ- العدد (203) 2012 م.
4. الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا: ميشيل جحا: معهد الأنماء العربي، بيروت 1982.
5. دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي عبد الرحمن بدوي ،دار العلم للملايين، بيروت،1986
6. دراسات في فقه اللغة، صبحي صالح، دار العلم للملايين. بيروت - لبنان. ط1.
7. دراسة في النشاط اللساني العربي. تأليف : فاطمة الهاشمي **بكوش.** - 2004م. القاهرة - مصر ،ط1.
8. الزمن النحوي في اللغة العربية ، كمال رشيد ، دار عالم الثقافة للنشر .
9. طبقات فحول الشعراء: لابن سلام الجمحي (ت231هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط.1 دار المعارف.
10. العرب في **العصر الجاهلي** تأليف: الدكتور ديزيره سقال الناشر: دار الصداقة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ط1.
11. العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ، . دار المعارف ط1.
12. في الأدب الجاهلي ، طه حسين لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة -1933م .
13. في النحو العربي نقد وتوجيه د. مهدي المخزومي منشورات دار الرائد **العربي** _ بيروت الطبعة الثانية _ 1986 م.
14. اللغة العربية معناها ومبناها. تأليف: **الدكتور تمام حسان.** الناشر: دار الثقافة.
15. مدارس الاستشراق .. المدرسة البريطانية د. أنور محمود زناتي: موقع إلكتروني/ موقع الألوكة
16. مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي: محمود محمد الطناحي ، مكتبة الخانجي، .
17. معجم أسماء المستشرقين ، يحيى مراد دار الكتب العلمية ،2004م،ط1 .
18. النحو الوصفي بين الدكتور مهدي المخزومي والدكتور تمام حسان دراسة في موارد الاتفاق والاختلاف بينهما /الأستاذ المساعد الدكتور حيدر جبار عيدان الباحث ضرغام علي محسن جامعة الكوفة - كلية الآداب.
19. نشأة الشعر العربي، ديفيد صمويل مرجليوث تر. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، لبنان ط1/ 1979.

4- رحلة البطل: رحلة السندباد البحري الرابعة نموذجًا

The fourth Journey of Sindbad the Sailor :Hero's Journey

الباحثة: حنان خضر عيد

المعهد العالي للدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية- الجامعة اللبنانية

hananeid1@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 1/5/2022 **تاريخ القبول: 19/5/2022**

مستخلص البحث:

يعود الفضل الأكبر في ولادة مفهوم رحلة البطل والتنبيه إلى أهميتها إلى جوزيف كامبل، حيث اكتشف تأثيراتها العميقة في صقل البطل وتنمية شخصيته، وبالتالي إغناء التجربة الإنسانية.

ويهدف هذا البحث أولًا إلى الكشف عن مراحل رحلة شخصية بطولية لها جذور ضاربة في التراث العربي ألا وهي السندباد البحري بطل «ألف ليلة وليلة»، وثانيًا التعرّف على خصائص هذه المراحل، وتأثيراتها على صاحبها، وتتبع مساراتها وفقًا لنموذج كامبل، وذلك من خلال قراءة الرحلة الرابعة للسندباد.

كلمات مفتاحية: جوزيف كامبل، رحلة البطل، السندباد البحري

Abstract :

The credit of creating the concept of hero's journey and its significant implications should be related to Joseph Campbell, where he discovered the journey's deep impacts in strengthen the hero and improving his personality, moreover enriching the human experience.

This research attempts to reveal the steps of the journey of a heroic character who has deep roots in Arabic heritage, Sindbad the sailor from “One Thousands Nights and One Night”. It also realizes the stages of hero’s journey, and its consequences on the hero, following its tracks according to Campbell’s pattern, through reading Sindbad’s fourth journey.

Keywords : Joseph Campbell, Sindbad the sailor, Hero’s journey, monomyth

1. مقدمة:

يتكئ جوزيف كامبل في دراسته الكلاسيكية لرحلة البطل على بنية نمطية تتشكّل من مراحل متتابعة تؤلف في ما بينها نموذجًا سرديا للأبطال، الذين على اختلافهم وتنوعهم، تجمع بينهم تجربة الرحلة وهي العنصر الأساسي الناظم لحكاياتهم، والتي أصبحت تُعرف بـ monomyth. وقد قسّم كامبل الرحلة إلى ثلاث ركائز أساسية تتشعب بدورها إلى مراحل تكوّن الإطار العام لهذه البنية. فأشكال البطل المتدفقة من قصص الشعوب والحضارات عكست حركة طاغية الحضور للمادة المكوِّنة للبطل ألا وهي الرحلة، حيث تنبثق فيها وعبرها القيم الحقيقية لصاحب المغامرة. ولذلك، فإن قراءة معتمدة على هيكلية كامبل لدراسة رحلة البطل ستُظهِر مستويات عميقة في رحلة السندباد البحري، القادم من عالم «ألف ليلة وليلة»، والمتذبذب بين عوالم خيالية وأخرى واقعية.

مشكلة البحث:

لطالما كان السندباد البحري موضع اهتمام وعناية الدارسين والباحثين، ولكن معظم الدراسات لم تهتم بتطبيق نموذج جوزيف كامبل monomyth، والذي أضحى مرجعًا أدبيا في الكثير من الأعمال الأدبية والفنية، حيث أصبحت الرحلة تلعب دورًا جوهريا في إعادة إنتاج البطل من جديد. فالرحلة، وما ينطوي عليها من تحديات ومخاطر وتذليل عقبات، هي التي تمنح البطل خاصيته وتفرده عن باقي الشخصيات. وعليه، فإن تحليل مراحل الرحلة وعناصرها يقود إلى التعرف على الخلفيات العميقة وإبرازها دلالةً على غنى التجربة، وانتقالها من حيّز الفردي إلى فضاء الإنساني. ومشكلة البحث تنحصر في سؤال واحد:

هل يمكن تطبيق نموذج كامبل «رحلة البطل» على السندباد البحري؟

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في التعرف إلى رحلة البطل من خلال رحلة السندباد البحري الرابعة، وذلك عبر تفكيكها وفق نموذج كامبل، وتثبيت عناصرها وتحليل مساراتها وعوالمها.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن البنية العميقة لنظام الرحلة الرابعة للسندباد وتحولات البطل.

منهجية البحث:

اعتمدتُ المنهج الأسطوري وهو «النقد القائم على الموروث الشعبي أو الأسطوري أو الشعائري، ويفسر الأعمال الأدبية باعتبارها تجسيدات لأنماط وبنى أسطورية، أو لنماذج أصلية، لا زمنية، تعاود الوقوع، ولا يكون الاهتمام في هذا النقد بالخصائص النوعية للعمل الأدبي بقدر ما يكون بسمات البنية السردية أو الرمزية التي تربطه بأساطير قديمة». (زكي،1981، ص 278) وبناءً عليه، فإن المنهج الأسطوري يستلزم قراءة دقيقة لرحلة السندباد لاستخلاص الظواهر الأسطورية والقدرة على توظيفها داخل العمل الأدبي.

2. السندباد البحري:

السندباد البحري بطل خيالي من حكايات «ألف ليلة وليلة» التي «كانت موجودة قائمة بذاتها... وقد أكد المسعودي أن هذه الحكايات كانت معروفة في هذا القرن، غير أنها كانت مؤلفة قبل الإسلام بمدة طويلة، وأنها من كتب الهند...، ويقال إن مؤلفها طبيب هندي اسمه سندباد». (الحسن، 2010، ص 252)

تبدأ حكاية السندباد في الليلة 524 وتنتهي في الليلة 555، وهي تحكي عن شاب عابث ورث عن أبيه أموالًا طائلة، فبدد ميراثه وغدا مفلسًا، ما اضطره إلى ركوب البحر لتحصيل المال عبر التجارة. ولذلك، أبحر من جزيرة إلى أخرى في سبع رحلات، واجه فيها الأهوال، وترصده الموت في البحر والبر، كما نجا من أخطار الأفاعي والثعابين

العملاقة وآكلي لحوم البشر وطير الرخ الأسطوري والأسماك الضخمة، وعانى في سبيل الخلاص من وادي الماس، وجبل القرود وشيخ البحر؛ غير أنه دائمًا يعود إلى مدينته بغداد محمّلًا بالكنوز والجواهر والشيء النفيس.

ويختلف السندباد عن غيره من الأبطال كونه لم يتحدر من نسل الآلهة ولم يحاربوه من عليائهم، بل هناك إنسان أقل ما يقال إنه عادي، لا يتمتع بقوى جسدية خارقة، ولا يملك أيّ سلاح يحارب به، كما أنه يبقى وحيدًا تمامًا، يصارع قدره وينتزع حياته انتزاعًا من براثن الموت. فهو يكتسب كل ما يعزز أسطوريته عبر الذكاء والحيلة وحسن الخلاص من المآزق التي مرّ بها، حيث يتفحص، ينظر، يتمعن وينتظر ليعثر على سبيل النجاة. ورغم افتقاده للقوة الخارقة التي تمتع بها غالبية الأبطال الأسطوريين، فإن السندباد لم يفتقد أبدًا للعنصر الخارق لينضم إليهم، فما خُلِع عليه وعلى رحلاته من خارج «ألف ليلة وليلة» فاق النص الأصلي، لذا يُنظر إليه من خلال عيون أسطورية لتكريس عنصر أسطوريته التي تنبع من حلم الطبقات الكادحة –وأبعادها الممتدة زمنيًا– بوجود بطل يشبههم ويعبّر عن أمانيهم وطموحاتهم.

وفضاءات الرحلة الرابعة للسندباد تُعدُّ رحلة نموذجية جديرة بالدراسة من منظور كامبل، حيث تتضافر فيها العناصر جميعها لتشكيل هيكلية رحلة البطل من انطلاق ومواجهة وعودة وظفر.

3. رحلة البطل monomyth:

تتألف رحلة البطل وفقًا لجوزيف كامبل في كتابه «البطل بألف وجه» من ثلاث مراحل أساسية، وهي العناصر المكوّنة لرحلات السندباد البحري التي تُعدُّ حكاياته الأكثر «إثارة في الليالي الألف، إذ تنفتح هذه الحكايات عبر سفراته السبع على عوالم ومغامرات عجائبية، والتي قد تضع شخصية السندباد أمام الكدّ والعمل لكسب المعالي رغم كلّ ما واجهه من أخطار هددت حياته». (الفواز، 2017، ص 199) والمراحل هي:

1.3 الانطلاق (بدء الرحلة)

2.3 تلقين الأسرار (طريق الاختبارات)

3.3 العودة

1.3 الانطلاق (بدء الرحلة):

النداء:

يتحقق النداء الأول في حكاية السندباد عندما أفاق من غفلته بعد نضوب ماله، ونقطة بداية الحكاية تبدأ «عند الشعور بنقص أو تهديد والنقص قد يكون ماديًا»، (حمد، 2017، ص 126) وتشكِّل الشرارة الأولى في «تعيين البطل ونقل مركز ثقله الروحي من دائرة مجتمعه إلى إقليم مجهول»(كامبل، ص 67) وهو الفضاء البحري. وفي رحلته الرابعة يتجسد النداء من خلال النفس الأمارة بالسوء، «فحدثتني نفسي الخبيثة بالسفر إلى بلاد الناس». (ألف ليلة وليلة، ص84) إذ يغادر السندباد مدينته بغداد نحو مدينة البصرة ليبحر في مركب ببضاعته قاصدًا التجارة والربح مع جماعة من التجار.

اجتياز العتبة الأولى:

يجتاز السندباد عتبة عالمه المألوف، عالم «اللهو والطرب ومجالسة الأحباب والأصحاب وأنا في ألذ ما يكون من العيش»، (ألف ليلة وليلة، 1863، ص84) ويدخل عالمًا مجهولًا لا يعرف عنه شيئًا: البحر. هذا الموقع المجهول هو نوع من «حقول خصبة تعطي مجالًا واسعًا لإسقاط مضامين غير مُوعاة» (كامبل، 2003، ص 86)، والسندباد، غير الخبير بآفاق البحر، يخطو خطوته الأولى إلى مجال المغامرة، تاركًا خلفه الحدود المعروفة، متجهًا نحو الخطر المتمثل بالغرق والأمواج العاتية والريح القوية التي تتفق جميعها مع ما عبّر عنه كامبل بتجسيدات مصير البطل. فعند أعتاب مدخل القوة العظمى، لا بد أن يمضي البطل قُدمًا لمواجهة الحراس الذين يتمتعون بقدر عالٍ من الجهوزية. فالريح العاصف والأمواج المتلاطمة تتضمن تهديدات بالعنف: «ثار علينا ريح وهاج البحر وقويَ الموج والريح، فرمانا الماء على جزيرة ونحن مثل الموتى». (ألف ليلة وليلة، 1863، ص 101) والحراس هؤلاء خطِرون، ولكن الخطر يتبدد حين يمتلك من يواجههم الشجاعة الكافية. وتشكّل العتبة الحاجز الفاصل بين عالمين: عالم الداخل والخارج، واجتيازها هو «تدمير للذات... فالبطل هنا لم يتجه نحو الخارج لكي يتجاوز عقبات العالم، وإنما نحو الداخل لكي يولد من جديد». (كامبل، 2003، ص 98)

فالمجهول الذي يبتلع السندباد يعرّضه إلى الهلاك حيث يأوي مع رفاقه الناجين من الغرق إلى جزيرة مجهولة لا يعرفون عنها شيئًا فتأسرهم «جماعة عراة... قبضوا علينا وأخذونا عند ملكهم... أحضروا لنا طعامًا... فلم تقبله نفسي ولم آكل منه... فلما

أكل أصحابي من ذلك الطعام ذهلت عقولهم وصاروا يأكلون مثل المجانين وتغيرت أحوالهم... وقد صار عندي هم عظيم من شدة الخوف على نفسي من هؤلاء العرايا وقد تأملتهم فإذا هم قوم مجوس وملك مدينتهم غول وكل من وصل إلى بلادهم... يطعمونه من ذلك الطعام... فيتسع جوفه لأجل أن يأكل كثيرًا... حتى يسمن ويغلظ فيذبحونه ويشوونه ويطعمونه لملكهم».(ألف ليلة وليلة، 1863، ص 101)

إن هذه المرحلة من شأنها أن تسهم في تغيير الكثير من مواقف البطل، وصوغ كيانه من جديد حيث ينخرط في أحداث متأزمة تفرض عليه التخلص منها. فالمرحلة هذه وظيفتها إخضاع السندباد إلى أول اختبار فعلي يحدد وجهة الصراع ونوعية الوسائل التي يجب توظيفها للخلاص. ولما كان لكل بطل خريطة طريق محددة لتغيير الواقع والتمرد عليه، فإن السندباد لا يملك غير الفطنة والذكاء، لذا فإنه يجوّع نفسه: «وأما أنا فقد صرت من شدة الخوف والجوع ضعيفاً سقيم الجسم وصار لحمي يابسًا على عظمي. فلما رأوني على هذه الحالة تركوني ونسوني». (ألف ليلة وليلة، 1863، ص 101) وبهذا تكون شخصية السندباد قد خطت أولى خطواتها في المغامرة، واكتسبت التهيؤ المطلوب لمواجهة عقبات أشدّ وعوائق أخطر.

بطن الحوت:

والسندباد إذ يتحرر من الغيلان «حرّاس القوة العظمى»، فإنه يتخطى حراس العتبة ويتخلص من طبيعته الدنيوية ويصبح جديرًا بالدخول إلى بطن الحوت المجسِّد لرحم الأم المؤدي «إلى الولادة الجديدة»، وهو صورة من الصور النمطية المكرّرة «للنمط الأعلى أو النموذج البدائي الذي هو جنة عدن، وتكون رحلة السندباد صورًا مكررة لصور نمطية واحدة، فكل هذه الصور صور استعارية للموت»، (حمد، 2017، ص 102) فالموت في سبيل ولادة جديدة هو شكل من استعادة التوازن النفسي.

بهروبه من جزيرة الغيلان يصل السندباد إلى مدينة عبر البحر ويعزه ملكها ويكرمه بتزويجه امرأة حسناء ذات مال وجمال، ويحدث أن عادات المدينة تنص على دفن الزوجين معًا في حال وفاة أحدهما. وعند وفاة زوجة السندباد يُنفّذ فيه هذا الحكم بإنزاله إلى البئر المؤدي إلى مغارة حيث رأى فيها «أمواتًا كثيرة ورائحتها منتنة كريهة... ثم إني صرت لا أعرف الليل من النهار وصرت أتقوت باليسير ولا آكل حتى يكاد أن يقطعني الجوع ولا أشرب حتى يشتد بي العطش وأنا خائف أن يفرغ ما عندي من الزاد والماء».

(ألف ليلة وليلة، 1863، ص 104) المغارة هي رمز للعالم السفلي حيث يخضع البطل لتغييرات نفسية جذرية، فالسندباد في رحلته الأولى هو الشخصية غير المستقرة، القلقة، المسكونة بمغريات المادة، والتوق إلى تحقيق المكاسب لاستعادة ما فقده من ثروة، أما السندباد في منتصف الرحلة الرابعة، وفي المغارة- القبر، هو شخصية مختلفة اكتسبت نظرة عميقة للوجود والحياة.

2.3 تلقين الأسرار:

طريق الاختبارات: وهو عبارة عن سلسلة من الاختبارات التي يجب أن يخضع لها البطل لبدء التحول الفعلي. وقد خاض السندباد بمفرده مغامراته السبع، متكئًا على ما يملكه من ذكاء لانتزاع حقه في الحياة بنفسه، إذ يعايش ما يعترضه من المشاكل والعوائق، ويتفكر في الحلول ليصل إلى السبيل الأمثل للبقاء.

الاختبار الأول:

فالاختبار الأول الذي كان عليه تخطيه هو كيفية البقاء على قيد الحياة في المغارة- القبر، ثم ينتهج الحل عندما «أنزلوا رجلًا ميتا وامرأة معه وهي تبكي وتصيح على نفسها، وقد أنزلوا عندها شيئًا كثيرًا من الزاد والماء... وأخذت في يدي قصبة رجل ميت وجئت إلى المرأة وضربتها في وسط رأسها فوقعت على الأرض مغشيًا عليها فضربتها ثانيًا وثالثًا فماتت فأخذت خبزها». (ألف ليلة وليلة، 1863، ص 105). إن توسيع مساحة الخطر تستلزم توسيع دائرة الامتحانات، وبالتالي تفعيل مهارات البطل، فيبرز فعل القتل عنده بعد أن رجحت كفة نزعة بقائه حيًّا، لأن «ساحة المعركة هي رمزية بالنسبة إلى الحياة حيث يعيش كل مخلوق من موت الآخرين».(كامبل، 2003، ص 244) وهكذا يقتات السندباد على موت غيره ممن أُنزلوا إلى المغارة أحياءً وذلك في سبيل الانتصار على موته هو، فيتوالى فعل التخلص من الآخرين لأنهم يشكلون تهديدًا لحياة البطل، وبالتالي استحالة إمكانية إكمال الرحلة.

الاختبار الثاني:

عندما يخطط السندباد للخلاص من المغارة، فهو نموذج البطل المثابر الدؤوب الرافض للاستسلام، ويتجسد الهروب عندما يسمع «شيئًا يكركب في جانب المغارة... ثم إني قمت ومشيت نحوه... فإذا هو وحش فتبعته إلى صدر المغارة فبان لي نور من

مكان صغير مثل النجمة... ومشيت إلى ناحية النور وإذا به ثقب في ظهر الجبل من الوحوش ثقبوه وصاروا يدخلون منه... فلما رأيته هدأت واطمأنت نفسي وارتاح قلبي وأيقنت بالحياة بعد الممات». (ألف ليلة وليلة، 1863، ص 105)

إن هذا اليقين بجعل المستحيل ممكنًا هو لحظة انتقال السندباد ليس فقط من العالم السفلي إلى العلوي، وليس من الموت إلى الحياة، بل هي انتقال من الذات الطفولية إلى الذات الناضجة، الذات الفاعلة التي تقضي على الخوف وترتكز على الفعل المباشر «ثم إني عالجت حتى طلعت من ذلك الثقب فرأيت نفسي على جانب البحر المالح فوق جبل عظيم وهو قاطع بين البحرين وبين الجزيرة والمدينة ولا يستطيع أحد الوصول إليه فحمدت الله تعالى وشكرته وفرحت فرحًا عظيمًا وقوي قلبي».(ألف ليلة وليلة، 1863، ص 105)

3.3 العودة:

هي تتويج لجميع التجارب السابقة عليها حيث تتضمن عودة البطل إلى بلاده وأهله وذلك بعد أن يكون

«قد قام بكل ما تطلبته منه مهمته وتوغل إلى المنبع، ووجد العون الذي ابتغاه... يبقى عليه أن يتخذ طريق العودة مع رمز الانتصار الذي ينبغي له أن يبدل الحياة»، (كامبل، 2003، ص 203) وهي تتألف من وحدات عدة:

الإنقاذ من الخارج:

تكمن أهمية الرحلة في أنها تنزع السندباد من عالمه الآمن وترمي به في أصقاع مجهولة، لأن ما ينتظره من مكافأة موجود هناك في عمق مكان مجهول معزول، ولكن «يمكن أن يحدث للبطل أن يُستعاد عبر عون خارجي من رحلته الماورائية، وهذا يعني أن العالم يجب أن يأتي إليه ويأخذه». (كامبل، 2003، ص 215) فالسندباد بعد أن اهتدى إلى مخرج المغارة أخذ ينقل ما يلقاه فيها من مصاغ وجواهر وحُلي وغيره، « وبينما أنا جالس يومًا من الأيام على جانب البحر وأنا متفكر في أمري وإذا بمركب سائر في وسط البحر العجاج المتلاطم بالأمواج فأخذت في يدي ثوبًا أبيض من ثياب الموتى وربطته في عكاز وجريت به على شاطئ البحر وصرت أشير إليهم بذلك الثوب حتى لاحت منهم التفاتة فرأوني وأنا في رأس الجبل، فجاؤوا إلي وسمعوا صوتي وأرسلوا

إليَّ زورقًا من عندهم وفيه جماعة من المركب». (ألف ليلة وليلة، 1863،ص 106)

فالبطل يحتاج إلى مساعدة خارجية تنقذه من الإقليم المجهول وتعيده إلى الحياة اليومية لأن التجربة، وإن منحته تغييرات إيجابية، إلّا أنها أيضًا عزلته وأصابته بالضعف، لذا لكي يعود المغامر فإن الإنقاذ يجب أن يكون خارجيًّا. ويأتي الإنقاذ في حكاية السندباد من خلال معونة خارجية تتمثل ببحارة عبروا وهو جالس في عزلته.

العودة عبر العتبة:

«لم تكن السفرة بكاملها عبر بلاد العجائب سوى المقدمة، وتحديدًا إلى المفارقة، حيث العبور الصعب بامتياز للعتبة لدى رجوع البطل من المجال الماورائي إلى مشهد الحياة اليومية». (كامبل، 2003، ص 224) يعبر السندباد الحاجز ذاته الذي اخترق في بدء الرحلة، عبر البحر «ولم نزل مسافرين من جزيرة إلى جزيرة، ومن بحر إلى بحر، وأنا أرجو النجاة، وصرت فرحانًا بسلامتي... وقد وصلنا بقدرة الله تعالى مع السلامة إلى مدينة البصرة فطلعت إليها وأقمت فيها أيامًا قلائل، وبعدها جئت إلى مدينة بغداد». (ألف ليلة وليلة، 1863، ص 106) فالسندباد يتبع مسار المغادرة نفسه في طريق عودته ولكن عكسيًّا.

الحرية من أجل الحياة:

بعودة السندباد إلى عالمه وحياته اليومية، يكتمل الشكل الدائري للرحلة بانغلاقها على مرحلة العودة، «فجئت إلى حارتي ودخلت داري وقابلت أهلي وأصحابي وسألت عنهم ففرحوا بسلامتي وهنوني وقد خزنت جميع ما كان معي من الأمتعة في حواصلي وتصدقت ووهبت وكسوت الأيتام والأرامل، وصرت في غاية البسط والسرور وقد عدت لما كنت عليه من المعاشرة والمرافقة ومصاحبة الإخوان واللهو والطرب، وهذا أعجب ما صار لي في السفرة الرابعة».(ألف ليلة وليلة، 1863، ص 106)

لقد استرد السندباد مركزيته بعد الانتصار، والمكافأة النهائية التي حصل عليها هي الحياة وليس فقط ما غنمه من كنوز وأموال من عوالم سفرته. فالنعمة التي تتوالى في كل رحلاته هي الحياة نفسها، وكيفية حفاظه عليها في أكثر الأماكن رعبًا ووحشية. وهو ملزم بإيصال رسالته إلى العالم من خلال رحلته لأن «البطل هو ذو الحظوة، ليس للأشياء التي صارت وإنما للأشياء التي تصير»، (كامبل، 2003، ص 249) كي

يستفيد الآخرون من تجربته، ولكي يكون جديرًا باكتساب صفة البطولة التي هي رمز لتقدير البطل لذاته، وأيضًا تقدير جماعته له.

فالسندباد يختزن ما هو أكثر من مجرد شخصية بطولية تطفو من عالم «ألف ليلة وليلة»، وما يغني حكايته هو الرحلة التي يقوم بها، خصوصًا وأنها قد أكسبته فرادة في التجوال والقلق ومشاركة الآخرين في الهموم الإنسانية. وقد تميزت تجربته ليس بإدخال القرّاء إلى عالمه بل دخوله هو إلى عالمهم لأنه عبّر عن أثمن ما في الوجود: الحياة والحفاظ عليها.

4. خاتمة:

إن تطبيق نموذج رحلة البطل لكامبل على السندباد أظهرت وجود بنية متماسكة لرحلته تنتظم في شكل يستوفي المراحل الأساسية: الانطلاق، تلقين الأسرار والعودة. وإن غابت بعض المراحل الفرعية إلا أن هذا الغياب لم يخلخل من بنية الرحلة، بل إن الرحلة الرابعة انطوت على مغامرة اكتملت فيها شروط monomyth، ما يؤهل صاحبها أن يرتقي بتجربته إلى مستوى عكس شمولية التجربة وتميزها الإنساني.

لقد تشكّلت الرحلة من بنيات متسقة تُظهر وحدتها العضوية: فالانطلاق تحقق عند نداء النفس للسفر، واجتياز عتبة ميناء مدينة البصرة إلى البحر، وصولًا إلى الجزيرة المجهولة والدخول في بطن الحوت. ثم مرحلة الاختبارات التي حوّلت السندباد من شاب غارق في اللهو إلى مجرد إنسان يسعى للنجاة وكيفية البقاء على قيد الحياة، لتتكلل نهاية الرحلة بالعودة إلى العالم الآمن ومعه المباركة النهائية والتي تمثلت بنعمة الحياة.

منحت الرحلة السندباد تحولات جوهرية في المعرفة: الموت والحياة، التغلب على المصاعب، اختراق المجهول. فلقد كان المحرك الأساسي لرحلة السندباد الأولى هو الدافع المادي المتمثل بالعوز، بينما انطلق في مغامرته الرابعة لاكتشاف البلاد ومعرفة الناس، والأهم هو تجديد الرغبة الإنسانية في المغامرة.

على الرغم من عدم امتلاكه لقوى خارقة كغيره من الأبطال، إلا أن رحلة السندباد تتمتع بأسطوريتها الخاصة حيث يتحرك بطلها ضمن فضاء غرائبي يتكثف من خلال وجود كائنات غريبة وعوالم عجيبة، وأدى تضخيم قدرات الخصوم (الغيلان) والأماكن (المغارة، البحر) إلى توسيع مساحة الخطر والتهديدات، وبالتالي تصعيد المواجهة بين

الأعداء وبين البطل. وفي هذا خلقٌ لعناصر أسطورية وسمت الرحلة من بدئها إلى ختامها.

تكمن في رحلة السندباد رمزية المخاوف العميقة والرغبات المشتركة للتجربة الإنسانية. وقد أكسبته الرحلة نضوجًا في شخصيته عبر سلسلة الاختبارات التي تعرض لها.

إن الرابط بين السندباد وبين رحلته رابط متين جدًا، فهذه الأخيرة تدخل في عمق الإنسانية حيث يتفاعل الصراع: صراع قوى الطبيعة مع الإنسان، صراع الإنسان مع الإنسان، صراع الإنسان مع نفسه.

تمثل رحلة السندباد مغامرة الإنسان وذلك أن الحبكة الدائرية ذاتها ما هي إلا دورة الحياة: ففي الإبحار انطلاق من المألوف إلى الاغتراب؛ وفي السفر لقاء الصعوبات والمشاكل والتيه ثم يليها الاختبارات الشاحنة للأمل والتعلق بالحياة لتتوج النهاية بالعودة مع المكافأة.

تقف رحلة السندباد في الليالي كمزيج من السحر والغرابة دون التخلي عن الأمل الإنساني في النجاة، فالبطل مغامر متوثب وسط أحداث زاخمة ورحلات سبع عجاب تتولد الواحدة من الأخرى، وتجربة المغامرة لديه تحوي من الدلالات الثرية ما يغذي هذه الشخصية بفرادتها الفنية وخصوصيتها المتميزة ويضعها في مراتب الأبطال ذوي الرحلات المهمة في التراث الأدبي.

لقد أظهر هذا البحث أن رحلة السندباد تشكّل مثالًا أصيلًا لنموذج جوزيف كامبل حيث أنها حافظت على اللبنات الأساسية لرحلة البطل، وإن غاب بعض البنيات، فإن هذ لم يؤثر في الهيكل البنائي وجسّدت حضورًا طاغيًا في الخريطة العامة لرحلات الأبطال تستحق أن يخصص لها المزيد من الدراسات والأبحاث المفصلة لتبيان عمقها وأصالتها.

5. قائمة المراجع:

- أحمد كمال زكي، النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته، بيروت: دار النهضة العربية، ط1، 1981؛
- ألف ليلة وليلة: مصححة على النسخة المطبوعة بمطبعة بولاق، القاهرة: مطبعة الأزهر الشريف، 1863؛
- جوزيف كامبل، البطل بألف وجه، دمشق: دار الكلمة، 2003؛
- عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي، بيروت: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، 2017؛
- علي حسن الفواز، هل غيّب المستشرقون قراءة الشعر في حكايات ألف ليلة وليلة، بغداد: مجلة الحوزة الشعرية، العدد 3، 2017؛
- غانم جواد الرضا الحسن، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع الهجري (العراق والمشرق الإسلامي)، بيروت: دار الكتب العلمية، 2010

5 – مفردة النحو في الشعر العربي في القرن الخامس للهجرة

م.د سجاد عباس حمزة

وزارة التربية/ الكلية التربوية المفتوحة / النجف الأشرف/العراق

sajjadalmusrij@gmail

ملخص

هذا البحث جاء بعد بحثين عن مفردة (النحو) الأول في القرون الهجرية الثلاثة الأولى، والثاني في القرن الرابع للهجرة، وهذا هو بحثي الثالث عن المفردة في القرن الخامس للهجرة، والبحث عن استعمال هذه الكلمة عند الشعراء الذين توفوا في هذا القرن، وهل كان هذا المصطلح متداولا في أشعارهم وهم يعبرون عن أغراض مختلفة تدخل هذه المفردة فيها؟ لأن ثقافة المجتمع تغيرت، وأصبحت الدروس العلمية تهتم بهذه الكلمة، وتتداولها، وكذلك الكتابات النثرية. ومنهجيتنا في البحث مناقشة الأبيات التي وردت فيها المفردة بحسب قدم تاريخ وفاة الشاعر. ووجد البحث أن شعراء هذا القرن استعملوا كلمة النحو في سياقات موضوعات مختلفة، وأن أكثرهم استعملها في شعر موضوعه شكوى الزمان، كما فعل أبو الحسن التهامي وأبو العلاء المعري وابن شرف القيرواني، ومنهم من استعملها في سياق الغزل كما فعل ابن نباته، وابن حزم، ومنهم من استعملها في سياق الهجاء كما فعل أبو العلاء المعري، والشريف العقيلي، وقد استعملها في المدح والرثاء الحصري القيرواني، واستعملها في التعليم والجدل عبد القاهر الجرجاني، وقد استعمل المفردة تسعة شعراء فقط، بعضهم علماء كبار مثل ابن حزم الظاهري في الفقه وعبد القاهر الجرجاني في البلاغة.

summary

This research came after two searches for the term (grammar), the first in the first three Hijri centuries and the second in the fourth century of Hijri, and this is my third search for the term in the fifth century of Hijri. and the search for the use of this word by poets who died in this century, and was this term used in

their poems They express different purposes in which this word enters? because the culture of society has changed, and the scientific lessons became concerned with this word and its circulation, as well as the prose writings. The research found that the poets of this century used the word (grammar) in the contexts of different topics and that most of them used it in poetry whose subject is the complaint of time, as did Abu al-Hasan al-Tuhami, Abu al-Ala al-Ma'ari and Ibn Sharaf al-Qayrawani. And some of them used it in the context of satire, as did Abu Al-Ala Al-Maarri and Al-Sharif Al-Aqili, and he used it in praise and lamentation Al-Husari Al-Qayrawani, and he used it in the educational poetry of Abd Al-Qaher Al-Jurjani. Only eight poets used the word, some of whom are great scholars such as Ibn Hazm al-Zahiri in jurisprudence and Abd al-Qaher al-Jurjani in rhetoric.

استكمالا لبحثين سابقين عن مفردة (النحو) الأول في القرون الهجرية الثلاثة الأولى، والثاني في القرن الرابع للهجرة، وهذا البحث الثالث، وهو عن المفردة في القرن الخامس للهجرة، والبحث عن هذه الكلمة انطلاقا من أهمية النحو في خدمة اللغة العربية، وتأثر الشعر والشعراء به حتى صار هذا المصطلح متداولا في الأشعار وهم يعبرون عن أغراض مختلفة لدخول هذه المفردة في ثقافة المجتمع، وانتشارها في الدروس العلمية، وتداولها في الحديث والكتابات النثرية، واستمرارا على منهجيتي في البحثين السابقين سأناقش الأبيات التي وردت فيها المفردة ابتداء من الشاعر الأقدم وفاة.

ابن نباتة السعدي[1] (ت405هـ)

قال متغزلا[2]: (من الطويل)

أُطارحه بالنحو يوماً تعللاً فيبدو وللإعراب منه دلائِلُ
ويرفع وصلي وهو مفعول في الهوى وينصب هجري عامدا وهو فاعل
تفقهت في عشقي له مثل ما غدا خبيرا بأحكام الخلاف يجادل

يناقش محبوبه في النحو لا حاجة منه إلى النحو بل حبا به ورغبة في حديثه، لكن هذا المحبوب عنده خبرة كافية في تقديم أدلة النحو والإعراب، ومع ذلك فقد بانت للشاعر حجة على محبوبه إذ رفع وصله ونصب هجره، فيتبادر إلى الذهن أنه طبق الحكمين النحويين على الكلمتين، الرفع على (وصل) وهي في موضع المفعول والنصب على (هجر) وهي في موضع الفاعل، فأخطأ الحكم، ولكنه في الحقيقة أخطأ بمعنى آخر إذ رفع وصله أي أزاله ونصب هجره أي: أقامه فتفقه الشاعر للمحبوب في هذه المعاني النحوية بهذه التورية فحول حديث النحو إلى حديث العشق.

أبو الحسن التهامي[3] (ت416هـ)

قال يذكر حاله وما لاقاه من الزمان[4]: (من البسيط)

قَد حُزت مِن فاخر الآدابِ ما عَجِزَت عَن نَيلِ أَمثالِهِ نَفس لِمطَّلبِ
مِنَ الحِسابِ وَمن علم الغَريب مَعاً والنحو ما لَم يَكُن فيهِ بِمُكتَسِبِ

هذه من قصيدة طويلة من ثمانية وخمسين بيتا. هذان البيتان تسلسلهما 14و15، يعتب فيهما على الزمان الذي ينزل الأديب عن مرتبته، ويرفع الجاهل إلى ما لا يستحقه، وهو هنا يعدد مواهبه التي منها علم الحساب وغريب اللغة والنحو التي يرغب الناس في

(1) «عَبْد العزيز بْن عُمَر بْن مُحَمَّد بْن أحمد بْن نُباتة بْن حُميد بْن نُباتة، أبو نصر التّميميّ السَّعْدي البغداديّ. [ت405هـ] أحد الشُّعراء المجوّدين، مدحَ الملوك والوزراء، وله في سيف الدّولة غُرر القصائد» تاريخ الإسلام ت بشار 9/ 85.
(2) ديوان ابن نباته السعدي 2/624 ظ: المستطرف في كل فن مستظرف 415.
(3) «علي بن محمد بن نهد التهامي، أبو الحسن: شاعر مشهور، من أهل تهامة... زار الشام والعراق... ثم رحل إلى مصر، متخفيا» فحبس، ثم قتل سرا. ظ: الأعلام للزركلي 4/ 327.
(4) ديوان أبي الحسن التهامي 98.

تعلمها، ولا يتحصل لهم ذلك لصعوبته، وحاجته إلى الذكاء والجهد اللذين يتمتع بهما الشاعر.

أبو العلاء المعري[1] (ت449هـ)

قال في من تعلم النحو من العجم[2]: (من البسيط)

تَخَيُّلٌ مِن بَني الدُّنيا غَدا عَجَباً ... لِلمُفكِرينَ وَكُلُّ الناسِ مَحسورُ
كَأَنَّ إِعرابَ أَعرابٍ ثَوَوا زَمَناً ... بِالدَوِّ فينا بِحُكمِ النحو مَأسورُ
فَناطِقٌ يَسكُنُ الأَمصارَ مِن عَجَمٍ ... نُطقَ اِبنِ بَيداءَ لَمّا يَحوِهِ سور
وَناظِمٌ لِعَروضِ الشِعرِ عَن عُرُضٍ ... وَما يُحِسُّ بِأَنَّ البَيتَ مَكسورُ

هذه الأبيات الأولى من مقطوعة من خمسة أبيات يتعجب فيها المعري من الناس فيتحدث عن قوم من الأعاجم سكنوا في الصحراء القريبة منهم، يقول: إعرابهم أسير لحكم النحو لا ينفك عنه وهم من دونه لا يعرفون النطق الصحيح، ثم حذف همزة الاستفهام للضرورة الشعرية وهو جائز أي: أ فناطق يسكن المدن يستطيع أن ينطق مثل نطق الأعراب بدو الصحراء التي لا يحدها سور مثل المدينة؟ لأن الأعراب لا يتكلفون الفصاحة بل هي ديدنهم، وكذلك الشعر، هؤلاء الأعاجم لا يقيمون وزنه ولا يحسون خلله.

كما قال عمار الكلبي[3]:(من البسيط)

وبين قوم على إعرابهم طبعوا ... كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم

وقال في الشكوى[4]: (من المنسرح)

أُفٍّ لِما نَحنُ فيهِ مِن عَنَتٍ ... فَكُلُّنا في تَحَيُّلٍ وَدُلَس
ما النحو وَالشِعرُ وَالكَلامُ وَما ... مُرَقِّشٌ[1] وَالمُسَيَّبُ بنُ عَلَس[2]

(1) «أحمد بن عبد الله بن سليمان، التنوخيّ المعري: شاعر فيلسوف. ولد ومات في معرة النعمان. كان نحيف الجسم، أصيب بالجدريّ صغيرا فعمي في السنة الرابعة من عمره» الأعلام للزركلي 1/ 157.

(2) اللزوميات: 1/315.

(3) الخصائص 1/ 241.

(4) اللزوميات 2/54.

هذان هما البيتان الأولان من قصيدة من اثني عشر بيتا يشكو فيها عناءه من الحياة، وأن الناس يعيشون في الحيلة والتدليس، ثم يستخف بالعلوم باستفهام استنكاري، ويذكر النحو على رأسها، وكذلك الشعر الذي هو حرفته، وعلم الكلام الذي برع به وبالفلسفة، ثم يستخف بالشعراء فيذكر اثنين من أقدم الشعراء في الجاهلية المرقش، وهما مرقشان الأكبر والأصغر الأول عم الثاني، كلاهما عاصر مهلهلا الذي قيل هو أول من هلهل الشعر، ولعله يقصد الأكبر لقدمه أو الأصغر لأنه أشعر، وأما المسيب فهو جاهلي أيضا، وهو خال الأعشى[1]، وهو هنا يعكس خيبته من تعلمه العلوم وقوله الشعر الذي لم يرتح من عنته، وتعبه ومعاناته.

الشريف العقيلي[2] (ت450هـ)

قال هاجيا[3]: (من الطويل)

خِلالُكَ لَو كُنتَ الخَليلَ قَبيحَةٌ وَطَبعُكَ لَو كُنتَ المُبَرِّدَ بارِدُ
تَغالَطَ في النحو الَّذي ما قَرَأتَهُ عَلى أَحَدٍ مِن أَهلِهِ وَتَكابَدُ

من مقطوعة من خمسة أبيات، العقيلي هنا يهجو رجلا، فينتقص من صفاته وطبائعه، والظاهر أن هذا الرجل نحوي أو ممن يتعاطى النحو، فيقول له لا تعجبني تصرفاتك وإن كنت الخليل الفراهيدي رأس النحو ومثبت أركانه، وطبائعك وعاداتك باردة سمجة وإن كنت المبرد إمام النحاة في بغداد في زمنه، ثم يصف كلامه في النحو بأنه مغالطات، ويصمه بأنه لم يقرأ النحو على شيخ، وهي تهمة أهل العلم في ذلك الزمان فمن حفظ العلم من الكتب لا يعد عالما بل ينبغي أن يقرأها على أستاذ ليصح علمه.

ابن حزم الظاهري[4] (ت456هـ)

---

(1) ظ: الهامشين في أعلاه.

(2) «علي بن الحسين بن حيدرة العقيلي، الشريف أبو الحسن، من سلالة عقيل بن أبي طالب: شاعر، من سكان الفسطاط (بالقاهرة) اشتهر بإجادته التشبيه وإكثاره من الاستعارات البيانية» الأعلام للزركلي 4/ 279.

(3) ديوان الشريف العقيلي 96.

(4) «علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم (الحزْمية).. أشهر مصنفاته (الفصل في الملل والأهواء والنحل) وله (المحلى)... فقه، و(جمهرة الأنساب)» الأعلام للزركلي 4/ 254.

قال متغزلا[1]: (من الطويل)

فليس لعيني عند غيرك موقفٌ كأن لك ما يحكون من حجر البهت

أصرفها حيث انصرفت وكيفما تقلبت كالمنعوت في النحو والنعت

في هذين البيتين يصف إدمان المحب النظر إلى محبوبه، ويصف نفسه بأنه لا يحيد بنظره عن محبوبه، وشبهه بحجر البهت وهو حجر «أبيض شفاف... إذا رآه الإنسان غلب عليه الضحك والسرور، وتقضى حوائج حامله عند كل أحد»[2] ، ثم شبه عينه ومحبوبه، بالنعت والمنعوت في النحو، فالنعت يتبع منعوته في كل شيء تقريبا في الإعراب والتعريف والتنكير، والتذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع، فعينه تتبع محبوبه لا تفارقه كالنعت في النحو في تبعيته للمنعوت.

ابن شرف القيرواني[3] (ت460هـ)

قال يشكو زمانه[4]: (من الكامل)

ما لي يُعاقِبُني الزَمانُ وَلَيسَ لي ذَنبٌ كَأَنّي عَمرُو المَضروبُ

ما كـــــانَ أَولاني بِحُكمِ المُبتَدا في النحو لَو أَنَّ الزَمانَ أَديبُ

هذان البيتان في الشكوى من الزمان، وأنه يعاقب بلا ذنب ارتكبه، ولا جريرة اجترها كما وقع الضرب على (عمرو) في أمثلة النحو المتكررة في كتب النحو إذ يتكرر تمثيلهم بالفعل (ضرب) للمتعدي و(عمرو) للمفعول به، ثم قال إنه يستحق حكم المبتدأ، وهو الرفع النحوي والتقدم في الكلام لا النصب والمفعولية والضرب التي تقع على (عمرو)، لكنه هنا يعني بحكم المبتدأ الشرف والعلو في المرتبة وهو المعنى المخفي.

(1) طوق الحمامة لابن حزم 103، ولم أجدهما في الديوان.
(2) خريدة العجائب وفريدة الغرائب 295.
(3) «محمد بن سعيد بن أحمد بن شرف الجذامي القيرواني، أبو عبد الله: كاتب مترسل، وشاعر أديب. ولد في القيروان، واتصل بالمعز بن باديس أمير إفريقية، فألحقه بديوان حاشيته، ثم جعله في ندمائه... مات بإشبيليّة. من كتبه (أبكار الأفكار)» الأعلام للزركلي 6/ 138.
(4) ديوان ابن شرف القيرواني 28، ظ: خريدة القصر وجريدة العصر – قسم المغرب والأندلس 1/ 342

عبد القاهر الجرجاني[1] (ت471هـ)

قال شارحا نظريته في الإعجاز[2]: (من البسيط)

وقد علمنا بأن النظم ليس سـوى		حكم من النحو نمضي في توخيه
لو نقب الأرض باغ غير ذاك له		معنى وصعد يعلو في ترقيه
ما عاد إلا بخسر في تطلبه		ولا رأى غير غيّ في تبغيه

من قصيدة في ثلاثة وعشرين بيتا يدافع فيها عن نظريته في أن إعجاز القرآن الكريم بنظمه لا بشيء آخر، فيقول إن حكم النحو الذي نتوخاه هو النظم، وإن توخي معاني النحو هو الإعجاز، وإن الاسم هو المسند إليه يسند إليه اسم أو فعل فيتم المعنى، وما بعده الفضلات لا سبيل إلى الإعجاز إلا بهذا، ومكان الكلمة النحوي هو الذي يحدد بلاغتها، ودقة معناها المهم هو استعمل مفردة النحو وهو يؤسس لنظريته وجعل النحو أس البلاغة والإعجاز.

علي الحصري القيرواني[3] (ت488هـ)

قال مادحا: (من المتدارك)

لا عُذرَ لمادِحِهِ إن لَمْ		يُدفق بغرِيبٍ يَنْقُده
غَيْلانُ الشعْرِ قُدَامَتُه		جَرْمِيُّ النحو مُبَرّدُهُ
وخَليلُ لُغاتِ الْعُرْبِ يقـ		فِي كتابَ الْعَيْنِ وَيَسْرُدهُ

من قصيدة في المدح لها مقدمة غزلية رائعة. أبيات القصيدة تسعة وتسعين بيتا. وهنا يقول لا عذر للمادح لهذا الشخص إن لم يستعمل الغريب إذ الممدوح ممن يبحث عن الغريب، ويفهمه ولا يتقبل شعرا سهلا سطحيا مفهوما، وهو شاعر مثل غيلان، ولعله يقصد غيْلان بن سلمة الثقفي (ت23هـ) «حكيم شاعر جاهلي. أدرك الإسلام»، أو

(1) «عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة. كان من أئمة اللغمة. من أهل جرجان... له شعر... من كتبه: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز.. « الأعلام للزركلي 4/ 48.

(2) دلائل الإعجاز 12.

(3) «علي بن عبد الغني الفهري الحصري، أبو الحسن شاعر مشهور، له القصيدة التي مطلعها: (يا ليل الصب متى غده) كان ضريرا، من أهل القيروان، انتقل إلى الأندلس ومات في طنجة. اتصل ببعض الملوك ومدح المعتمد ابن عباد بقصائد، وألف له كتاب (المستحسن من الأشعار)» الأعلام للزركلي 4/ 300 و301.

يقصد ذا الرمة (ت117هـ) اسمه «غيلان بن عقبة بن نهيس... العدوي... شاعر، من فحول الطبقة الثانية في عصره. قال أبو عَمْرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة»[1]، ناقد للشعر مثل قدامة (ت337هـ)، وهو «قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي... كاتب، من البلغاء الفصحاء... يضرب به المثل في البلاغة. له كتب، منها... نقد الشعر» [2] فهو ناقد بصير بالشعر، والممدوح عند الشاعر كغيلان في الشعر وقدامة في النقد، وهو في النحو كالجرمي (ت225هـ) الذي «قَرَأَ كتاب سِيبَوَيْه على أبي الْحسن الْأَخْفَش، ولَقي يُونُس بن حبيب، لم يلق سِيبَوَيْهٍ... كَانَ أغوص نظرا من الْمَازِنِي، وَكَانَ الْمَازِنِي أحدَّ مِنْهُ. وَله كتاب (فرخ سِيبَوَيْهٍ)، وَله كتاب فِي التَّصريف»[3]، وكالمبرد (ت285هـ) الذي هو «من العلم وغَزارة الأدب على ما ليس عليه أحد ممَّن تقدَّمه أو تأخَّر عن»[4] وهما علمان كبيران في النحو وهو كالخليل في اللهجات واللغات يستطيع أن ينظم كتاب العين شعرا إن كان الخليل جاء به نثرا.

وقال راثيا مؤبنا ابنه: (من الطويل)

شبَيهي لَو أَربى عَلى العَشرِ أَربعاً	رَوى عَنّي القُرآن وَالشِعر وَالشرعا
وَفَنّدَني فـي كُلِّ مَـدحٍ أَحوكهُ	لِقَـومٍ أسمّيهِم وَهُـم عَربٌ نَبعا
قَرَأتُ أَعـاريضَ الخَليلِ ولَم أَكُن	لِأَقرَأَها لَـو كُنـتُ أشبههُ طَبعا
يَكادُ وَإِن لَم يَقرأ النحو يافِعاً	يعلّل مِنهُ النَصب وَالخَفض وَالرَفعا

يرثي ابنه ويعدد صفاته وسماته، وأنه شبيه بأبيه، فلو بلغ أربع عشرة سنة لروى عن أبيه القرآن الكريم والشعر والفقه والعلوم الشرعية، ولأشكل عليه في الشعر، وأبطل كل مدائحه، وإن كانت في عرب أقحاح، ويقول لقد تعلمت العروض، ولو كنت مثله لما احتجت إلى تعلمه لأنه يعرف أوزان الشعر بلا عروض ولا تعلم وكذلك النحو لم يقرأه، ولكنه يعلل أحكامه في الرفع والنصب والجر، ويفهم تفاصيله، فهو يفضل ابنه المفجوع به على نفسه، وإن كان يفتخر بعلمه وإنجازاته، وهنا نقف عند إشارته بان النحو يمكن

---

(1) الأعلام للزركلي 5/ 124.
(2) الأعلام للزركلي 5/ 191.
(3) تاريخ العلماء النحويين للتنوخي 73.
(4) طبقات النحويين واللغويين 101.

أن يتعلمه الذكي بلا دراسة منهجية، وفي هذا مبالغة نعم يمكن للمجالس الأدبية أن تقدم المعلومة للأذكياء، فيتعلمون شطرا من فنون النحو وعلله.

بدر بن الخضر السروي[1] (توفي تقريبا 500هـ)

قال مثبطا عن دراسة النحو[2]: (من الخفيف)

فرغ القلب عن مسائل نحو واشتغل بالحساب والفارسيه

وتشرط على الورى تتشرف ذهــب اليــوم دولة العربية

هذا الفقيه الشافعي يدعو إلى ترك النحو بل نسيانه، والكلام بالفارسية عوضا عنها، وتعلم الحساب أيضا بدل النحو، والتشرط على الناس: وضع شروط عديدة عليهم من باب التكبر، والسيطرة يقول التشرط يشرفك أي يرفع قدرك بينهم، وعلة كل هذا الذي ذكره أن دولة العربية ذهبت لأن دولتي البويهيين والسلاجقة اللتين عاصرهما حكمتا بغداد، وسيطرتا على الخليفة، وجعلتاه ألعوبة في أيديهما، والدولة العباسية العربية في اضمحلال وضعف، وقال (ذهب) ولم يقل (ذهبت)، وهو جائز لأن الفاعل المؤنث مجازي ظاهر.

(1) «بدر بن الْخضر السروي أَبُو سعد الْفَقِيه الشَّافِعِي قدم بَغْدَاد فِي طلب الْعلم وَقَرَأَ الْفِقْه على أبي إِسْحَق الشيرازي» الوافي بالوفيات 10/ 56.
(2) معجم السفر 390.

الخاتمة:

– استعمل شعراء هذا القرن كلمة النحو في سياقات موضوعات مختلفة وقد رصد البحث أن أكثرهم استعملها في شعر موضوعه شكوى الزمان، كما فعل أبو الحسن التهامي وأبو العلاء المعري وابن شرف القيرواني.

– ومنهم من استعملها في سياق الغزل كما فعل ابن نباته وابن حزم.

– ومنهم من استعملها في سياق الهجاء كما فعل أبو العلاء المعري والشريف العقيلي والسروي.

– وقد استعملها في المدح الحصري القيرواني، واستعملها في الرثاء الحصري القيرواني، واستعملها في التعليم والجدل عبد القاهر الجرجاني.

– قد رفعت أحد الأبيات من البحث لاشتماله على فحش، وكلام بذيء.

– استعمل المفردة تسعة شعراء فقط لكن بعضهم استعملها أكثر من مرة.

– بعض الشعراء الذين ذكروا المفردة علماء كبار مثل ابن حزم الظاهري في الفقه وعبد القاهر الجرجاني في البلاغة.

المصادر

– **الأعلام** / المؤلف خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت 1396 هـ) –. – بيروت: دار العلم للملايين، مايو 2002 م. – ط 15.

الخصائص / المؤلف أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392 هـ). – القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. – ط 4.

اللزوميات لشاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء أبي العلاء المعري / المؤلف أبو العلاء المعري / المحرر أمين عبد العزيز الخانجي. – بيروت، القاهرة: مكتبة الهلال، مكتبة الخانجي.

المستطرف في كل فن مستظرف / المؤلف شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (ت 852 هـ). – بيروت: عالم الكتب، 1419هـ.

الوافي بالوفيات / المؤلف صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت 764 هـ) الصفدي – / المحرر أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى –. – بيروت: دار إحياء التراث، 2000م.

تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام / المؤلف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت748هـ) الذهبي – / المحرر المحقق: د. بشار عوّاد معروف. – بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2003م. – ط 1.

تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم. / المؤلف أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (ت 442 هـ) / المحرر المحقق: د. عبد الفتاح محمد الحلو –. – القاهرة : هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1992م. – ط 2.

خريدة العجائب وفريدة الغرائب / المؤلف سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، البكري القرشي، المعري ثم الحلبي (ت٨٥٢هـ) / المحرر أنور محمود زناتي – كلية التربية، جامعة عين شمس –. – القاهرة: مكتبة الثقافة الإسلامية، 2008. – ط 1.

خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء المغرب 1 / المحرر المحقق: محمد المرزوقي وآخرون. – ت: الدار التونسية للنشر، 1986م.

دلائل الإعجاز في علم المعاني / المؤلف أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت 471 هـ) / المحرر محمود محمد شاكر أبو فهر –. – جدة : مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني، 1992م. – ط 3.

ديوان ابن شرف القيرواني / المؤلف أبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني / المحرر المحقق: حسن ذكري حسن –. – القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، 1983.

ديوان ابن نباتة السعدي / المؤلف أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن نباتة السعدي / المحرر دراسة وحقيق: عبد الأمير مهدي حبيب الطائي –. – بغداد: دار الحرية للطباعة، 1977م.

– **ديوان أبي الحسن علي بن محمد التهامي** / المؤلف أبو الحسن علي بن محمد التهامي (ت416هـ) / المحرر الدكتور محمد بن عبد الرحمن بن ربيع استاذ مساعد في جامعة محمد بن سعود الاسلامية –. – الرياض: مكتبة المعارف، 1982م. – ط 1.

– **ديوان الشريف العقيلي** / المؤلف الشريف علي بن محمد العقيلي / المحرر المحقق: د. زكي

المحاسني -.

- القاهرة: دار إحياء الكتب العربية/ عيسى البابي وشركاه.

- **طبقات النحويين واللغويين** / المؤلف محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (ت 379 هـ) الزبيدي - / المحرر المحقق: محمد أبو الفضل ابراهيم -.

- ت: دار المعارف. - ط 2.

- **طوق الحمامة في الالفة والآلاف** / المؤلف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت 456 هـ) / المحرر د. إحسان عباس -

- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987م. - ط 2.

- **معجم السفر** / المؤلف صدر الدين، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه الأصبهاني (ت 576 هـ) / المحرر المحقق: عبد الله عمر البارودي -.

- مكة المكرمة : المكتبة التجارية.

- **معجم الشعراء** / المؤلف للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت: 384 هـ).

باب العلوم الاجتماعية:

1- المرأة المعاصرة المثقفة ودورها في المجتمع المصري «"أثقل من رضوى" لـرضوى عاشور نموذجاً»

بقلم كل من الدكتورة كبرى روشنفكر والدكتورة سميرا حيدري راد

korshan@modares.ac.ir

00989122978266

تاريخ الاستلام: 6/4/2022 تاريخ القبول: 4/5/2022

الملخّص

الشخصية هي من أهم المكوّنات السردية في الأدب القصصي. وهي تلعب دوراً أساسياً في تجسيد أيديولوجية الكاتبة. وللشخصية الروائية تصنيفات متعددة لكن هذه التصنيفات لم تعتن بفكرة الجنوسة، ولا ينظر النقّاد غالبًا إلى جنس الشخصية في دراسة السرد. والمرأة الكاتبة تفكّر وتسعى دوماً إلى ارتفاع شأنها من حيّز الهامش إلى حيّز المركز من خلال ترسيم الشخصيات النسائية في أعمالها الروائية. تهدف هذه الدراسة باعتماد المنهج الوصفي–التحليلي إلى تحليل الشخصيات النسائية في رواية "أثقل من رضوى" لرضوى عاشور الكاتبة المصرية المعاصرة، وذلك وفق آراء إدوارد سعيد في ضوء نظرية ما بعد الكولونيالية. وتوصلت إلى نتائج أهمّها؛ الشخصية الرئيسة المثقّفة هي رضوى عاشور التي تدافع عن النساء الهامشيات. وموقفها بالنسبة إلى السلطة موقف تحدّ. وهي من الشخصيات الثورية التي تدعو النساء إلى المساهمة السياسية. في هذه الرواية نرى أنّ رضوى تتحدث عن غرض الكتابة عند المرأة ثمّ تركز على شخصيات البطلات في جميع أعمالها الروائية لتشير إلى صلة عميقة بينها وبين الشخصيات النسائية وتتفق هذه الشخصية مع السمات الأساسية التي يعدّها إدوارد سعيد للشخصية الهامشية المثقّفة.

المفردات الرئيسة: شخصية المرأة، المثقفة، إدوارد سعيد، رضوى عاشور ، أثقل من رضوى.

1-المقدمة

لا تزال الشخصية في التحليل الروائي تحظى بالأهمية القصوى، لهذا ليس بإمكاننا أن نتصور الرواية دون حضور الشخصيات فيها. ويصنّف النقد الأدبي الشخصيات حسب أطوارها عبر العمل الروائي. ومن الواضح أنّ هذه التصنيفات السردية للشخصية لم تعتن أبدا بفكرة الجنوسة، إذ لا ينظر النقاد إلى جنس الشخصية ولا ينتبهون إلى الصوت الجنوسي في تحليلهم للشخصية. ويظهر غياب فكرة الجنوسة والصوت النسوي في دراسة السرديات للشخصية الروائية.

«الذات الأنثوية قد تتبدي في النصوص الأدبية بشكل مباشر أي من خلال "الأنا" الساردة أو بشكل غير مباشر من خلال "الشخصيات النسائية" المنتشرة في العمل السردي» (العيسي، 2010: 48).

إذن تأتي مهمة النقد النسوي في إقصاء (القراءة الأبوية)[1]وإحلالها نوعاً آخر أكثر صحة يفرض نفسه مكانه، ويكون له حضور مساو للقراءة البطريركية التي تعكس رؤية الرجل فقط، الأمر الذي يتماشى مع نظرية ما بعد الاستعمار التي تطلب توخي الحذر لدى التعامل مع منظومات القيم التي طوّرها الرجل الغربي المتفوّق، والتي منحته مجموعة من الامتيازات يغدو من الصعب أن يتنازل عنها بسهولة، وهي الامتيازات التي مكنته آليات القمع المتوالية من الحصول عليها، يتمثّل بعضها في عملية إسكات الآخر وإخراسه (محمود ابراهيم، دت: 14).

ظهرت دراسات ما بعد الحقبة الاستعمارية على أنّها ردّ فعل على تحيّزات الخطاب الاستعماري وما لبثت تلك الدراسات أن تعمّقت في سائر أنحاء العالم فشملت المرأة والجنوسة[2]. والجنوسة مفهوم تمحور حول الدراسات النسائية في كافة المجالات. لعلّ أهم ما أقرّه الباحثون هو أنّ الجنوسة لا علاقة لها بالجنس البشري البيولوجي، فالجنوسة ليست بنية طبيعية وليست حتمية بيولوجية وإنّما تركيبة اجتماعية لا علاقة لها بالتكوين الجنوسي البشري (الرويلي والبازغي،2005: 154-159).

أخذت قضية الجنوسة بعدها النظري والتحليلي فظهر أنّ المرأة لم تكن تابعة فقط بسبب هيمنة المفاهيم الاستعمارية إنّما هي تابعة أيضا بفعل الثقافة الذكورية. والاستعمار

(1) patriarchal

(2) Gender

والذكورية أحالا المرأة تابعة. ولهذا حاولت هذه الدراسات إنصاف المرأة والنظر إليها كائناً اجتماعياً فعّالاً (إبراهيم، 2011: 55-79).

هذه الدراسة تهدف الوصول إلى الغايات التالية:

1-الكشف عن رؤية الكاتبة المعاصرة بالنسبة للمرأة من خلال أعمالها.[1]

2-التعرف إلى السمات البارزة للمرأة البطلة في أعمال رضوى عاشور الروائية.

وللعثور على الأهداف المنشودة تحاول الإجابة عن الأسئلة التالية:

1-كيف تجلت شخصية المرأة المثقفة في أعمال رضوى عاشور؟

2-ما أهم المؤثرات والاتجاهات الفكرية التي وجهت آراء رضوى عاشور في مجال المرأة؟

1-1. خلفية البحث

«المرأة المثقفة في الرواية العربية الحديثة» (2007) للمؤتمر الأول لشعبة القصة والرواية باتحاد الكتاب. هذا الكتاب يجمع بين العمق العلمي بأبحاثه الجادة التي صاغتها أقلام النقاد والباحثين. وتدور الأبحاث حول محورين رئيسين: المرأة المثقفة وكيف ترى نفسها، والرجل ومشاهداته للمرأة المثقفة. ويضم المحوران أربعة محاور: لطيفة الزيات وجيل الريادة، ومقاربة أولية للمرأة المثقفة في الرواية العربية، والمرأة والقهر الثقافي في أعمال طه حسين القصصية، وتجليات الدور النسوي في الرواية العربية.

«المرأة في الرواية الجزائرية» (2009) لصالح مفقودة. يقوم المؤلف في هذا الكتاب بتحليل قضية المرأة في مجتمع الجزائر. كما يتحدّث عن الرواية وعلاقتها بالواقع وتعبيرها عن المرأة، وهو الموضوع الأساسي الذي يمتد عبر ثلاثة أبواب هي: الجانب الجنسي، والأنثوي، وتمرّدها على الأوضاع والقيم. ثمّ الإشارة إلى المصادر التي استقى منها الروائيون صورهم عن المرأة مثل الأسطورة، الخرافة، التراث، التاريخ والحضارة الغربية. ويتناول الملامح العامة لصورة المرأة في الرواية الجزائرية ودورها في المجتمع بين النمطية والانتقالية متطرقاً إلى شخصية المرأة الثورية والمرأة المتعلّمة الممتثلة في الطالبة الجامعية.

«غادة السمان وغزاله عليزادة (الأدب المقارن والنقد الروائي)» (2009-2010)

---

(1)

لسمية آقاجاني يزدآبادي. أطروحة الدكتوراه في جامعة دمشق. تعالج الباحثة روايات غادة السمان كلّها وهي: بيروت 75، كوابيس بيروت، ليلة المليار، الرواية المستحيلة-فسيفساء دمشقية وسهرة تنكرية للموتى. كما تتناول روايات غزاله عليزاده جميعها. تعتمد هذه الدراسة على منهج المدرسة الأمريكية والسلافية. وتخصص قسماً من دراستها إلى جماليات الشخصية في نصوص غادة السمان وغزاله عليزاده. ونماذج مختارة للشخصية هي: الشخصية المثقّفة وعلاقتها بالإصلاح والاغتراب والمرأة، الشخصية الانتهازية وشخصية الآخر الغربي وسماتها الإيجابية والسلبية.

«المروي له وسيلة حداثية في الرواية التاريخية المعاصرة (رضوى عاشور نموذجاً)» (2014) لسلوى شكري شاكر النعيمي. هذه الدراسة تحاول من خلال دراسة مواقع وأصناف المروي له أن تكشف عن العلاقة بين الرواي والمروي له، طريقة حداثية للتعامل مع المروي له طريقة تعترف بكونه مكوّناً أساسياً من المكوّنات السردية.

بعد أن استعرضنا الدراسات السابقة في مجال شخصية المرأة في الرواية العربية على مختلف أنواعها. رأينا كيفية ظهورها بالنسبة للظروف المحيطة بها. وكذلك استطعنا أن نتعرّف إلى شخصية المرأة بشيء من التمحيص في ساحة الرواية. وطبقا للاستعراضات السابقة نستنتج أنّ النظرة العامة للمرأة العربية تقتصر على ردّة فعلها أمام المجتمع الذكوري فحسب. والدراسات السابقة تقوم بتحليل شخصية المرأة من رؤية الأم، الزوجة، البنت، الأخت، التقليدية، المتمرّدة والمثقفة، المستلبة، الخاضعة، المتعلمة، الحبيبة، المومس وإلخ... لكنّ هذه الدراسة تبحث عن شخصية المرأة المثقّفة وموقفها من المرأة العربية، السلطة، السياسة على أساس آراء إدوارد سعيد حول شخصية المثقّف في «أثقل من رضوى».

2-الإطار النظري

فوجد المثقف العربي نفسه بين المركزية والهامشية في الآن نفسه، فمركزيته تتجلّى في أنّه: مثقّف مستقلّ في أقصى حد، ذو رؤية اجتماعية متقدّة وقدرة مدهشة على نقل أفكاره. أمّا هامشيته فتظهر عندما يطرح هذه الأفكار «ليس فقط على نحو معارض سلبيا، بل يكون مستعدّا لقول ذلك علانية وعلى نحو نشط» (سعيد، دت: 32-35).

ثَقِفَ الشيء ثَقفاً وثقافاً وثُقُوفةً: حَذَقَه. ورجل ثقفٌ وثَقِفٌ وثَقُفٌ: حاذقٌ فَهِم (ابن منظور، لا تا/ج9: 19).

هي نموذج من الشخصيات التي تتمتع بموهبة خاصة تمكّنه من حمل رسالةٍ ما أو فلسفةٍ ما أو رأيٍ ما وتجسيد ذلك والإفصاح عنه إلى مجتمعٍ ما وتمثيل ذلك باسم هذا المجتمع. وهذا الدور له حدٌّ قاطعٌ أي فعّال ومؤثّر ولا يمكن للمثقّف أداؤه إلّا إذا أحسّ بأنّه شخص عليه أن يقوم علناً بطرح أسئلة محرجة وأن يواجه ما يجري مجرى الصواب أو يتّخذ شكل الجمود المذهبي وأن يكون فرداً يصعب على الحكومات أو الشركات أن تستقطبه وأن يكون مبرر وجوده نفسه هو تمثيل الأشخاص والقضايا التي عادة ما يكون مصيرها النسيان أو التجاهل والإخفاء. ويقوم المثقّف بهذا العمل على أساس المبادئ العامة العالميّة وهي أنّ جميع أفراد البشر من حقّهم أن يتوقعوا معايير ومستويات سلوك لائقة مناسبة من حيث تحقيق الحرية والعدل من السلطات الدنيوية أو الأمم (سعيد، 2006: 43-44).

يعرف المثقّف بأنّه ذلك الشخص الذي ينتج كلّ الدوال اللفظيّة والبصرية من شعراء وناثرين وكتّاب وموسيقين وفلاسفة وتشكيليين وسينمائيين ومسرحيين. وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على مدى تعدد فروع الثقافة وكثرة أقطابها ومسالكها وتعدد مزاوليها من البشر. ويمكن أن نميّز بين المثقّفين بفتح القاف والمثقّفين بكسر القاف. فالفئة الأولى؛فالمقصود بها، الذين يشتغلون بكلّ ما هو ذهني ابتداء من المربي والقارئ العادي إلى المرؤوس والمنفذ. أي كلّ من يعرف القراءة والكتابة؛ ولكن غير قادرة على قيادة المجتمع وتنويره ثقافياً بسبب عجز هذا المثقف عن الإبداع والإنتاج الفكري. أمّا الفئة الثانية؛ فالمقصود بها، الذين يشتغلون في أعمال تسعى لنشر الثقافة بين الجماهير الواسعة من الناس أو إلى تكوين فئة المثقفين العاديين. أي إنّها الفئة المنتجة والمبدعة التي تساهم في تحريك المجتمع ثقافياً وعلمياً وفكريا بنشر المؤلفات والمقالات والوثائق ليستفيد منها الجميع (حمداوي، 2016: 157).

يوسّع غيرهم من دلالة الكلمة حتى تشمل كلّ من حصل على قدر من التعليم يؤهله لإطلاق تعبيرنا الشائع عليه أي المثقّفين أو المتعلمين حتى وإن لم يبلغ علمه درجة التخصص الدقيق (بمعني التعمق المفضي إلى التأمل الذي قد يفضي إلى الإتيان بنظرات جديدة قد تشكّل وقد لا تشكّل مذهبا خاصّا به). بل إن نقادا آخرين يزيدون من

توسيع دلالة الكلمة بجعلها تدلّ على كلّ من يتمتع بقدر ما من "الوعي الاجتماعي" أو "الوعي السياسي"، ويتطرف بعض اليساريين في هذه الدلالة بحيث تشمل كلّ من يفكّر على الأطلال ولما كان التفكير خصيصة إنسانية، وبهذا تفقد خصوصيتها ومعانيها الاشتقاقية والاصطلاحية الأساسية. وفي هذا المجال وجد إدوارد سعيد أن المحور الرئيسي الذي يدور حول هذه الدلالات جميعا هو علاقة المثقف بالمعنى العربي بالسلطة (سعيد، 2006: 10).

الشخصية المثقّفة[1] هي من الشخصيات التي يبحث الباحثون عنها من جوانب متعددة وأشارت إدوارد سعيد في كتابه « تمثّلات المثقّف» إلى هذا الموضوع منها: الشخصية المثقّفة والسلطة، الشخصية المثقّفة والثورة وإلخ. يعود سبب اختياري للشخصيّة المرأة المثقّفة إلى كثرة حضورها (وهي الشخصية الرئيسة) في المجلّدين من السيرة الذاتية. وقد قسّمنا شخصية المرأة المثقفة حسب موافقها وأزماتها التي مرّت بها طوال الرواية إلى ثلاثة مواقف، وهي: المثقّفة النسوية[2]، المثقّفة المتحدية[3]، المثقّفة الثورية[4].

1-2. المثقّفة النسوية

ويتحدّث سعيد عن العلاقة بين المرأة والمثقّف ويقول في هذا المجال: «في مقالة فرجينيا وولف[5]"غرفة للمرء خاصة به" وهي نص حيوي للمثقفين العصريين من دُعاة الحقوق النسوية، فعندما دُعيت وولف إلى إلقاء محاضرة عن النساء والأدب القصصي، قررت منذ البدء أن ذهابها إلى أبعد من مجرّد ذكر استنتاجها- وهو أنّه إذا كان للمرأة أن تكتب القصص فلا بدّ أن يتوافر لها المال وتكون عندها غرفة خاصة بها- يحتم عليها تحويل مقترحها إلى حجة منطقية وهذا بدوره يُلزمها بنسق تصفه على النحو التالي: يستطيع المرء أن يبيّن فقط كيفية توصّله إلى الإيمان بالرأي الذي يؤمن به، أيّا كان هذا الرأي». وتقول وولف إنّ الكشف عن حجّتها هو بديل من قول الحقيقة مباشرة، لأنّ الحديث عن الجنس سوف يؤدي على الأرجح إلى مشاجرة بدل المناظرة: بإمكان المرء فقط إعطاء أفراد جمهوره الفرصة كي يخرجوا بالاستنتاجات التي يتوصّلون إليها

---

(1) Enlightened
(2) Feminist intelectual
(3) Fighter intellectual
(4) Revolutionary Intellectual
(5) Virginia Woolfe

بأنفسهم وهم يراقبون محدوديّات محدّثهم وانحيازاته وخاصيّاته. وممّا لا ريب فيه أنّ هذه المناورة تنجح في نزع الفتيل، لكنّها تنطوي أيضا على مجازفة شخصيّة. فهذا المزيج من الرهافة الهشّة والحجة المنطقية يزوّد وولف ثغرة مثالية تمكّنها من دخول موضوعها، لا كصوت دوغماتي يردّد حرفيّا كلمات المستشهد بأقواله، بل كمثقّف يمثّل «الجنس الضعيف» المنسّي، بلغة ملائمة تماما لهذه المهمّة. وبالتالي فإنّ جدوى «غرفة للمرء خاصة به» تكمن في إفراز حسّ جديد من اللغة والسلطة اللتين بهما ما تسمّيه وولف المجتمع الأبوي تجاه الوضع الانقيادي للنساء، الذي من المعتاد أيضا عدم التفكير فيه (سعيد،1994: 47-48).

2-2. المثقفة وموقفها من السلطة

إنّ العلاقة بين المثقف والسلطة قد تكون علاقة جدلية محضة مبنية على التحدي والنقد والمواجهة والصمود والنضال المستميت والصراع من أجل تحقيق الحرية وإحقاق الحق وإبطال الباطل وتقويض دعائم الفساد السياسي. وغالباً ما يكون رد فعل أصحاب السلطة تجاه هذا المثقف العضوي إما باستعمال الإغراء المالي والمعنوي (حظوة المنصب) وإما باستخدام القوة و العنف من نفي واعتقال وتعذيب وإما باستعمال خطاب اللامبالاة والإقصاء والتهميش أو عبر طرده من وظيفته أو اللجوء إلى تسييجه بالإقامة الجبرية. إنّ هناك ثلاث علاقات جوهرية بين المثقف والسلطة، ويمكن اختزالها في علاقة التحدي؛ التي ينهجها المثقف العضوي ضد السلطة المستبدة حيث يدخل معها في صراع نضالي قصد نصرة الحق و التصدي للفساد. وعلاقة استلاب؛ التي يمثّلها المثقف المتأقلم الذي لا يهمه سوى خدمة مصالحة الشخصية والدفاع إيديولوجيا عن مصالح الطبقة الحاكمة. وعلاقة الحياد؛ التي يمثّلها الرومانسي الذي يلامس المشاكل الإنسانية بسطحية فجة وتخييل ذاتي مجرد وتعبير رمزي غامض(حمداوي،2016: 169-170).

2-3. المثقفة الثورية

المثقف الثوري هو الذي يحاول تغيير الواقع ودفعه إلى مرحلة جديدة لم تكن موجودة من قبل. فللثورة مفاهيم كثيرة في الأدب السياسي الاجتماعي والاقتصادي والعلمي المعاصر، فهي تستخدم في سياقات ومعان عديدة. وهي غالبًا لا تؤدي إلى تغيرات سياسية مباشرة ولكنّها تحقق بشكل تراكمي انتقال المجتمع من حال إلى حال (تعيلب،2014: 25).

نبذة عن حياة رضوى عاشور

من بين الأعمال الأدبية النسائية وقع اختيارنا على أعمال الكاتبة المصرية رضوى مصطفى عاشور. ولدت رضوى عاشور الكاتبة المصرية المعاصرة في مدينة القاهرة سنة 1946م. كانت قاصة و روائية وناقدة أدبية وأستاذة جامعية مصرية. درست رضوى اللغة الإنجليزية في كلية الآداب وتخرجت عام 1967م. لكنها لم تعيّن معيدة فيها، لعدم رغبة من رئيس قسم اللغة الإنجليزية آنذاك رغم تفوقها وحصولها على ليسانس اللغة الإنجليزية بامتياز مع مرتبة الشرف، ولكنها عينت معيدة في جامعة عين الشمس. بدأت التدريس في سن الحادية والعشرين. في عام 1972 حصلت رضوى عاشور على شهادة الماجستير في الأدب المقارن من كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية من جامعة القاهرة وكانت فى الوقت نفسه تدرّس في جامعة عين الشمس، وتشارك الطلاب احتجاجاتهم في ميدان التحرير احتجاجا على الأوضاع الاقتصادية والسياسية في عهد الرئيس أنور السادات. غادرت القاهرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة الدكتوراه ولم يكن سبب رحلتها إلى أمريكا رغبة في الدراسة فيها وحسب، بل لاهتمامها بالأدب الأمريكي الأسود (جراد، 2010: 25–26).

من يمعن النظر في حياة رضوى عاشور وأعمالها الروائية فلا بدّ له الاعتراف بأنّها شخصيّة فذّة اجتمعت فيها القيم الأخلاقية والإنسانية والموهبة الأدبية النقدية معاً، ومازالت تحتفظ بتلك القيم حتى لفظت أنفاسها الأخيرة. «تشهد حياة رضوى على المقاومة ضدّ الاستعمار والسلطة والقمع، سواء أكان القمع تمارسه الحكومة وأجهزتها المتعددة أو الأشخاص ذوو المصالح الفردية والحزبية، كما تشهد حياتها على دعم صاحبها الكبير لقضيّة فلسطين ودفاعها عن الشرائح المضطهدة التي تحمّلت أنواع الأذى والتعذيب الجسدي والروحي من قبل السلطات الاستعمارية والأنظمة الديكتاتورية أو سائر المؤسسات المتنمية إليها» (طهماسبي، 1394: 154).

«أثقل من رضوى»

يتكوّن «أثقل من رضوى» من ثلاثة وثلاثين فصلًا، وثلاثمائة وثمان وتسعين صفحةٍ. الكاتبة من خلال ثلاثة وثلاثين فصلًا تتحدث عن همّ ثقيل أو مسؤولية جسيمة. تعبّر رضوى مباشرة عن تجربتها في مواجهة المرض الذي كان متزامنًا مع اندلاع ثورة مصر عام2011م. فتحكي عن آلام ذاتها الأنثوية، وأسرتها، وفساد الجامعة، وتعذيب الطلاب

والثورة دامجة الذاتي مع الجماعي في صورة متداخلة يتضافر فيها العام بالخاص. خلاصة القول أنّ حديث رضوى عن تجربتها الخاصة، وهي الإصابة بالمرض، مع تجربتها العامة في مصر المصابة بأزمة حادة، تشكل سمة أساسية من سمات شخصية المثقّف على أساس رأي إدوارد سعيد الذي يعتقد أنّ المثقّف هو الشخصية التي تدمج حياتها الشخصية بالجماعية ولا تنتبه إلى نفسها فحسب. قيمة «أثقل من رضوى» ونوعيتها ليست في كونها مواجهة المرض الذي شارفت بسببه الكاتبة على الموت؛ وليس في تجربة الكفاح والصمود لمواجهة الحياة. ومشقة تربية الابن «تميم» في ظلّ نفي الزوج «مريد البرغوثي» لأكثر من عشرين عامًا، بل في كونها أنموذجًا للإصرار على طرح رؤية مليئة بالأمل، أو قد تسعى إلى طرح دلالات مغايرة مثل الهروب من الواقع الراهن.

لذلك تنتهي هذه الرواية بالدعوة إلى الحياة. ولقد أصيبت بالسرطان وانتقلت إلى الولايات المتحدة حيث أجرت العملية بعد العملية، ولم تشعر بأن الموت بات قريباً منها هذا القرب. واختارت أن تنهى الرواية بشكل خاص فتعود بالأحداث إلى نقطة البدء، فمشهد الاستهلال المليء بالألم بعد وفاة طارق، الأخ الأكبر لرضوى وبعده بخمسة أسابيع رحيل الأم، ثمّ تنغلق في المشهد الأخير المفعم بالأمل حيث يجتمع الأولاد والأحفاد وأبناء الأحفاد وغيرهم من الأهل والأصدقاء لكي تقول إنّ الحياة مستمرة رغم مشاكلها.

3-القسم التطبيقي

3-1.رضوى عاشور/ المثقّفة النسوية

إحدى السمات الأساسية للشخصية المثقّفة هي الكتابة؛ يذهب إدوارد سعيد في هذا المجال إلى: كان تصويري للمثقّف كمنفيّ، وهامشيّ وهاوٍ وخالق لغة تحاول قول الحقّ للسلطة، وحجتي هي أن المثقفين أفراد عندهم الاستعداد الفطري لممارسة فن التعبير عمّا يمثّلون، سواء كان ذلك قولًا أم كتابة (سعيد،1994: 17-29). بناء على أنّ لكلّ كاتب دافعًا أو أكثر حفّزه للكتابة عن حياته، تتحدث رضوى عاشور «الشخصية الرئيسة» عن غرضها الرئيس لكتابة حياتها:

«عندما غادرت طفولتي، وفتحت المنديل المعقود الذي تركته لي أمي وعمّتي وجدت بداخله هزيمتهما، بكيت، ولكني بعد بكاء وتفكير أيضًا ألقيت بالمنديل وسرت،

كنت غاضبة» عدت للكتابة عندما اصطدمت بالسؤال: (ماذا لو أن الموت داهمني؟) ساعتها قررت أنّي سأكتب كي أترك شيئًا في منديلي المعقود، وأيضًا لأنني تنبهت وكنت في الرابعة والثلاثين من عمري، أن القبول بالنسبي أكثر حكمة من التعلق بالمطلق، وأن الوقت حان للتحرر من ذلك الشعور بأن عليّ أن آتي بما لم يأت به الأوائل أو أدير ظهري خوفًا وكبرياءً» (عاشور ،2013: 240).

وأهم باعث يمكن أن يميّز رضوى عاشور عن أمّها وعمّتها هو التمرّد على الأعراف وكسر القيود الاجتماعية والتغلّب على كلّ المشاكل والرغبة في التحرر... وهذه الأمور تحقق بواسطة الكتابة للمرأة. وهي بالنسبة إلى أمّها وعمتها تتمرّد على الأعراف وتكتب سيرتها كي تثبت وجودها الأنثوي في منديلها المعقود. وحين تقول «ماذا لو أن الموت داهمني؟» يعني أنّ الهاجس الأساس الذي وراء كتابتها هو الإحساس بوطأة الزمن ووقوع الموت ونسيانها من قِبل الآخرين. علاوة على هذا والذي دفعها لترك شيء عن حياتها هو وعيها بذاتها وإعلان ذاتها كامرأة لأنّها كما أشارت لا تشعر بوجودها إلا من خلال إنجاز عمل تقوم به في حياتها وتتركه في منديلها المعقود. ولكن بعد إنجازها لعملٍ ما تشعر بأنّ لها دورًا فاعلًا في الحياة. حينما يكون الباعث وراء الكتابة هو العثور على معنى هذه الحياة فإنّ الكاتب ينتقي المواقف التي تكون لها صلة وثيقة بالحيرة والقلق الذي سيطر على شخصيته وتسبب في هذا النقص ويعاني منه لمراحل عديدة من حياته دون أن يكتشف السبب. ومن ثمّ يعلن للناس بأنّه اكتشف الحقيقة التي كانت تغيب عن عينيه.

هذا الإبداع النسائي يجمع بين امرأة–هي رضوى عاشور– تصاب بمرض خبيث وتضحي بكلّ شيء لأجل الشفاء، فيما تتحمل مسؤوليتها تجاه أهلها وبلدها، وبين البلد، مصر التي تصاب بورم الاستبداد والفساد الخبيث منذ فجر التاريخ وتضحي أيضًا بفلذات أكبادها في الميادين والأقسام والشوارع لأجل الشفاء. كلتاهما البنت والأم تدفع نقدًا مقدّمًا ولا تأخذان ما دفعتا لأجله، لكنهما لا تيأسان فهمًا وإن كانت مسؤولياتهما وهمومهما ثقالا فإن رسوخهما :«أثقل من رضوى». ودون أدنى شك، فإنّ رضوى مثلث المثقف العربي الأصيل، وبنت بأعمالها هرمًا مهيبًا للمرأة المكافحة والمناضلة (إسماعيل، 2015: 25).

الحديث عن النساء في أعمال الكاتبات المثقّفات يعود إلى كون «المثقف دائمًا يختار إمّا مناصرة الأضعف، والأسوأ تمثيلًا، والمنسيّين أو المتجاهلين وإمّا الانحياز إلى الأكثر قوة» (سعيد،1994: 45).

«هذا الكتاب ليس رواية بل سيرة ذاتية، تتطابق فيها المؤلفة والراوية والمرويّ عنها. لا تأتيني لا أدري من أين، امرأة اسمها آمنة أو مريمة أو ندى أو رقيّة، يشرد الخيال خلفها ليلتقط لحظة عاشتها أو بيتًا أقامت فيه» (عاشور،2013: 252).

إن رضوى أديبة مثقفة مناصرة للنساء، لأنّها كتبت في معظم الفنون الأدبية كالرواية وغيرها عن المرأة العربية. وكانت تجد في أعمالها الأدبية ميدانًا واسعًا للحديث عن تجاربها واستعادة كثير من الأحداث التي مرّت بها في حياتها. وأيضًا حديثها عن بعض الشخصيات النسائية الروائية التي تشبه شخصيتها من بعض الجوانب. تحيلنا رضوى إلى خارج النص إلى بعض كتاباتها الأخرى التي ترجع إلى ما قبل كتابة سيرتها الذاتية، ومن ذلك روايتها القصيرة سراج وبطلتها آمنة التي تتبعت حكايتها إلى أن نشرتها باسم سراج كما تعد شخوص رضوى عاشور النسائية علامات مميزة في منجزها السردي كله. ولذلك تحيلنا الكاتبة في الفصل الحادي والعشرين من سيرتها إلى شخصيات أو بطلات أعمالها مثل آمنة رواية «سراج»–ندى رواية «فرج»–مريمة رواية «ثلاثية غرناطة» ورقية رواية «الطنطورية». وحديثها عن بطلات رواياتها يدلّ على أنّها كانت مغرمة في تحولّ وإصلاح النظرة السيئة بالنسبة إلى المرأة في المجتمع العربي.

يمكننا القول إن الوعي السياسي كان يستند في الأساس إلى منطلقات ذاتية في البحث عن الانتماء وعن الهوية وكان الدخول في مجال السياسة بدافع معالجة الهموم الشخصية. وجدت رضوى في الذات القلقة انتماءها إلى مصر والانصهار فيها. وكان الإنجاز الأدبي هو الوسيلة الأساسية للخروج عن هموم الذات والانضمام إلى الجماعة. فالموهبة الإبداعية تتيح للمرأة المثقّفة دخول الحياة العامة. ولقد ارتبط هذا الخروج إلى الحياة العامة بالنسبة لرضوى أولًا بغياب السلطة الأبوية وثانيًا بتحوّل اجتماعي سياسي. وارتبط وعي المرأة بالسياسة بعد حركة الإصلاح التي تزعمها دعاة الفكر الاجتماعي وظهر هذا الوعي السياسي لدى المرأة بأشكال مختلفة. وقد لعبت السيرة الذاتية النسائية دورًا كبيرًا في إبراز دور المرأة السياسي منذ الحركة الوطنية المبكرة، وبذلك ارتبطت قضية المرأة بقضية الوطن منذ وقت مبكّر. في الفقرة التالية تتحدث رضوى عن دور

النساء والبنات في الثورة العربية. وتركز رضوى على شخصية «هند» وهي الفتاة الواعية بالنسبة إلى حقوقها السياسية التي شاركت في الثورة لكن قوات الأمن قاموا بالاعتداء عليها لإثارة الرعب في النساء اللاتي شاركن في ميدان التحرير حتى يمنعوا حضورهن بهذا الطريق. يمكننا القول إن حديث رضوى عن هند يرجع إلى هاجسها الرئيس وهو الحضور النسائي في مجال السياسة.

«كانت هند تبكي والأم تصيح دون أن تبكي، والأخ يهدّد بالضرب. تكرر هند أنّها لم تقترف أي خطأ وستواصل المشاركة في الثورة، والنزول إلى المظاهرات، وستذهب إلى كليتها. وجه طفلة، تمامًا كوجهها في الفيديوهات التي رأيتها لها وهي في المستشفى وفي المحكمة. أسمر مدوّر، تحت العين اليسرى كدمات زرقاء كبيرة، جفن العين كحليّ مكتوم. في الوجه تورّم يخل بملاحته. رأسها ملفوف بالضماد، وكذلك يدها اليسرى. كانت تجلس على كرسيّ متحرك تنتحب وتصيح» (عاشور،2013 :217).

تشير رضوى إلى حكاية هند البنت التي شاركت في الثورة وكانت محتجة على الظروف القاسية. وأول ظلم فعلته قوات الأمن في ميدان التحرير كان قلع الحجاب وتعرية البنات أمام الناس كلّها، حيث استقبلها الضباط والعساكر بالألفاظ النابية والضرب بالأرجل في البطن والرأس. ثمّ انتقالها إلى غرفة التعذيب. وحديث رضوى عن الأوضاع السياسية في مصر صراحة يكون من أهم سمات الشخصية المثقفة التي تتحدث عن الذين يظلمون عليهم بأشدّ الأدوات القمعية.

وهي تقول:**«دخل ضابط وطلب مني ومن البنات أن نردد وراءه إحنا... مش سامع قولوا كمان» لفظ بذيء ما اقدرش أقوله واستمر في ضربنا حتى الساعة الواحدة ليلًا وكلّ ضابط يدخل يقول لنا: « أنا ماجريتش العصا الحديد دي عليكم ويضربنا بها حتى تنكسر، كما تمّ تهديدنا بالاغتصاب»** (المصدر نفسه:218).

إنّ رضوى لم تقل في سيرتها هذه إنّ أمرًا ما ثقل عليها سوى حين حديثها عن مصير هند البنت التي تتعرض للاعتداء بسبب مشاركتها في الاحتجاج على العنف للعثور على إثبات حضورها في إطار السلطة. هند هي الطالبة الواعية بالنسبة إلى ذاتها الأنثوية لم تختر الصمت تجاه تعريضها للعنف بل تصرح علنًا عن قسوة وعنف السلطة للبنات المشاركات في الثورة المصرية قائلة إنّها لم تقترف إثمًا وستواصل المشاركة في الثورة والنزول إلى المظاهرات وستذهب إلى كليتها لأنّها تهدف إلى أنّ السلطة لن تقدر

على كبت البنات محاولة إلى إيجاد حاجز من نوع الخوف وإثارة الرعب في وجود البنات اللاتي يشاركن الثورة حتى من خلال استخدام التعرية والاعتداء.

«حاولت أن تكون خطوتي أكثر اتزانًا، كأنّ كلّ شيء على ما يرام. نعم ثَقُل عليّ الأمر، وثقل أكثر عندما ضيّعنا الطريق مرة أخرى فوجدتنا نسير في شوارع لا أعرفها على مشارف العاصمة كانت حكاية هند التي قُبض عليها مع زميلاتها الثماني أثناء التظاهر السلمي عند مجلس الوزراء، وتعرية البنت التي لا نعرف اسمها (سمّاها الناس «ست البنات») واجتماع العسكر عليها وضربها جزءًا من حكاية الفتيات اللائي عُذبن وسُحلن على مدى الشهور السابقة كأن سحل النساء وإهانتهن، من كشف العذرية إلى الضرب المبرّح إلى التهديد بالاغتصاب خطة مقصودة. أين؟! في المتحف المصري. في مجلس الشورى. على خلفية خطاب عن حضارة عمرها سبعة آلاف عام، وطنطنة عن أعراس الديمقراطية. نعم أيّها القارئ الطيّب أتفق معك. السلطة في بلادنا مُغرمة بالمفارقات الفجّة» (المصدر نفسه:220).

رضوى ليست كالمثقفة التقليدية التي تقدّم نفسها وتصوّر ذاتها على أنّها مستقلة عن الطبقات الاجتماعية بل هي المثقّفة الحقيقية التي تسمح لنفسها بالاحتكاك بطبقات مجتمعها والمساهمة في إخراج أفراده من براثن الظلم والفساد وسيطرة الأيديولوجيات الزائفة. إنّها تعمل على إنجاز المشروع السياسي والمجتمعي الذي يعنى بحاجات مواطنيها لاسيما الطلاب الجامعيين. وتعيش هموم عصرها ولهذا تعمل على نقل الوقائع والأحداث وإخراجها من عالمها الواقعي على عالم الفن والإبداع ثمّ تنتقد تناقضات المجتمع وفساد النظام بشكل مباشر. من خلال سيرة رضوى نستطيع أن نتعرف على موقفها من السلطة. حين قراءة «أثقل من رضوى» نرى في وجوه الشخصية المثقّفة والرئيسة قلقًا وراء الأحداث. رضوى ترفض أن تعيش حياة عادية تحتفي بالسائد. تعلن أثناء كتابتها عن تمرّدها بوضوح، المرأة التي تدرك بوعي في داخلها وداخل مجتمعها. يتحدث إدوارد سعيد عن المثقّف في ذاك الذي يرفض ويصادم ويحتك ويتفاعل ويتطور ولا يستجيب لحالة السكون ويكون صوت نفسه ويعبر قبل كلّ شيء. ولهذا تكشف الستار عن مدى استبداد السلطة تجاه الأساتذة والطلاب لذلك تؤمئ إلى الواقعة التي حدثت لهند. في الحقيقة الغرض من تمسك قوات الأمن بالعنف على النساء في ميدان التحرير هو منع الدخول النساء في مجال السياسة. جذور هذا الأمر يرجع إلى نظرة

المجتمع في قضية المرأة إذا كانت هذه النظرة نظرة دونية، توفق قوات الأمن للعثور على غرضهم. لذلك فإن تشجيع النساء للحديث عن اعتداء قوات الأمن عليهن خير طريق لكبت السلطة الظالمة تجاه النساء. ونصل إلى غرض رضوى من خلال حديثها عن هند – البنت التي تدافع عن نفسها تجاه اعتداء قوات الأمن عليها من طريق شرح كل ما يمّر بها أثناء مشاركتها– وهو تشجيع البنات أو النساء بالدفاع عن أنفسهن خلال الاعتراف بالحادثة التي وقعت عليهم دون أي خوف و دون أي مكث وتريّث. والحقيقة التي يجب تأكيدها أنّ نظرة المثقّفين بالنسبة إلى المرأة تنشأ من خلال أزمتهم الشخصية ومن خلال احتياجاتهم الفكرية العامة. ولهذا نلاحظ تأكيد رضوى على حضور النساء والفتيات في الثورة وذلك ينبع من هاجسها الرئيس وهو تحقيق حرية النساء من خلال إحقاق حقوقهن.

2–3. رضوى عاشور/ المثقفة المتحدية

ما بين الفصل الأول والفصل الأخير، تختار رضوى مقاطعًا من حياتها الشخصية والعامية، مازجة بينها وبين مصر. وهكذا فبعد الفصل الأوّل تتحدث عن واقعة الرابع من نوفمبر 2010م التي تعبّر أولًا عن مشاركة الكاتبة في مواجهة «قضيّة إنشاء وحدات الأمن الجامعي في جامعة عين شمس» التي تعمل فيها من أكثر أربعين عامًا. وثانيًا التعبير عن رفضها لهذه القضية التي تخدش استقلاليةَ المؤسسة التعليميّة بشكلٍ علني صارخ. وهي تستطيع أن تتحدث عن نضال العام رغم آلامها الشخصية وهي من أهم السمات لشخصية المثقف الذي ثمة علاقة وثيقة بين آلامه الشخصية والجماعية. ففي يوم الخميس من نوفمبر عام 2010 ولم يكن قد مضى على موت أمّها سوى مدة قليلة خرجت بثوبها الأسود إلى باحة قصر الزعفران (مقر رئاسة جامعة عين شمس) لتشترك مع زملائها في قضية حرية الجامعة ومنع الأجهزة الأمنية التي تمارس نشاطها ضد الطلبة.

ثُمَّ تشير الكاتبة إلى كتّاب التقارير السياسية من طلاب الجامعات وغيرهم. وتطرح أسئلة وأفكارًا شائكة ومهمة عن القمع المستور والقمع المعلن في جامعة عين شمس. كما تتناول مواقف عن خيانة بعض المسؤولين. وأول ما تنتبه إليها رضوى غياب الحرية في المجتمع الذي تجد فيه التناقض بين ما تدعو إليه السلطة وما تمارسه في الواقع اليومي. مثلما فعل ماجد الديب وهو ينكر حضور البلطجية في ساحة الجامعة ويدافع

عنها. لهذا فإن رضوى المثقفة تمهّد الظروف لتعبير عن وقوع الثورة.

«سلّمنا صورة من البيان وصورة من نص المحكمة الإدارية العليا بشأن عدم قانونية وجود الحرس الجامعي، إلى ضبّاط الأمن الواقفين أمام باب قصر الزعفران» (عاشور،2013: 12).

الحقيقة المركزية بالنسبة إليّ كما أعتقد هي أنّ المثقّف يجب أن يكون شخصًا ليس من السهل على الحكومات أو الشركات استيعابه، وأن يكون مبرّر وجوده تمثيل كل تلك الفئات من الناس التي تُنسى ويُغفل أمرها. ويقوم المثقف بهذه المهمّة على أساس المبادئ العمومية (سعيد، 1994: 28).

تشهد رضوى ضدّ السلطة وفسادها من منطلق شخصي. وتعرض اهتماماتها أمام جمهور أو مجموعة من القراء. والمسألة لا تقتصر على كيفية تعبيرها بوضوح عن هذا الفساد الجامعي بل تتعدّاه وتحاول العثور على تعزيز قضية الحرية والعدالة. فهي تصر على الكشف عن هذه القضايا بعد طول تفكير تؤمن بها. تعي أن السياسة هي في كل مكان، ولا منجاة منها بالفرار إلى عالمي الفن والفكر النقي. وتحارب بشجاعة النظام الحاكم في جامعة عين شمس التي تغفل عن أهم المعايير الإنسانية وهي غياب الحرية.

ولذلك تطالب إلغاء الحرس الجامعي الذي كان يتدخل في كلّ شيء بدءًا من تعيين السعاة وحتى اختيار العمداء ورؤساء الجامعات. حيث تكشف الستار عن الأمن الذي يسلط بلطجيته على الجامعة ورئيس الجامعة الذي يصدر بيانًا كاذبًا قائلًا إنّ الأساتذة يحسون بقوة موقفهم مطالبين بحقّهم الذي يهمل ويغفل.

خلاصة القول أن حديث رضوى عن الاضطهاد الجامعي يؤمئ إلى تمهيدها للعثور على أهم أسباب اندلاع الثورة في مصر. الأوضاع التي شهدتها مصر قرابة الخمس السنوات الأخيرة وهي احتجاجات ثورية وممارسات فكرية سياسية قوية من كافة القوى السياسية التي مهدّت الثورة 25يناير.

إحدى السمات الشخصية للمثقّفة هي الهامشية وأنها المنفية فكريًّا في مجتمعها، أي يكون المثقّف غريبًا حين يبرز رأيها ويسلك مسلكًا مغايرًا لمنافع السلطة الحاكمة. وحين يحتج للعثور على الحرية تتّهم من جانب القوى المهيمنة بالأوصاف غير المناسبة أو غير المناسبة للفئة المنتمية إليها.

رضوى كالمثقفة المنفيّة فكريًّا من قبل السلطة الحاكمة، وهي «ماجد الديب» رئيس جامعة عين شمس، الذي ينشر بيانًا يخاطب فيه رضوى وزملاءها الذين كانوا الأساتذة الجامعيين بـ«غرباء» و«قلة مندسة». وذلك يرجع إلى وعي هؤلاء بوصفهم المثقّفين بالنسبة إلى الأوضاع المتوترة في المتجمع لاسيّماجامعة عين شمس. الأوضاع التي كانت تموج فيها عدم استقلالية الطلاب والأساتذة الذين لا يقدرون على الاحتجاج وإن كانوا محتجيّن على الظروف القاسية فإنهم يتّهمون بإثارة الشغب أو ادعاء باطل ومزيّف.

النقطة التي تشير إليها رضوى هي أنّ حضور المثقّف في كشف الستار عن فساد المجتمع موضوع هام للسلطة. والسلطة تحاول دومًا أن تجعل المثقّف في خدمتها لا ضدّها كي تقدر على ستار الظلم وكلّ ما تريد. ورضوى في مثل هذه الحالة لا تختار الصمت تجاه أقوال رئيس جامعة عين شمس الكاذبة بل تقوم بكتابة مذكّرة لتردّ على ماجد الديب الذي لا يجد سلاحًا للدفاع عن نفسه سوى التهمة والكذب متجهًا نحو الأساتذة الذين يطالبون رعاية المعايير الإنسانية في ساحة الجامعة.

«في يوم السبت السادس من نوفمبر أصدر الدكتور ماجد الديب رئيس الجامعة بيانا نشر على الموقع الإلكتروني للجامعة يحدّد عنوانه أنه رد على ما تناولته بعض الصحف ووسائل الإعلام من ادّعاءات باطلة بالتعدّي على الطلاب واستخدام البلطجة في جامعة عين شمس. يدين البيان ما يسميه اقتحام الجامعة من قبل أساتذة «غرباء»، «قِلّة مُندسة» تعمل على إحداث قلاقل..» (المصدر نفسه: 17).

فتقوم رضوى عاشور بكتابة مذكّرة تقوم فيها بإيضاح الحقائق. تتحدث رضوى عن تبعية رؤساء الجامعات المصرية للأجهزة الأمنية على نحو ما فعله «ماجد الديب» رئيس جامعة عين شمس الذي نشر بيانا على الموقع الإلكتروني للجامعة يدافع فيه عن بلطجية الأمن ولم يكشف عن اتهام جماعة 9 مارس بقيادة «عبدالجليل مصطفى» بأنها قلة مندسة غريبة اقتحمت الجامعة.

وتقول رضوى بعد قراءة بيان رئيس جامعتنا وبعد الضحك الذي أحسن أبوالطيب وصفه من ألف عام ضحك كالبكاء، جلست لكتابة مقال. بدأته بالفقرة التالية:

«أعتقد أن على الدكتور ماجد الديب رئيس جامعة عين شمس والدكتور هاني هلال وزير التعليم العالي التقدّم باستقالتيهما وبسرعة. وأعتقد أن على رئيس الوزراء إن هما أحجما عن ذلك أو تأخّرا فيه أن يقيلهما. فما حدث في الرابع من نوفمبر

الماضي فضيحة بكلّ المقاييس ومستجد خطير في حياتنا السياسية والأكاديمية. وهنا لابدّ من توضيح أنّه لا جديد في استخدام البلطجية من جانب قوى الأمن بل إنّه أمر تكرر وعلى مدى عدة عقود. حدث في الجامعة من قبل وحدث في الانتخابات وحدث أيام أزمة القضاة وفي غيرها أما الجديد فهو انحياز المسؤولين المكشوف للبطجية» (المصدر نفسه: 18).

البيان الذي تكتبه رضوى يوضح ظلم النظام السياسي في مصر حيث شخصن فيها كل شيء ومنه رؤساء الجامعات. ومن هنا نعثر على علاقة التحدى بين رضوى المرأة المثقّفة والنظام الذي يحول دون حرية تعبيرها في ساحة الجامعة. وتتهمها السلطة بما لا يليق بها منها إثارة الشغب في الساحة العلمية. «المثقّف هو الشخص الذي قادر على قول الحق في مواجهة السلطة كفرد قاس وبليغ وشجاع إلى درجة لا تصدّق ولا يعرف أي قوة دنيويّة تكون كبيرة ومهيبة جدًّا بحيث لا يمكن انتقادها وتوبيخها على سلوكها» (سعيد،1994: 25).

«دخلت الكلية. نبهت عامل المصعد أنني لا أقصد القسم بل أقصد مكتب العميد. دخلت إلى غرفة العميد الذي اعتاد أن يحيّيني بحرارة كلما التقيت...قلت: لا بدّ أنّك سمعت بما حدث في الجامعة. سمعت. كتبتُ مذكّرة عن الموضوع أرجو أن تعرضها باسمي على مجلس الكلية. أعطيته المذكّرة. أقل من دقيقة ثمّ أعادها إليّ؛ لا أدري إن كان قرأها كاملة أم اكتفى بإلقاء نظرة سريعة. لا أستطيع عرضها. لماذا؟ ستقدمها باسمي إلى المجلس. لم أجد مناسبًا أن أقطع الجلسة وأقحم على جدول الأعمال، ما دمت لست عضوا في المجلس هذا العام» (عاشور،2013: :21).

من التحديات الأساسية التي يواجه المثقف هي قضية الحرية الفردية والدفاع عنها بمعني تأكيدها وترسيخها كأساس لأي تحوّل ديمقراطي وتقدم اجتماعي. والتغيير يستحيل بدون التعاون والتحالف والعمل الجماعي لكن لا يستطيع أي شخص أن يقدم شيئا للمجموعة ويساهم معها في الفعل الاجتماعي فعل التغيير إذا لم يكن هذا الشخص فردا حرّا يشعر بكينونته المستقلة ويحس ويؤمن بأنّ وجوده الفردي سيكون له أثره الإيجابي في عمل المجموعة (سعيد، دت:25). والحرية الشخصية لرضوى توفّر لها مساحة خاصة تعبر فيها عن ذاتها فتستطيع أن تساهم في العمل العام. لذلك نجد رضوى في حالة معارضة شبه دائمة للوضع الراهن. تكتب بياناً و ترد فيه على بيان رئيس الجامعة

مطالبة بالاعتذار لإساءته إلى أساتذة الجامعة. ثم أعدت مذكرة للعرض على مجلس الكلية الذي ينعقد في اليوم التالي وإطلاع الزملاء والزميلات على تفاصيل ما حدث من موقعها كشاهدة عيان خاصة بعد تقديمها. وطلبت من عميد كلية الآداب عرضها على مجلس الكلية لكنه اعتذر متعللا بأن هذا إقحام لنفسها على جدول الأعمال هي غير عضو به العام نفسه.

في ظلِّ هذه المواجهة، وهذه الصراعات التي ترويها امرأة قويّة تطالب ضمن مجموعة من الأساتذة الجامعيين بإقالة وزير الداخلية، ومحاكمته «على إثر قراره بإنشاء وحدات للأمن تابعة لوزارة الداخلية في الجامعات» ثم إعلان الرفض لإدارة ماجد الديب لجامعة عين شمس وهاني هلال لوزارة التعليم العالي ومطالبتها باستقالتهما لانحيازهما المكشوف للبلطجية. في ظلِّ هذه «الدراما المتشابكة» يأخذ السرد حركته للأمام فرضوى تكتشف أن الورم الذي في رأسها والذي ظلت تقوم بعمليات جراحية لإزالته قد كبر جدًا ولم تعد قادرة على إخفائه لذلك تجري عددًا من الفحوصات الطبية لتكتشف أن الأمر خطير ويحتاج إلى علاج في الخارج فتقرر السفر على نفقتها الشخصية للعلاج وبدلاً من أن تقوم الجامعة بتحمل تكلفة العلاج على نفقة الدولة يرفض عميد الكلية سفرها بحجة أنّها محالة للتحقيق وأن رئيس الجامعة يريد مقابلتها:

وسط هذه الدراما المتشابكة، الهزلي منها والحزين، كانت دراما أخرى لا على خشبة المسرح أو في المشهد السياسي بل في رأسي. والكلام هنا يا سيدتي القارئة وسيدي القارئ ليس مجازًا، أعني الرأس المادي المكوّن من مخ وأعصاب...... تنمو بشكل أهوج وتمارس جنونها، يحدث ذلك وأنا أشارك زملائي في توزيع حكم المحكمة الإدارية العليا في الجامعة، وأنا أكتب مسودة بيان9مارس، وأنا أخرج مخذولة من مكتب العميد لأنه قال لا يستطيع أن يعرض المذكّرة على مجلس الكلية. تقدمت إلى عميد الكلية بتاريخ21نوفمبر، بطلب إجازة مرضية من 28نوفمبر إلى9يناير بعد أقل من أسبوع ذهبت إلى مكتبه لأستفهم من سكرتيره عن أمر رسالة تحمل توقيع وكيل الكلية. مفاد الرسالة أنّ وكيل كلية الحقوق يطلب لقائي. طلبت من سكرتير العميد أن يتّصل به. اتّصل وقلت له تريد أن تلتقي بي؟ لو أردت نلتقي اليوم، ما الموضوع أصلًا؟ أذهلتني الجواب. لماذا؟ لأنّك مقدّمة للتحقيق» (عاشور،2013: 23-27).
لذلك تشير رضوى عاشور إلى مدى هامشيتها في جامعة عين شمس التي تنتبه إلى

كل شيء سوى الأساتذة الذين يتبعون الحق وتحقيق الحرية والعدالة التي يجب أن يكون في ساحة التعليم دون أي ضغط واضطهاد متجهًا نحو الطلاب والأساتذة. ثمّ تنتقد صراحة ووضوحاً وزير التعليم العالي وهو «هاني هلال» ورئيس الجامعة وهو «ماجد الديب». هما اللذان قد شخصنا السلطة لكي يقمعا محتجين على الظروف التي تموج فيها القسوة.

قرأت بالصدفة المحضة على بوابة «الوفد» خبراً بعنوان هاني هلال يفرج عن رضوى عاشور ثم خبراً فرعيا رضوى عاشور في باريس للعلاج. أما نص الخبر فيقول: وكان الدكتور ماجد الديب رئيس الجامعة وقع الخميس الشهادة الصفراء التي تمنح للعاملين بالدولة إذناً بالسفر للخارج، والتي طلبتها الدكتورة رضوى. وتعاني رضوى عاشور وهي الأديبة والشاعرة الذائعة الصيت من أمراض خطيرة استلزمت علاجها في الخارج عدة مرات العام الماضي . وكان الدكتور هلال قد أحال الدكتورة رضوى عاشور للتحقيق بتهمة إثارة الشغْب في الجامعة (المصدر نفسه: 31).

وتشير رضوى المثقفة إلى الأكاذيب في الخبر. فهي لم تطلب الشهادة الصفراء، لأنها ألغيت بالنسبة إلى أساتذة الجامعات منذ سنوات. ولم تتوجه إلى باريس، بل سافرت على متن الخطوط الجوية الفرنسية إلى واشنطن. ولم يحدث أن سافرت عدة مرات للعلاج لا في العام السابق ولا في الأعوام الأسبق. ولم يسبق لها أن كتبت شعراً أو نشرت قصيدة واحدة. فتنتقد وزير التعليم العالي ورئيس جامعة عين شمس لأنّهما لا يميزان بين الشاعر والروائي ولا يعرفان نتاجها الأدبي. ويضيء إدوارد سعيد هذه المقاربة بقوله: النفي لا يقتصر معناه على قضاء سنوات يضرب فيها المرء في الشعاب هائمًا على وجهه، بعيدًا عن أسرته وعن الديار التي ألفها، بل يعني إلى حد ما أن يصبح منبوذًا ومحرومًا على الدوام من الإحساس بأنّه في وطنه فهو يعيش في بيئة غريبة. على أساس هذا يمكننا الحصول على موقع رضوى عاشور كمثقّفة منفيّة في وطنها وفي مواجهاتها الثقافيّة والسياسيّة.

لم تستوحش رضوى طريق الحق لقلة سالكيه. ظلّت محافظة على استقلال رأيها المعارض وعلى العمل من أجل وعي القرّاء بما في الواقع من فساد، وتحفيزهم على رفض هذا الواقع والعمل على تغييره. وواصلت الحفاظ على استقلالها. لذلك كان طبيعيا أن ترحل رضوى عاشور دون أن تحصل أي جائزة من جوائز الدولة المصرية

الفاسدة التي توزع على التابعين. برغم جدارتها عن حق بأرفع الجوائز. فهي ليست في حاجة إلى رأسمال المؤسسة الرمزي المغشوش لأن رأسمالها الأدبي والفكري كبير وسيظل كبيرًا وفاعلًا حينما تنحسر الأضواء عن كلّ الخبث المرصع بجوائز الدولة (حافظ،2015: 69).

رضوى هي المثقفة التي تنطبق شخصيتها على كل السمات التي يعدّها إدوارد سعيد لشخصية المثقّف. من أبرز هذه السمات هي الالتزام بالأصول والمبادئ الأخلاقية منها الاحتجاج على الذين يشعرون بالامتياز الطبقي أو العرقي والجنسي. إنّ رضوى المرأة العربية التي تلتزم بهذه الأصول التزامًا لا نظير له حيث أنّها تهتمّ بهذه السمة حتى في المواقف التي كانت تهدد حياتها وحرفتها. «يتحتّم على المثقّفين أن يكونوا أولئك الذين يحتجّون على النعرة القوميّة في الوطنية، والتفكير المؤسساتي، والشعور بالامتياز الطبقي أو العرقي أو الجنسي» (سعيد،1996: 15).

«صعدت السلّم وأعلمت مدير مكتب رئيس الجامعة بحضوري. قال: تفضّلي. فتفضّلت. ما إن دخلت حتى قال: إيه الحكاية يا دكتورة؟ إنت دولة داخل الدولة؟! بسرعة أجبت مع التشديد على الكلمة: إطلاقًا. أنت رئيس الجامعة وتملك فيها سلطة أكبر من سلطتي، ولكن ليس بتوقيعي. لن أوقّع على ما أعتقد أنّه خطأ. قطّب وجهه وانتهى اللقاء وغادرت. وفي الكلية قدمت استقالة مسببة من رئاسة القسم لا أدري حتى الآن إن كان العميد رفعها لرئيس أو لم يرفعها. لم أوقّع على طلب النقل. لم يقبل الطلاب (عاشور،2013: 152).

جرى انتقال رضوى أو نفي رضوى من كلية البنات التي عُينت للتدريس فيها إلى جامعة القاهرة عقاباً لها بسبب مواقفها التي أغضبت الإدارة والجهات الأمنية. ولما استدعاها عميد الكلية ليؤنبها، قالت له بتهذيب: لا أعتقد أنني اقترفت أي خطأ... وتعمد عميد الكلية الانتقام منها واضطهادها لأنها رفضت قبول ابنته ونقلها من كلية البنات إلى قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب؛ لعدم استيفائها الشروط المطلوبة، كما رفضت تحويل أربعة طلاب من جامعة إقليمية إلى القسم الذي تترأسه، بما يخالف اللائحة التي تشترط حصولهم على تقدير جيد وإلا اضطرت إلى قبول كل الحالات المماثلة وكل الحاصلين على تقدير مقبول. لذلك نلاحظ أنّ رضوى عاشور هي الشخصية التي كانت محتجّة على طلب عميد الكلية الذي يشعر بالامتياز الطبقي دالًّا على نقل بنته

من إلى كلية الآداب.

«جاءني الرجل يطلب نقل ابنته من كلية البنات إلى قسمنا بكلية الآداب. لم تكن ابنته مستوفية لشروط القبول في القسم. قلت لأبيها ذلك بكل تهذيب. مال عليّ وهمس: ولكن نائب رئيس الجامعة خالها. وما إن نطق الرجل بالعبارة حتى انتفضت واقفة، صحت: أنا لا أملك في هذا البلد أي سلطة، ولكن لي سنتيمتر في سنتيمتر، هو هذا القسم أسيّره بما أراه عدلًا. أرجوك لا تأت للحديث معي في هذا الشأن مرة أخرى. ربما فوجئ الرجل. ربما أفزعه صياحي...ولكنني في لقاء لنائب رئيس الجامعة مع رؤساء أقسام اللغات بعد أيام، فاجأني النائب بعدوانية غريبة، ما إن بدأت في إبداء رأيي في الموضوع المطروح حتي قاطعني قائلًا: ليس هناك مقدّس إلا القرآن يا دكتورة، هذا التعنت في الرأي غير مقبول (المصدر نفسه:153).

إنّ من أهم سمات شخصية رضوى وقوفها أمام السلطة بجرأة تامة. كانت رضوى ملتزمة بالأصول الأخلاقية. الأمر الذي يؤكد عليها إدوارد سعيد. وهي لم تفعل عملًا بسبب موقفها في الجامعة أو لم تفعل عملًا لأجل خوفها من فقدان موقفها سواء في المجتمع أو الجامعة. ونجد رضوى تقف في وجه السلطة وهنا رئيس الذي يطلب منها انتقال بنته من كلية البنات إلى كلية الآداب. لكن رضوى لم تنجز طلبه. لم تنظر إلى أنّها بنت رئيس الجامعة بل تعاملت على أساس العدل دون أي انتباه بعدوانية رئيس الجامعة. لذلك يفترض بالمثقفين الحقيقيين تعريض أنفسهم لأخطار الحرق أو النبذ أو الصلب.

3-3.رضوى عاشور/ المثقفة الثورية

«درس آخر من دروس الثورة أتمثّل فيه حركة الزمن والأجيال وتبدّل الأدوار. درس بدأ بنوّارة نجم التي درّست لها لعدة سنوات، مرورًا بالأخوين الكفيفين مصطفى سعيد ومحمد عنتر، وليس انتهاء بسلمى سعيد التي درّست لها أيضًا، لأنّ شباب وبنات من دفعات أحداث كانوا يشاركون في الثورة، سألتقي بهم بعد عودتي إلى مصر، في التحرير وخارجه... أتوقّف عند الفقرة وأفكّر في حذفها، أخشي أن يلتبس الأمر على القارئ ويظن أنني ألمّح بشكل أو آخر لتلك الحجة التي ينطق بها بعض من يقاربونني العمر حين يصرّحون أنّهم المرجع والأصل الذي تفرّع عنه هؤلاء الشباب. ليس هذا قوله» (المصدر نفسه:66).

تعترف رضوى في هذه الفقرة بأنّها ربت جيلًا راغبين في المشاركة في الثورة. منهم نوارة نجم، مصطفى سعيد، محمد عنتر وسلمى سعيد. وتشير إلى أنّها التقت بهم في الظروف التي لم تكن صحتها جيدة وبعد أن عادت إلى مصر شاركت في الثورة دون أدنى شك. ولهذا نصل إلى أنّ رضوى أستاذة جامعية لم يكن يقتصر دورها على تعليم المواد الدراسية فحسب بل تشير إلى تعليم الحرية والدفاع عنها بصورة غير مباشرة لطلّابها والتزامها بالمبادئ التي قامت عليها يسبب تربية وتعليم جيلًا واعيين. لذلك نعثر على أنّ رضوى هي تمثّل الشخصية المثقّفة. كما أشار إدوارد سعيد إلى أنّ المثقف هو الذي لا ينفصل عن السياسة والتغيير والثورة.

«قبل عشر سنوات، أو ربّما أكثر قليلًا، ذهبت مع صديقتي منى أنيس إلى الأزهر، للمشاركة في المظاهرة. وعادة ما كانت المظاهرات تبدأ بعد صلاة الجمعة داخل الجامع. ثم يبدأ المصلّون في الخروج إلى الباحة الخارجية ونشر الأعلام واللافتات. وتبدأ مواجهات عنيفة يستخدم فيها الأمن العصيّ والكلاب المدرّبة، ويستخدم المتظاهرون حناجزهم في الهتاف وقدرتهم على القفز والركض لتحاشي هجوم الكلاب وضربات الهراوات. في سنوات لاحقة ستتخذ المواجهات أشكالًا أكثر عنفًا، تستخدم فيها قوّات الأمن الغاز المسيّل للدموع والخرطوش، يضاف إليهما أيام الثورة» (المصدر نفسه:160-161).

رضوى هي المثقّفة الثورية التي كانت تشارك في المظاهرات مشاركة فعالة. حين نقرأ كتابها المعنون بـ«أثقل من رضوى» نجدها دومًا تؤكد على حضورها في الثورة والمظاهرة. وقامت بوصف كلّ الأدوات القمعية التي يستخدمها البلطجية أو قوات الأمن. وذلك يرجع إلى وعيها السياسي لأنّ رضوى هي المرأة الستينية التي تصاب بمرض صعب لكن لا يكون حاجزا لعدم مشاركتها في الثورة. ولا تعتبر نفسها منفصلة عن الشباب الذين يشاركون في الميدان بل تتبع جميع الحوادث التي تجري في بلدها مصر بمثابة شخصية المثقف الذي يعدّ ثورّيا بسبب مساهمته السياسية في أشدّ الظروف.

«أنزلتنا سيارة أجرة عند مدخل شارع الأزهر من ناحية العتبة. كانت مجموعة من رجال الأمن تغلق مدخل الشارع، تمنع الشباب منم المرور. هل نعود؟ نحاول، لعلّنا ننجح. سيدتان مُهَندَمتان علا الشيب رأسيهما. قد يتخيّل الضباط أنّنا في طريقنا إلى خان الخليلي للتسوّق لشراء فضيّات مثلًا أو المرور بسوق الذهب لانتقاء شبكة

لخطبة الولد» (المصدر نفسه:163).

تتحدث رضوى عاشور عن زمن الثورة. وهي بعد عودتها من واشنطن رغم أزمتها الصحية شاركت في الميدان ولم تغادره. وتشير إلى أنّ الضباط لا يفكّرون أنّها شاركت الميدان بسبب المشاركة في المظاهرات. في الحقيقة تهدف رضوى من إتيان هذه الفقرة إلى دعوة الآخرين إلى التمرد وإعلان الرفض والثورة على الواقع الاجتماعي أو السياسي للحصول على الحرية واجتناب قبول الظلم.

«أقف أو أمشي أو أهتف أو أحمل علمًا أو يمدّ لي شابّ يده: هات إيدك يا ماما، يعاونني على صعود رصيف عالٍ من أرصفة الصينية. أو يتقدم شاب آخر يشبک يديه ويقول ضعي قدمک يا ماما. وأستكثر أن أضع قدمي على يديه. ثمّ أفعل، يملؤني الحرج وأنا أتمكّن من الانتقال من حيّز عالٍ إلى حيّز منخفش تحيّرت كيف أنزل منه لأنّ في ساقيّ ما فيهما من بقايا جراح» (المصدر نفسه:169).

تشير رضوى إلى ضعفها حين مشاركتها في المظاهرات، ورغم ضعفها وكهولتها شاركت وساهمت مع الآخرين للتأكيد على أنّها مدافعة عن الثورة التي أنجزت لأجل القيم الإنسانية. وتركّز على أنّها ثورية ولا يؤثر شيء سواء مرضها الصعب أو كهولتها في عدم حضورها. لذلک نحصل على أنّ رضوى عاشور هي الشخصية المثقفة الثورية التي لم تستسلم ولم تلجأ إلى الهروب على الرغم من معاناتها الصحية بل تقوم بمواصلة نضالها وإظهار الحقائق وكشف المستور ونشر الوعي.

النتيجة

في رواية السيرة الذاتية لرضوى عاشور المعنونة بـ«أثقل من رضوى» نلاحظ أنّ رضوى هي الشخصية الرئيسة في عالمها الخيالي. من خلال دراسة «أثقل من رضوى» نحصل على شخصية المرأة الواعية بالنسبة إلى الأوضاع والحوادث المحيطة بها: السياسية، الاجتماعية والثقافية و...إلخ. تتجلّى رضوى في عملها الروائي الشخصية المثقّفة التي تكون مدافعةً عن حقوق الذين كانوا هامشيين ومطرودين منهم النساء الهامشيات. وتكون ثورية بسبب المشاركة في المظاهرات وميدان التحرير لإثبات حضورها في المجال السياسي جنبًا إلى جنب الرجال. ولذلک نجد أنّها تدعو النساء إلى المساهمة السياسية. في هذه الرواية نرى أنّ رضوى تتحدث عن غرض الكتابة عند المرأة ثمّ تركز على شخصيات البطلات في جميع أعمالها الروائية لتشير إلى صلة عميقة بينها

وبين الشخصيات النسائية وأخيرا تتطرق إلى شخصية "هند" الفتاة التي شاركت في قضية الثورة في مصر من خلال الإشارة إلى الاعتداء عليها بسبب المساهمة السياسية.
ونلاحظ في هذه الرواية أنّ رضوى هي المثقفة التي تعد الهامشية فكريا في وجه السلطة الحاكمة في جامعة عين شمس لاسيّما ماجد الديب رئيس الجامعة وذلك بسبب حضورها النشيط في جميع الحركات الجامعية ضد الفساد الجامعي وتعذيب الطلاب.
ومن أهم سمات شخصية المثقف هو قول الحق في وجه السلطة، السمة التي نراها في شخصية رضوى وتسبب مخالفة رئيس الجامعة معها وانتقالها إلى كلية البنات.

المصادر والمراجع

1 – إبراهيم، عبداللّه (2011). **الكتابة والمَنفَى**، الطبعة الأولى، بيروت: دارالعربية.

2 – ابن منظور، (دت). لسان العرب، ج9،دط، المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر.

3 – إسماعيل، نسرين (2015). «رضوى عاشور:القلم القضية!»، **مجلة قوارئ**، العدد الثالث، صص24–25.

4 – تعيلب، أيمن (2014). **أسئلة الثورات العربية "الثورة والوجود"**، الطبعة الأولى، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

5 – جرّاد، خلود(2010). **تطوّر البناء الدرامي في روايات رضوى عاشور"2010–1992"**، رسالة للحصول على درجة الماجستير بجامعة الشرق الأوسط.

6 – حافظ، صبري (2015). **أفق الخطاب النقدي دراسات نظرية وقراءات تطبيقية**، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الشرقيات للنشر والتوزيع.

7 – حمداوي، جميل (2016). **سوسيولوجيا الثقافى**، الطبعه الأولى، مؤسسة المثقف العربي.

8 – الرويلي، ميجان والبازغي، سعد (2002). **دليل الناقد الأدبي**، الطبعة الثالثة، المغرب: دار البيضاء.

9 – سعيد، إدوارد (2006). **المثقف والسلطة**، ترجمة: محمد عناني، الطبعة الأولى، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.

10 – سعيد، الشفيع خضر، (دت). **المثقف والتغيير**، منشورات صحيفة الطريق الإلكترونية.

11 – سعيد، إدوارد (1994). **صورالمثقّف**، ترجمة: غسان غصن، بيروت: دار النهار.

12 – عاشور، رضوى(2013). **أثقل من رضوى**، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الشروق.

13 – العيسي، منال عبد العزيز (2010). **الذات المروية على لسان الأنا**، أطروحة الدكتوراه، كلية الآداب بجامعة الملك سعود.

14 – طهماسبي، عظيم (1394). مقارنة وتحليل روايتي قطعة من أوروبا لرضوى عاشور وخارطة الحب لأهداف سويف على ضوء النظرية ما بعد الاستعمارية، أطروحة الدكتوراه، جامعة اصفهان، كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها.

15 – محمود إبراهيم، رزّان (دت). «المؤثر الاستعماري في الكتابة الأدبية إيقاعات متعاكسة تفكيكية، قسم اللغة العربية وآدابها»، **جامعة البترا**، صص1–33.

باب الفلسفة:

1- أثر المكون الثقافي في تعزيز مسارات التنمية في البلدان العربية والإسلامية

Impact of the cultural reinforcement on the promotion of development in Arab and Islamic worlds

الباحث ربيع العايب

باحث في الدكتوراه فلسفة /جامعة قاصدي مرباح ورقلة –الجزائر

Rlaib85@gmail.com

تاريخ الاستلام: 6/4/2022 **تاريخ القبول: 14/5/2022**

الملخص:

إن التنمية لا تعتمد على رأس المال المادي فحسب، بل تحتاج إلى رساميل أخرى، فقد أثبتت كرونولوجيا عمليات التنمية التي جرت في العالم، أن توفر رأس المال المادي وحده دونما توفر بقية الأصناف من رأس المال لا يحقق تنمية مستدامة. لأن عدم الأخذ بالبعد الاجتماعي والثقافي في عمليات التنمية يتسبب في إهدار مكونات الأنساق الثقافية. هذا ما حدث في مسارات التنمية في البلدان العربية والإسلامية، فبالرغم من إدراك ساستها لأهمية المكون الثقافي في تعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية لشعوبهم إلا أنهم تاهوا بين التنمية ومفاهيم التغيير والنهضة، والتقليد والتحديث.

Abstract :

Development depends not only on physical capital, but also on other capital. As the world's development processes have demonstrated, the availability of physical capital alone without the availability of the rest of the capital does not achieve sustainable development. The lack of a social and cultural dimension in de-

velopment processes causes the components of cultural structures to be lost. Despite the fact that their politicians are aware of the importance of the cultural component in promoting the economic and social development of their peoples, they have been left behind by the concepts of change and renaissance, tradition and modernization.

مقدمة:

إذا كانت الدراسات الاجتماعية المعاصرة تهدف إلى الاهتمام بتوصيف الظواهر المجتمعية والبيئية والاقتصادية والتنموية، في سبيل تقديم مقاربة نسقية موضوعية، لأجل تفعيل آليات التنمية المجتمعية بمختلف تجلياتها، المادية الصناعية، والثقافية المعرفية؛ وإذا كانت العلوم الطبيعية قد دعمت مسارات التنمية لدى شعوب العالم منذ عصر النهضة، فإن العلوم الاجتماعية ما زالت إلى اليوم تبحث لها عن أفق جديد، في ظل اشتداد ظاهرة العولمة، وحتمية انجذابية العالم لأفكار العولمة بثقافاتها وصنائعها، في سبيل تحقيق تنمية محلية ومستدامة، وبحسب منظور بعض الباحثين، أدت العولمة إلى إحداث العديد من حالات الانفتاح المتبادل على مستويات كونية شمولية، نازعة إلى نسف مركزية الدولة، وإفقادها جزءا كبيرا من سلطتها على مراقبة القيم الثقافية المحلية، وذاك هو الإطار الذي نشأت فيه هذه العلوم، من ضمن منظومة براديغمات الثقافة العالمية، وما تبع ذلك من نشأة ظواهر تتسم بالجدة، لا يمكن التعاطي معها إلا بتوسيع زاوية النظر والإحاطة بمختلف المتغيرات الثقافية الوافدة للبلدان النامية والسائرة في طريق النمو، وهذا من خلال ما حملته الشركات العابرة للقارات، والمنظمات غير الحكومية، وشبكات الاتصالات والإنترنت...، من مشاريع وأفكار تنموية ذات صبغة تغريبية.

وبحسب هذه الرؤية الجديدة للعالم في كونيته وتجدد أطره وأنساقه، تمضي العلوم الاجتماعية في رهانات التنمية والعمل المستدامين، لأجل تعزيز وتحرير القيم المستلبة في واقع الحياة الثقافية، باعتبار النموذج الثقافي من أهم النماذج المفسرة للتنمية البارزة منذ بداية القرن العشرين. تجلى ذلك في نظريات النهضة والتمدن في الفكر العربي المعاصر مع «مالك بن نبي» و»إدوارد سعيد» و»الجابري»...، وغيرهم؛ أو من خلال

محاور علم اجتماع التنمية، كما أشار إلى ذلك الألماني «غوستاف شمولر“، إذ رأى أن التفاعل بين الخصائص الإنسانية والنظم الاقتصادية والاجتماعية هو المنطلق الحقيقي والفاعل لكل عمليات التقدم والنمو في بلدان العالم، هذا ما يؤكد على حتمية التفاعل بين العنصر الاقتصادي والعناصر الثقافية والاجتماعية، المكملة لفعل النهوض لكل مجتمع نام، على حد تعبير «غولدنار»: إن الثقافة عربة الحضارة»، بمعنى أن الثقافة هي العامل الأساسي في تشكيل مفهوم الحضارة؛ وعلى الرغم من أهمية الثقافة في تشكيل نموذج تنموي أصيل، إلا أن الإشكالية تكمن في طبيعة النموذج الثقافي المطبق، حيث أن الثقافة قد خضعت لشروط العولمة ومستلزماتها منذ سنوات التسعينيات من القرن الماضي، وارتبطت أكثر بثقافة المجتمع الغربي من حيث المكونات والأهداف والمبادئ التي ترى إلزامية تطبيقها بالمجتمعات النامية، وتوظيفها كعنصر فعّال في عملية التنمية هناك. من هنا تنجلي إشكالية بحثنا، ضمن مجال التجارب والآفاق التنموية في العالم العربي والإسلامي، لهذا نفترض أنه من الواجب أن نُشرك النموذج الثقافي في عملية التنمية، كونه من صميم الدراسات والإشكالات الاجتماعية والفلسفية، خاصة بعد هيمنة القوى الرأسمالية المتقدمة على البلدان النامية، ما عقّد من مشروع التنمية في هذه البلدان خصوصا لمّا تسلل إلى البعدين الثقافي والاجتماعي وسيطر عليهما، بعد أن أطبق على البعدين السياسي والاقتصادي، فنجد أنفسنا أمام أنساق ثقافية عالمية تستحوذ على الأنساق المحلية. لهذا نثير التساؤل الإشكالي التالي: إلى أي مدى يساهم المكون الثقافي المحلي في تعزيز مسارات التنمية في البلدان العربية والإسلامية؟ وهل يسعنا التأسيس لتنمية مستدامة دون الرجوع إلى الأسس الثقافية المحلية؟ وهل من الضروري استعارة النماذج الثقافية العالمية لتفعيل تقدمية النمو؟

<u>الأهداف:</u> إشراك النموذج الثقافي في عملية التنمية، كونه من صميم الدراسات والإشكالات الاجتماعية والفلسفية والاهتمام بتوصيف الظواهر المجتمعية والقيم والحوافز الثقافية التنموية، وتقديم مقاربة نسقية تفاعلية، لتعزيز سبل وآليات التنمية في المجتمعات العربية والإسلامية بمختلف تجلياتها المادية الصناعية والثقافية المعرفية.

1 - مفهوم التنمية:

تعني التنمية تحقيق أحسن الظروف الإنسانية للفرد داخل المجتمع، وبالتالي فمن يتأمل مصطلح Développement فهو مفهوم اقتصادي محض، قبل أن يكون مفهوما

سياسيا أو اجتماعيا أو فكريا أو ثقافيا. فالتنمية إذن هي عملية التغيير التي يقوم بها الإنسان للانتقال من مجتمع تقليدي زراعي إلى مجتمع متقدم صناعيا بما يتفق مع احتياجاته الاقتصادية والاجتماعية والفكرية... إلخ، وذلك بالاستثمار الأمثل للموارد الطبيعية والبشرية، التي يشتمل عليها البلد (حمداوي، 2017، صفحة 12). ومنذ سنوات التسعين من القرن العشرين ارتبطت التنمية في العالم العربي بالعولمة من جهة وبالثورة الرقمية والتكنولوجية من جهة أخرى. وأصبح التنافس العلمي والتقني سيد الموقف، وأساس التنمية المستديمة والدعامة الأساسية لتحريك الاقتصاد (حمداوي، 2017، صفحة 65).

إذن عُرفت التنمية بأنها الحالة التي يصبح فيها الاقتصاد القومي (الذي ظل يتسم بالركود لفترة طويلة) قادرا على توليد زيادات متواصلة في الناتج القومي الإجمالي، وبالتالي فإن البلدان النامية عرفت بأنها البلدان التي ينخفض فيها مستوى الدخل الفردي كثيرا بالقياس إلى مستواه المتحقق في البلدان المتقدمة. فالتنمية إذن هي الزيادة السريعة والمستمرة في مستوى الدخل الفردي عبر الزمن (العيسوي، 2001، صفحة 13). وإذا كانت دول الجنوب قد ركزت، في سنوات الستين من القرن الماضي، على التنمية الاقتصادية لتحسين الأوضاع المجتمعية، فإن هذه الدول قد اهتمت بالتغير الاجتماعي في سنوات السبعين. في حين، اعتنت هذه الدول، في سنوات الثمانينيات، بالمقاربة الثقافية في تنفيذ التنمية البشرية المستديمة، بفضل توجهات اليونسكو التي اعتبرت سنوات الثمانينيات والتسعينيات فرصة ذهبية للتنمية الثقافية بناء على التنوع الثقافي واللساني والتراثي. وأعطت أهمية كبرى للثقافة اللامادية في تطوير الشعوب وتنميتها؛ بيد أن الثقافة قد خضعت لشروط العولمة ومستلزماتها ابتداء من سنوات التسعينيات من القرن الماضي إلى سنوات الألفية الثالثة (حمداوي، 2017، صفحة 31)

على هذا الأساس فإن التخلف الإنمائي يعرّف حسب قاموس Le Petit Robert (1987) بأنه «كل دولة، أو منطقة نامية لم يصل اقتصادها إلى مستوى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية». ويتسم هذا المخطط بالتطور العميق، فهو يبرز تطورا حددته الأهداف. ويفترض الاستعمار الإنمائي الجديد قبول الاستعمار، ولكنه يؤشر في ملمحه إلى التطور الذي حدث في القرن التاسع عشر، والذي عبّد مسار الإنسان من وضع المتوحش إلى المتحضر. ويتضح حينئذ أن التنمية هي أحد الأرقام

الرئيسة في إدارة الشؤون الأخرى (Bernard Hours Monique, 2010, p. 14). ولذلك فإن التنمية هي معيار للتقدم ومؤشر أساسي له. ويعرف بيتي روبرت (1987) حالة عدم التنمية بأنها بلد، أو منطقة نامية لم يصل اقتصادها إلى مستوى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية. وهذا النمط تطوري إلى حد كبير، فهو يعمل على برمجة تطور يتم تحديده من خلال الأهداف. فهو حامل للاستعمار وأساس الاستعمار الجديد للتنمية، ولكن إطاره يشير إلى تطور القرن التاسع عشر (Bernard Hours Monique, 2010, p. 14).

مما سبق فإن الإنسان يشكل ضمن فلسفة التنمية محور التعريفات المقدمة بشأنها، وهذا يستوجب الاهتمام والتركيز على إحداث تنمية بشرية من أجل تحسين مستويات التعليم، والرعاية الصحية والرفاه الاجتماعي، ذلك أن إرساء تنمية بشرية وثقافية ناجحة يؤدي إلى امتلاك ضمانات واقعية لإحداث وإنجاح التنمية المستدامة بأبعادها المختلفة الثقافية والاجتماعية والسياسية والحضارية.

2 – راهن التنمية في البلدان العربية والإسلامية في ظل العولمة :

من خلال دمج البعدين الروحي (الديني) والثقافي في التنمية ـ باعتبارهما بعدين أساسيين ضمن أبعاد التنمية المستدامة، كالبعد الاقتصادي والاجتماعي والبيئي ـ تتضح لدينا حقيقة التوجه الخطابي في راهن الفعالية التنموية في البلدان العربية والإسلامية، إذ توجب ضرورة مقاربة المقصدين الأساسيين: (المادي والروحي) اللذين شأنهما أن يزيحا التناقضات والممارسات الدونية، التي عطلت دينامية التنمية في واقع تلك المجتمعات. فلو قصرنا النظر في راهن الثقافة في البلاد العربية، سنجد أن دراسة علاقة التكامل بين مكونات النسق الثقافي العربي وفكر التنمية المستدامة جد ضروري في عالم طغت عليه قيم عولمة السوق، ومجتمع السوق القائم على استغلال الموارد الطبيعية، وحتى استغلال البشر من أجل المنافع المادية، وبالتالي يمكننا القول إن العلاقة بين الثقافة والتنمية في البلدان العربية أو الإسلامية، تستوجب تجسير الصلات بين المنظومتين على اختلاف أصولهما ومرجعياتهما، بغرض تحقيق التوازن بين قيم التنمية الحديثة وما أنتجه الفكر العالمي في إطار التنمية المعاصرة وقيم النسق الثقافي السائد (مختار، 2018، الصفحات 364-363).

إن الشيء المتفق عليه في إطار الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، أن التنمية العولمية ترتكز على المعايير التي تنتجها التنظيمات العالمية (كالمنظمات غير الحكومية أو متعددة الأطراف)، أو الكيانات السياسية أو تكنوقراطية استعمارية جديدة، أي مع مهمة الهيمنة دون ضغوط عسكرية أو مواقف عنيفة (القوة الناعمة). لهذا فإن العولمة لا تسقط من السماء، بل هي تطبيع عام مطلوب وفقا لعمليات معينة. وبين كل هذه المعايير، سوف نولي اهتماما أوليا لمسألة التنمية، التي هي في مقابل «التخلف»، إذ تقدم التنمية نفسها على مدى النصف الثاني من القرن العشرين باعتبارها الهدف الطبيعي والمشروع لكل المجتمعات الوطنية، المستعمرة أو غير المستعمرة. أما في المجتمعات الأوروبية في الخمسينات، فكان يطلق على مصطلح التنمية معنى «الحصول على موجبات الراحة» وكان يحدث في تطور يسمى «التقدم»، حيث كان يتوجب على الآلات أن تنتج الحرية، وكذا من المفترض أن يحرر العمل التقدمي الرجال والنساء من أكثر القيود (Bernard Hours Monique, 2010, p. 13). ولا شك أن المجتمعات الغربية هي الأكثر تقدماً في هذه المجالات، فقد وصفت نفسها بأنها متقدمة النمو. ونتيجة لهذا فقد أعلنت مجتمعات أخرى عن تخلفها، ثم تطورت تلك المجتمعات من خلال التعبئة العالمية، لكي تحافظ على الأمل في التوصل إلى نتائج صاعدة التي ظلت مغيّبة عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي طيلة خمسة عقود من الزمان. وإذا كانت التنمية تقدّم بوصفها معيارا للتقدم ومؤشرا أساسيا له، فكيف نؤسس لفهم العلاقة الدينامية القائمة بين التنمية وبين العولمة في المجتمعات العربية والإسلامية؟

لقد تجسدت البدايات التأسيسية لظاهرة العولمة على كافة الأصعدة والمستويات، وأصبحت رافدا أساسيا من روافد التحولات التاريخية، وقد أضحى من العبث الوقوف في مسارها، أو منع دوراتها، بغض النظر عن آثارها الإيجابية أو السلبية، كما أنها تعتبر ظاهرة حديثة نتجت عن مخاض واقع سياسي واقتصادي واجتماعي وتربوي وثقافي وتقني وإعلامي. ولا شك أن تأثير تباشير الثقافات العولمية قد أبانت عن عمق سجال وجدل بين الأيديولوجيات والثقافات العالمية المختلفة. ولا ريب أن رهان المجتمع العربي التنموي ضدٌّ عن كل أشكال الفكر التغريبية أو أنماط الأفعال الاستيلابية التي شأنها أن تعيد التمكين لهيمنة واستشعار وهم التنمية بشتى عواملها المتضاربة، وظروفها المتناقضة، وما يكتنفها من رغبة مبيّتة لبسط النفوذ وفرض الهيمنة على الضعفاء. لقد دخلت العولمة عوالم العالم النامي من دون استئذان، وأصبح البديل الحقيقي لنا اليوم

هو العمل على تحقيق الاستفادة القصوى من هذه الظاهرة من خلال التعامل معها ومعالجة آثارها السلبية (صليجة، 2013، صفحة 133). إن خوارق الصنائع العولمية المتمخضة عن فيض الأفكار الثورية والإبداعية قد تركت في العقول والأنفس هواجس الرعب ممتزجة بحالات من الأمل والترقب لراهن ومستقبل الحياة البشرية، في تسارعها وتعاقب محطاتها. ثمة قلق ثقافي ونفسي يلقي بشحناته على بنية ومنظومة العلاقات الدولية الجديدة، وكذا عقبات تجلي الحواجز الثقافية والتاريخية. وقد كان لبعض الباحثين شأن في هذا المخاض المستجد، على نحو ما تمثلناه في أعمال «غرو هارلم Grue Harlem»، بصفتها عضو اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، إذ تقول: «نمت قضية أخرى تثير القلق تتعلق بمجال العلاقات الاقتصادية الدولية بأكملها... فقد كانت هناك لحظات من القلق العميق واحتمالات تأزم عملنا، كما كانت هناك لحظات من الرضا والإنجاز... هذا الواقع الجديد يصادف تطورات أكثر إيجابية جديدة في هذا القرن. فنحن نستطيع أن ننقل المعلومات والبضائع عبر كوكبنا بأسرع مما كان في وقت مضى، ونستطيع أن ننتج غذاء أكثر وسلعا أوفر باستثمار موارد أقل. وتقدم لنا المعلومات والتكنولوجيا وعلومنا على الأقل القدرة على النظر بصورة أعمق في أنظمة الطبيعة وفهمها بشكل أفضل. ومن الفضاء نستطيع أن نرى وندرس الأرض كنظام تتوقف صحته على صحة جميع أجزائه. ونحن نملك قدرة المواءمة ما بين الجهود البشرية وقوانين الطبيعة، ونؤمن الازدهار خلال ذلك. وفي هذا يستطيع تراثنا الثقافي والروحي أن يعزز مصالحنا الاقتصادية ويدعم ضرورات بقائنا (هارلم و برونتلاند، 1989، صفحة 21). إن علاقة تكنولوجيا المعلومات بالتنمية تتضح أكثر في إطار تعريف التنمية البشرية الذي وضعته منظمة الأمم المتحدة لمشاريع التنمية، والخلاصة أن التنمية لم تعد تقاس بالتقدم التكنولوجي والاقتصادي في المقام الأول، بل إن الأساس فيها هو توسيع نطاق الخيارات أمام الناهضين بالجهد النخبوي... (علي، 2001، صفحة 48).

3 - لا تنمية إلا في إطار العولمة:

يشير مؤلفا كتاب فخ العولمة هانس وبيترمان إلى أنه مع تسارع عمليات العولمة فإن بعض المصطلحات المشهورة التي شغلت ساحة الفكر «كالتنمية الاقتصادية «لم يبرز لها في عصر العولمة أي معنى» و«حوار الشمال والجنوب» و« التقدم » و«التحرر» و«العالم الثالث» والعمل طويلاً مثلا أصبح يتجاهل مشاكل البلدان النامية وبشكل

خاص مشكلات القارة الأفريقية الفقيرة، التي وقعت في الفخ الذي نصبه لها «العالم المتقدم » بكل سهولة دون أي نقاش ولا مواجهة، حيث أنها طبقت كل التوجيهات التي طلبتها منها المؤسسات المالية الدولية المتمثلة في صندوق النقد والبنك الدوليين، وإن سعي هذه الدول وراء الانضمام للمنظمة ما هو إلا دليل على ذلك، ففي السابق كان لها الخيار فاختارت عدم الانضمام إلا أنها اليوم أصبحت مجبرة فلا خيار أمامها. كما يقول كل من هانس و بيترمان: «لا مكان للدول النامية عامة والعربية خاصة ... في «العولمة» إلا في الاتجاه السالب، أي تأثيرها عليها وتأثرها بها». ومع ذلك فنحن بهذا المعنى معولمون منذ زمن بعيد اقتصادياً وثقافياً ... وسياسياً في معظم الأحيان.

من خلال تلك التعاريف المختلفة لكل من التنمية والعولمة نتوصل إلى فكرة أنه رغم اختلاف أفكار الاقتصاديين حول ما إذا يمكن اعتبار الانفتاح الاقتصادي الذي هو أساس العولمة عاملا من عوامل التنمية الاقتصادية فإن السؤال الذي يبقى مطروحا هو: إذا لم تستطع الدول النامية تحقيق معدلات نمو في ظل نظام مغلق ومحميّ من كافة المخاطر الخارجية فهل ستتمكن من تحقيق ذلك في ظل الانفتاح وهل ستتصدى للمنافسة الشرسة، وما هي العوامل التي ستسمح بذلك؟

إن العولمة تعني التداخل الواضح لأمور السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والسلوك دون اهتمام يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة، أو الانتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة، ودون حاجة إلى إجراءات حكومية، فالعولمة هي إكساب الشيء طابع العالمية، وجعل نطاقه وتطبيقه عالمياً، فلا وجود للعزلة والانفرادية. إن الدول المتقدمة، والولايات المتحدة خاصة اعتمدت على سياسة العزلة وعملت على حماية أسواقها من المنتجات الأجنبية، الشيء الذي يظهر ضرورة الانطلاق من الداخل بهدف الوصول إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي ومن ثم محاولة تحقيق فائض في الإنتاج ومنه البحث عن أسواق خارجية لتصريفه، وهناك فرق شاسع بين أن يتم فتح الحدود لغرض تصريف الفائض من المنتجات المحلية وأن يتم فتح الحدود لاستقبال السلع الأجنبية، فالأول يعمل على دخول الثروة في حين أن الثاني يعمل على خروجها ومنه زيادة الفقر (صليجة، 2013، صفحة 134).

بناء على ما تقدم من تعاريف متعددة ومختلفة للعولمة، يتضح أنها ظاهرة غير مكتملة الملامح فهي عملية مستمرة ومتناسبة ذات طابع حركي ديناميكي وتكشف كل يوم عن

وجه جديد من وجوهها المتعددة، اقتصاديا، سياسيا، ثقافيا، ومما ذكر أعلاه فالعولمة أصبحت تعني مجموعة من الحقائق المهمة التي تتمثل في تكامل أسواق النقد والمال الدولية ونمو الصادرات العالمية بمعدلات تفوق معدلات الناتج العالمي الإجمالي، وتدويل الإنتاج، بمعنى توزيع إنتاج أجزاء السلعة الواحدة على عدد من دول العالم ومناطقه حسب ما تحدده كلفة الإنتاج ومعدلات الربح، وهو ما أدى إلى ظهور أنماط جديدة من تقسيم العمل الدولي، وتعاظم دور الشركات متعددة الجنسية، ورفع معدلات حركة الاستثمارات الأجنبية الخاصة المباشرة. أصبحت العولمة جزءا من عجلة التاريخ التي ترتبط بعالمية الاقتصاد القومي، وبنفس الدرجة عولمة أو عالمية المشروع من منطلق السعي إلى اقتناص الفرص وتكبير العوائد، ولا توجد وسيلة لتفاديها بل أصبح من الضروري مواجهتها والانخراط في غمارها والكفاح من أجل تحديد آثارها السلبية، لأن مجموعة التفاعلات العالمية المصاحبة لها قد أصبحت واقعاً فعلياً توجب علينا البحث الجاد في كيفية التعامل معها والتفكير في الاستراتيجيات والخطط التي نمتلكها والتي ستحدد موقعنا في مجريات الحدث على ضوء أهدافنا وإمكانياتنا وسبل الاستفادة منها؛ أي أن تأثير العولمة، رغم طابعها الكوني وما توظفه من طاقات، ليست قدراً محتوماً يحدد مصيرنا في ما يجري سلفاً، بل إن هذا المصير مرتبط إلى حد كبير بما سنعمل وكيف سنواجه التحديات، ولا يفيدنا بشيء تجاهل ما يجري والبقاء على الهامش، أو الاكتفاء برفضه انفعالياً، فلا موقعنا كدول نامية ولا أهدافنا المستقبلية تسمح لنا بتجنب التفاعل مع ما يحدث على الساحة العالمية. فهي لم تعد ذلك الضيف المحتشم الذي يقف خلف الأبواب يستأذن بالدخول بل أضحت فردا من أفراد العائلة تفعل فعلها على هذا الكوكب منذ سنوات، ولم تعد مجرد مفهوم بل هي ممارسة وسلوك يومي وعملية مستمرة تنمو وتتطور على الدوام، ويمكن تلمسها من خلال مجموعة من المؤشرات الكمية والكيفية في كافة المجالات (صليجة، 2013، صفحة 135). وفي هذا السياق يؤكد الباحثان هانس بيترمان وهارالد شومان، أن الأرقام تقر بهذه الحقيقة، ولكن مع هذا فإن القوى التي تفرزها العولمة، ستنتشر في زمن قريب على هذه الأرقام ضوءا جديدا مختلفا كليا. إذ يوجد 20 بالمائة من دول العالم هي أكثر الدول ثراء وتستحوذ على 84.7 بالمائة من الناتج الإجمالي للعالم وعلى 84.2 بالمائة من التجارة الدولية ويمتلك سكانها 85.5 بالمائة من مجموع مدخرات العالم. وانطلاقا من عام 1960 تضاعفت الهوة بين ذلك الخُمس من الدول الذي يعتبر أغنى الدول والخمس الذي يُعتبر من أفقر

الدول. وفي الواقع فإن هذه الإحصائيات أيضا تمثل دليلا على فشل مساعدات التنمية التي كانت تبشر بالإنصاف والعدالة العالمية (بيترمان و هارالد، 1998، صفحة 62).

وفي عالمنا العربي والإسلامي كجزء من العالم الثالث، لا يمكن فيه فصل التنمية عن العولمة ومساراتها التي تبدو دافعة لتطور تلك المجتمعات في النظام الدولي المعاصر بطرق وسرعات مختلفة. ومن هنا يمكن القول إن العولمة أضحت همزة الوصل الرئيسة بين التنمية والثقافة أو الإطار الحاكم للتفاعل بيتهما. لهذا أثير في ظل العولمة جدال حول طبيعة العالقة بين التنمية والثقافة، وحول دور الغرب فيها (خاصة القطب الأمريكي) لناحية التأثير الثقافي الغربي وهيمنة ثقافية تمارس باسم مقتضيات العولمة، بل إن كثيرا من الكتابات الغربية تحدثت عن الإمبريالية الثقافية، وهي نوع من الاستعمار مختلف في شكله وأخطر في توابعه (نورالدين، 2014، الصفحات 161- 162).

4 - تنمية أم تغيير في الثقافة العربية والإسلامية؟

يعد مفهوم التنمية من أهم المفاهيم العالمية التي برزت في القرن الماضي، أما كرونولوجيا بروز وتطور هذا المفهوم، فإنه قد ظهر كفرع مستقل من النظرية الاقتصادية، وأطلق عليه اقتصاديات التنمية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، أما في نهاية ستينيات القرن العشرين فقد انتقل إلى علم السياسة، وظهر كحقل منفرد يهتم بتطوير البلدان المتخلفة نحو الديمقراطية. وتطور لاحقا ليشمل جوانب مختلفة: اجتماعية، ثقافية، بيئية... ليصل في نهاية المطاف إلى مضمون شامل هو التنمية الإنسانية؛ إذ يعتبر مضمون التنمية الذي جاء به برنامج الأمم المتحدة للتنمية في عام 1990م، أوسع من مفاهيم التنمية حتى تلك التي تركز على الإنسان، ضمن هذا السياق الأوسع، صاغ منظور الحرية للرفاه الإنساني على يد الاقتصادي الهندي « أمارتيا سان-Amartya Sen » الذي قال إن: «التنمية عملية تشير إلى توسيع الحريات الحقيقية التي يتمتع بها البشر، فالتنمية تتطلب استبعاد المصادر الأهم لغياب الحرية وهي الفقر، الاستبداد، كفقر الفرص الاقتصادية، والحرمان الاقتصادي، وإهمال الخدمات العامة، وأيضا غياب التسامح، وتفشي استبداد الدولة (باي، 2016، صفحة 339). وعليه فإن مضمون التنمية الإنسانية بمعنى توسيع الخيارات، يفيد بتوسيع التمكين من السياسة إلى الاقتصاد والاجتماع، أي محتوى التنمية يكون شاملا لجميع الحقوق السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، وهنا نبحث عن حظ العالم العربي والإسلامي منها، وكذا ما

يحمله الوعي العربي من مفاهيم لمضمون التنمية المستدامة، وهل هي صناعة محلية أم منتوج غربي وجب الأخذ بمقوماته حتى وإن كانت تخل بالهوية القومية والثقافة المحلية لتلك البلدان وبالتالي إقصاء الجانب الاجتماعي من مشروع التنمية في الدول السائرة في طريق النمو؟

إن البعد الاجتماعي للتنمية يركز على تنمية الموارد البشرية التي ترتكز على الاهتمام برفع مستويات المعيشة من خلال الاهتمام بمستويات التعليم، الصحة، والإسكان، حيث أن الاهتمام بالنواحي الصحية له دور هام في تنمية الموارد البشرية، وفي ضوء الوضع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للأغلبية العظمى من السكان في الدول النامية سيكون من المكلف للغاية الاعتماد على النظم الغربية في الرعاية الصحية، وبالإضافة إلى تحسين الجانب الصحي، فبدون شك، إن الاهتمام بتحسين التعليم سينعكس إيجابا على التقليل من حدة الفقر وتوفير الموارد وخلق فرص عمل وتنمية القيم الداعمة لحب وتشجيع الإبداع والإنتاج، هذا بالإضافة إلى الوعي الإيجابي للعلاقة التفاعلية بين مشاريع التنمية والموارد البشرية (مختار، 2018، الصفحات 353-352). وهو من مهام علم الاجتماع كما قال عالم الأنثروبولوجيا، كلود ليفي شتراوس: سوف يكون القرن الحادي والعشرين إما قرن العلوم الاجتماعية أو لن يكون، إذ يرى العديد من المفكرين والمنظرين أنه يجب على العلوم الاجتماعية أن تكون عملية قبل كل شيء أي نافعة، وتتمثل هذه المنفعة في شكل الهندسة الاجتماعية، غايتها التحكم في التصرفات البشرية والتنبؤ بها، ويتمثل الغرض الرئيس الجوهري في تطوير تقنيات تسيير الحياة الاجتماعية (مختار، 2018، صفحة 353).

ويرى كل من «رونالد أنجلهارت و»هانس دييتر كلينجمان Dieter Klingemann و»كريس ويلزل (Chris welzel أنه: من منظور التنمية الإنسانية، فإن التنمية الاقتصادية تؤدي إلى التغيرات القيمية الثقافية والتي تفضي إلى الانتقال والترسيخ الديمقراطي، وينطلق تحليل «أنجلهارت» والآخرين للعلاقة بين التنمية الاقتصادية والديمقراطية في اتجاه تأثير الأولى على الثانية من خلال متغيرات وسيطة، حيث تشكل التنمية الاقتصادية والاجتماعية، التغير الثقافي، والديمقراطية، متلازمة متماسكة للتغير الاجتماعي، هذه المتلازمة ليست محددة عن طريق نظريات التحديث الكلاسيكية، ويشار لهذه المتلازمة بـ «التنمية الإنسانية»، وهذه المكونات الثلاثة هي:

1. المتغير الاقتصادي والاجتماعي.

2. المتغير الثقافي.

3. الديمقراطية (باي، 2016، صفحة 352)

مما تقدم يظهر أن منظور التنمية الإنسانية رؤية أكثر إيضاحا لأهمية توفر الديمقراطية كأساس لنهج التنمية الإنسانية، لأنه من المرجح أنها ستسفر عن أفضل نتائج التنمية الإنسانية كتحسين النتائج التعليمية والصحية للفقراء، تفعيل دور المواطنين في مناقشة القضايا التي تخص حياتهم، وليسوا مجرد متلقين سلبيين للمنافع الاجتماعية، لأن التنمية بهذا المضمون تقوم على «قدرة الناس على مساعدة أنفسهم، والتأثير على العالم» (باي، 2016، الصفحات 356-355).

أدى اعتبار أنموذج التنمية الإنسانية، كأنموذج تنموي بديل بتأكيده على تفعيل الجانب الإنساني للتنمية المرتبط بكافة الأبعاد الإنسانية، بحيث يكون الإنسان الفرد وحدة أساسية في التحليل التنموي لهذا الأنموذج في سياقه يصبح النمو الاقتصادي مدخلا ماديا له أهميته، ولكن ليس هدفا في حد ذاته. لتصبح التنمية تعبر عن تنمية الإنسان، بتمكينه من حقوقه السياسية، الاقتصادية والاجتماعية. الأمر الذي استدعى إعادة النظر في طبيعة العلاقة بين الديمقراطية والتنمية، من البحث في جدلية البناء، إلى وحدة المضمون والتلازم والارتباط من خلال التأسيس لمفهوم أشمل وأعم هو التنمية الإنسانية.

إن نداء العصر الجديد هو «لينقذ نفسه من يستطيع ذلك»، ولكن من هو هذا الذي يستطيع ذلك؟ فانتصار الرأسمالية لا يعني أبدا «نهاية التاريخ» التي تحدث عنها الفيلسوف الأمريكي فرنسيس فوكوياما في عام 1989 إنما هو يعني نهاية ذلك المشروع المسمى بكل جرأة وغرور «الحداثة». فثمة فعلاً تحول تاريخي بأبعاد عالمية، إذ لم يعد التقدم والرخاء، بل صار التدهور الاقتصادي والتدمير البيئي والانحطاط الثقافي، هي الأمور التي تخيم بطابعها على الحياة اليومية للغالبية العظمى من البشرية (بيترمان و هارالد، 1998، صفحة 62).

من الملاحظ أنه من الآثار الهامة لتضاؤل قوى الدولة في ظل العولمة ظهور ما يسمى بـ «الإقليمية الجديدة» حيث اتجهت الدول إلى تشكيل هياكل سياسية واسعة المدى، وتدخل الأبعاد الثقافية في تحديدها أكثر من ذي قبل، حيث ترتبط الأقاليم نفسها

بقاعدة ثقافية كلية وهي الحضارة، فتم تعويض ضعف الهوية القومية بهويات جديدة على كل من المستوى الإقليمي الجزئي. ومن ثم ترتبط الإقليمية الجديدة بالثقافة والتنمية، وخاصة أن الأقاليم في ظل العولمة أصبحت أكثر قدرة من الدول القومية على تطبيق استراتيجيات تنموية ومشاريع البنية التحتية (نورالدين، 2014، صفحة 158)

بينما عكست مدرسة الحداثة اهتماما غير مباشر بل وسلبيا بالمتغير الثقافي، أعادت مدرسة ما بعد الحداثة الاهتمام بالأبعاد الثقافية للتنمية بشكل أقوى وأوضح وعملت على استثمار عناصرها الإيجابية أو محاربة وتغيير عناصرها السلبية. أما النمط الثاني فتتضح فيه أهمية مستوى تحليل القضايا المختلفة المثارة مثل المرأة والأقليات والديمقراطية، حيث تنتقد المدارس الغربية المختلفة رؤية ومسلك كثير من المجتمعات غير الغربية خاصة الإسلامية تجاهها. فالسؤال الأهم في هذا السياق: في أي اتجاه يجب استغلال هذه القيم ذات الخصوصية الثقافية ويتم التعامل معها بأي هدف، هدف احترامها والمضي قدما في عملية التنمية، أي فهمها كخطوة للتغلب عليها وإحلالها بأخرى يراها بعض أنصار المنظور الثقافي هي الأولى بالتغيير (نورالدين، 2014، صفحة 160).

وفي نهاية القرن العشرين تمر إشكالية التنمية بمحاور مفاهيمية تختلف عن العقود السابقة. لقد تغيرت الهياكل الاجتماعية والاقتصادية حول العالم ومن ثم لا بد من النظر بشكل مختلف لمشكلة التنمية.

لكن تظل حقيقة أساسية مفادها أن هناك حاليا قوة واحدة مهيمنة وهي الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ظرف تاريخي يمثل مرجعية إجبارية لأي تحليل. ومن ناحية أخرى، يرتبط ذلك بقبول فكرة أن السوق هو الساحة أو المجال المحوري لحدوث التفاعلات الاجتماعية والاقتصادية. ومن ثم تتوافر أساسات مشتركة متفق عليها تنطلق منها المشاريع التنموية وتبرز تأثير قوة دفع تشابك التفاعلات الإنسانية عبر عالم اليوم. في ظل العولمة باتت كل من الساحة الوطنية التقليدية للتنمية والاستراتيجية المحلية التنموية في البلدان العربية والإسلامية في طريقها للاختفاء. فأضحى هناك ما يسمى بالظرف المعولم the globalized condition والذي يشير إلى أن ساحة الفعل الإنساني كونية وأن المسافة الجغرافية لم تعد تفرض القيود السابقة. وارتباطا بذلك فإن الظاهرة الثقافية التي كانت محددة جغرافيا في السابق، أصبحت متواجدة عبر العالم (نورالدين، 2014،

الصفحات 163-162). فماذا تعنى التنمية في ظل الظرف المعولم؟

في البداية تجذّرت فكرة التنمية في إطار الدولة القومية، وفي الساحة الوطنية ممثلة في أراض تمارس عليها الدولة سيادتها كاملة، إلا أن هذا المفهوم تغير بفعل العولمة حتى أن البعض تحدث عن التنمية باعتبارها التكيف مع الظرف المعولم، وفي سياق هذا الظرف، بدت هيمنة خطاب بذاته يدعو إلى التحرير من القواعد القانونية على المستوى القومي ويمثل أساس برامج التكيف الهيكلي، والتي ارتبطت لدى كثير من الهيئات والدول الغربية بالتنمية، حتى قامت هذه الأطراف بربط معوناتها بمدى التطور في تطبيقها وبتوفر مبادئ أخرى مثلت باقي حزمة السياسات المطلوبة مثل الحكم الجيد والديمقراطية المسؤولة ومؤسسات السوق (نورالدين، 2014، صفحة 163).

هكذا فإن مفهوم التنمية عرف موجة أولى من الاقتصاديين الأمريكيين: روستو، هيرشمان، أرثر لويس أساسا. وفي الستينيات بدأ التفكير التنموي من طرف أبناء العالم الثالث بما فيه العالم العربي والإسلامي. ومن المتفق عليه أن نقطة البداية كانت نظرية القلب والتخوم أو المركز والهامش، التي صاغها كبير اقتصاديي العالم الثالث راؤول بريبش. وكان في منطق هذا المفهوم أن القلب يفوز بالنصيب الأكبر من المكاسب والمنافع على حساب التخوم، مع تأكيد أنه يسحب من ثمار عمل شعوب التخوم. ومن ثم شارك عدد من اقتصاديي أمريكا اللاتينية في صياغة مفهوم Dependencia بمعنى الاعتماد على الغير، وبالتالي تمكين هذا الغير من صياغة نمط التنمية المحلية بما يخدم مصالحه قبل كل شيء. أما مصالح الناس فليس لها من يحميها. وهذا يتناسب مع ترجمة الكتاب العرب لهذا المعنى باسم التبعية (العيسوي، 2001، صفحة 6).

إن تحقيق الفعل التنموي في البلدان النامية يبدأ من إعلان بيان قيام حكومات جديدة في دول العالم الثالث عموما والبلدان العربية الإسلامية على الخصوص، فيتضمن الإعلان وعودا سخية للجماهير بحياة أفضل، أي يتضمن وعودا بالتنمية، كذلك الحديث عن الاستقرار السياسي والاقتصادي وإعادة البناء أو الانفتاح... وما إلى ذلك فإنه يمكننا القول إن خلف كل قرار ووراء كل ثورة أو موقف ذريعة التنمية، لقد كانت التنمية في هذا القرن قضية القضايا ولا تزال. لقد أصبح من المقولات الشائعة التي جرت مجرى الأمثال القول بأن «الإنسان هو جوهر التنمية ومحورها وهدفها». إلا أن أحدا لا يستطيع أن يصبح جوهر شيء ما أو محوره أو هدفه، إذا كان هذا الشيء بالنسبة إليه غامضا غائما

أشبه ما يكون بالألغاز والأحاجي (عبدالرحمن، 1992، الصفحات 9–7). والسؤال المنطقي هو: لماذا لا نريد لمواطن العالم العربي والإسلامي وضعا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا مقاربا لوضع المواطن في العالم المتقدم؟ السبب ببساطة متناهية أنه بدون تنمية لا بد من استمرار التخلف، ومع استمرار التخلف لا بد من استمرار الفقر، ومع استمرار الفقر تنعدم كل المقومات اللازمة للحياة البشرية الكريمة (عبدالرحمن، 1992، صفحة 22). وبدون تنمية ستستمر الفوارق الرهيبة بين البشر: 75% من ثروات الكرة الأرضية مركزة في يد 20% من سكانها. وبدون تنمية ستزداد الهوة السحيقة بين الأغنياء والفقراء، وبدون سيستمر الجوع في حصد ضحاياه. لهذا شاع الاعتقاد بأن التنمية تعني التغيير في الذّهنيات والهويات المجتمعية لكل أمة طامحة إلى بلوغ مراتب العالم الأول. ومن هنا بدأت المأساة عندما استقر في الأذهان أن التغيير في حد ذاته هو التنمية. وكان أول زعيم يبدأ هذا الانحراف الفكري مصطفى كمال أتاتورك إذ رأى أن التنمية تعني تغيير هوية تركيا من دولة شرقية إسلامية إلى دولة أوروبية علمانية وشن حربا ضروسا على كل ما له علاقة بتراث تركيا وعقائدها وتقاليدها... ونهج الشاه رضا خان والد الشاه محمد رضا بهلوي، في إيران نهج أتاتورك في تركيا، بمنع استخدام الملابس الإيرانية التقليدية ومنع النساء من ارتداء العباءات وغيرها من محاولات التغيير وطمس هوية الشرقي، فقد اتخذت التنمية مظاهر مضحكة مبكية يصعب تبريرها من أي منظور عقلاني (عبدالرحمن، 1992، الصفحات 26–25). هذا الفعل يمثّل صدمة وفق منظور جورج طرابيشي، «فالصدمة –بحسبه– ليست مجرد إيقاظ من نوم الغفلة، بل هي استحضار أيضا على صعيد الوعي بضرورة التغيير عن طريق التدخل الواعي والإرادي في مسار التاريخ» (طرابيشي، 1991، صفحة 18)؛ ونحن نقول ذلك في مسار التنمية في العالم بلغة الحاضر. وهنا يشير طرابيشي إلى ضرورة التكيف مع الواقع وتكييف الواقع في آن معا. لذلك يمكن القول إن استراتيجية التغير والتغيير المزدوجة هذه، التي تتلخص بها إشكالية عصر النهضة برمتها، أتاحت للعرب أن يجتازوا بنجاح وسلامة نسبيين أخطر أزمة مرّ بها وجودهم عبر التاريخ. وهي دعوة إلى إعادة تشكيل الذات، مع إعادة تشكيل العالم المحيط بنا (طرابيشي، 1991، صفحة 19).

في مناطق عديدة من العالم الثالث، وأوشك أن أقول في كل مكان، بدأت سلبيات النمو السريع تسفر عن وجهها الكالح. ففي العالم العربي مثلا وجد أحد الباحثين العرب أن التنمية لم تمس إلا القشرة الخارجية للمجتمع تاركة السواد الأعظم من الناس دون

أي تحسن في أوضاعهم. وتوصل الأبحاث إلى أن الحكومات العربية لم تكن مهتمة بالتنمية بل كانت مهتمة بالتحديث. وفي هذا السياق يقول مالك بن نبي: «ورثنا نحن معشر الشعوب الإسلامية المقاييس المرتبطة بحياة العالم الغربي وتجربته التاريخية، وتقبلنا بعضها لنقيس بها الواقع الاجتماعي لدينا، ونوازن على ضوئها ماضينا بما يسحر أبصارنا في حاضر هذه الأمم الغربية، هذه الأمم التي فرضت علينا عاداتها ومفاهيمها ومصطلحاتها وأسلوب حياتها، وهكذا رأينا هذه الأشياء مسلمات يقتدي بها فكرنا ويهتدي بها اجتهادنا، ويستدل بها منطقنا، دون أن نحقق في درجتها من الصحة واتفاقها مع جوهر شخصيتنا وفلسفة حياتنا» (مالك، 1979، صفحة 65).

الخاتمة:

ن التنمية في محصلتها النهائية، وسيلة وليست غاية، هي وسيلة نحو الارتفاع بمستوى الإنسان الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي. ما دام هذا هو هدف التنمية الحقيقية فكل ما يؤدي، على أي نحو إلى الإضرار بالإنسان، جسديا أو روحيا، لا بد أن يكون عملا معاديا للتنمية حتى لو ارتكب باسمها. أي تغيير لا يخدم الإنسان اقتصاديا أو اجتماعيا أو سياسيا أو ثقافيا هو تغيير لا علاقة له بالتنمية. من هنا يصبح من الواضح أن المحاولات التي شهدتها، ولا تزال تشهدها دول كثيرة في العالم الثالث لطمس هويتها ومسخ تميزها واستيراد عقائدها وأفكارها هي محاولات تخريبية مقطوعة الصلة بالتنمية الحقيقية وهدفها النبيل، وهذا هو واقع التنمية في العالم العربي والإسلامي، ومعه العالم الثالث، فقد تحولت التنمية في البلدان النامية إلى مجهود مستميت لنقل قشور العالم الأول، بلا شعور بالمسؤولية، حيث يبدو العالم الثالث مصرا على بيع هويته الحضارية، وجزء كبير من ثروته المادية، مقابل ناطحات سحاب ومستشفيات حديثة لا تخدم سوى الصفوة من ساكني المدن، وتقنية تعكس كالمرآة صور الحضارات البعيدة التي صنعتها.

قائمة المراجع:

1) إبراهيم العيسوي. (2001). التنمية في عالم متغير (دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها) (الإصدار 2). القاهرة: دار الشروق.

2) باي، أ. (2016). التنمية والديمقراطية في ظل العولمة (بين أسبقية التأثير وعلاقة التكامل). مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، 9 (2).

3) بن نبي مالك. (1979). تأملات(مشكلات الحضارة) (الإصدار 1). دمشق: دار الفكر.

4) جميل حمداوي. (2017). من أجل تنمية مستديمة (الإصدار 1). المغرب.

5) رحاب مختار. (2018). المحددات الاجتماعية والثقافية لتحقيق التنمية المستدامة. مجلة الحقيقة (32).

6) صليجة، س. (2013). إشكالية التنمية في عصر العولمة. مجلة الاقتصاد والإحصاء التطبيقي , 10 (1), 133 .p.

7) طرابيشي، ج. (1991). المثقفون العرب والتراث (التحليل النفسي لعصاب جماعي) (éd. 1). رياض الريس للكتب والنشر.

8) علي, ن. (2001). الثقافة العربية وعصر المعلومات. الكويت: المجلس الوطني الأعلى للثقافة والآداب والفنون.

9) غازي القصيبي عبدالرحمن. (1992). التنمية... الأسئلة الكبرى (الإصدار 1). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

10) غرو هارلم، و برونتلاند. (1989). مستقبلنا المشترك. (محمد كامل عارف، المترجمون) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

11) نورالدين، د. (2014). التنمية وثنائية الثقافة والمثاقفة. مجلة تطوير العلوم الاجتماعية , 7 (2).

12) هانس بيترمان، و شومان هارالد. (1998). فخ العولمة (الاعتداء على الديموقراطية والرفاهية). (عدنان عباس علي، المترجمون) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

13) Bernard Hours Monique, S. (2010). *Anthropologie politique de la globalisation.* paris: L’Harmattan.